منبر الإسلام

العدد ١ - السنة ٢٠ - محرم ١٣٨٢ - يونيو ١٩٦٢

الثمن ٥ قروش

عدد ممتاز ـ الميثاق هدية مع العدد

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الاوقاف
فى غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

محرم ١٣٨٢
يونيو ١٩٦٢
العدد ١ السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة
- أول العام (الأستاذ أحمد لطفى السيد)
- علم النفس والدين الاسلامى (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد)
- العالم من يعرف للعلم حقه (فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى)
- القيم الاسلامية ـ الحق تعالى ـ (دكتور أحمد فؤاد الأهوانى)
- من قصص القرآن الكريم ـ قصة آدم ـ (دكتور مهدى علام)
- الموسيقى والغناء والرقص (فضيلة الشيخ محمد أمين هلال)
- الاسلام والتكافل الاجتماعى (الأستاذ البهى الخولى)
- المعانى السامية فى هجرة الرسول (الأستاذ محمد سلام مدكور)
- من أدب الطبيعة فى القرآن الكريم (دكتورة نعمات أحمد فؤاد)
- مستقبل الاسلام فى أفريقيا الحديثة (دكتور بدوى عبد اللطيف)
- عقل المرأة من وحى الواقع (فضيلة الأستاذ محمد زكريا البرديسى)
- ملحمة الهجرة ((قصيدة)) للشاعر محمد حليم حامد غالى
- الاسلام وتطور الانسانية (دكتور محمد غلاب)
- دروس من الهجرة (الأستاذ عبد الرزاق نوفل)

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة

٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الأخرى

*

والاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق ....

الجمهورية العربية المتحدة قامت لتمثل إرادتنا

كلمة الرئيس فى جماهير المهنئين فى ٢٣ من فبراير سنة ١٩٥٨ بدار رياسة الجمهورية بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية .

بداية التحرر ...
وبداية التخلص من السيطرة
نهاية الضعف وبداية القوة

أيها المواطنون : فى هذه الأيام الخالدة من تاريخ العرب نحمد الله من كل قلوبنا لأن عهد السيطرة الأجنبية وعهد الاستعمار وعهد التحكم ، وعهد الدخلاء قد انتهى الى غير رجعة .. قد انتهى بفضل تصميم الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة .. اليوم ونحن نحتفل بقيام الجمهورية العربية المتحدة كل فرد فينا يشعر أن هذه الجمهورية قامت لتمثل ارادتنا سواء فى الشمال فى سورية ، أو الجنوب فى مصر ، لأنها ليست ارادة الغاصب أو الدخيل أو المستعمر أو الذين أرادوا أن يضعونا ضمن مناطق النفوذ ، **انها ارادة الشعب العربى الحقيقى القوى النفوذ ، فى هذه المناسبة ونحن نحتفل بميلاد الجمهورية العربية المتحدة يحق لكل فرد فينا فى دنيا العرب وأمة العرب أن يشعر بالقوة الحقيقية وأن يشعر بأن ارادته قد انتصرت ، وأهدافه قد تحققت .**

ففى عام ١٩١٧ قسموا العالم العربى بأقلام الرصاص الى دول ودويلات واتفقوا مع اليهود ليعطوهم فلسطين وفرضوا علينا تلك الأوضاع .. اليوم يا اخوانى مشيئتنا فقط هى التى لها السيادة وهى التى قررت قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ياأخوانى اننا ونحن نحتفل بهذا اليوم الخالد فى تاريخ فجر الجمهورية العربية ننظر الى الماضى والى المحاولات الأجنبية والى السيطرة الأجنبية ، والى الفراغ الذى قالوا عنه انهم يريدون ملئه وأن هذه المنطقة لابد أن تدخل ضمن مناطق النفوذ ، كل فرد يشعر اليوم أن ارادته قد انتصرت وعقيدته قد انتصرت ، وأن القومية العربية التى كانت حلما والتى نادينا بها فى الخطب وفى الأشعار أصبحت حقيقة بمولد الجمهورية العربية المتحدة ، نشعر أن هذه هى البداية ..

بداية التحرر ، وبداية التخلص من السيطرة ، .. نهاية الضعف وبداية القوة ، نهاية العملاء وبداية حكم الأحرار ، بداية حكم الشعب ، الشعب الوطنى ، الشعب الحقيقى ، اننا نتكلم اليوم عن الأمة العربية القائمة بذاتها كل واحد يشعر فيها بالآخر ويساند الآخر ، ويتضامن مع الآخر ، كل فرد يشعر أن بلده تشمل البلاد العربية كلها فى أى بلد عربى حتى تلك التى اصطنعوها بعد الحرب العالمية الكبرى .

أرجو من الله أن يوفقنا بمعونته ، وأن يحوطنا بقوته ، كما أرجو من الله أن يقوينا حتى نستطيع أن نحقق الأحلام ، ونحقق الأهداف ، وأن نقيم فى هذه المنطقة من العالم الحرية الحقيقية والسلام ، وأن نملأ الفراغ الذى يتكلمون عنه بأنفسنا ، وأن نكون سندا للعرب جميعا فى كل بلد من بلادنا ونحن اذ نحتفل بمولد الجمهورية العربية المتحدة التى انبثقت من ارادتنا وحريتنا ، نتجه بجهادنا الى المستقبل ونحن نعتقد أننا فى أول الطريق ، طريق الحرية والعمل والوحدة والتضامن ، وفقنا الله واياكم جميعا .. والسلام عليكم ورحمة الله .

زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة

الشيخ محمد على شامتى
رئيس وزراء زنجبار

وصل الى القاهرة يوم ٨-٤-١٩٦٢ الشيخ محمد على شامتى رئيس وزراء ((زنجبار)) قادما من ((لندن)) وبصحبته الشيخ ابيوتى صالح ، وزير الأشغال والمواصلات والأوقاف ، والدكتور أحمد باعولي وزير الصحة وقدصرح رئيس وزراء ((زنجبـار)) بأنه عرض على الرئيس جمال عبد الناصر تفاصيل المؤتمـر الدستورى ، الذى عقد أخيرا فى (لنـدن) لبحث مستقبل (زنجبار) والعقبـات التى أثارها الحزب الافروشيرازى ، المـوالى للاستعمار ، لعرقلة استقلال البلاد ، بحجة أن بريطانيا هى المسئولة عن الأمن، ولا تستطيع ضمان الاستقلال هذا العـام الى أن تتفق الأحزاب فيما بينها .

وقال : انه عندما يعود الى بلاده سيعرض

على شعبه حقيقة الخلافات ، التى يثيرها هذا الحزب ، لعرقلة استقلال (زنجبار) .

وقد صرح بأن (اسرائيل) تبـذل ما فى وسعها لتنفذ الى (زنجبار) وتؤيدها فى ذلك الادارة الاستعمارية البريطانية فى بلاده .

وأضاف الزعيم الأفريقى قوله : اننا نقف ضد تسرب النفوذ الاسرائيلى الى بلادنا ، لأننا نعلم من تجارب الدول الأفريقية الأخرى أن (اسرائيل) تستنزف ثروات الشعوب الافريقية ، وتسعى للسيطرة على اقتصادياتها وسياستها الاستقلالية المتحررة .

عبدالله فوند كيره
وزير العدل فى تنجانيقا
وبصحبته ليوا سيمانتين
وزير الأراضى والخدمات

استقبل الرئيس جمال عبد النـاصر يوم ٣٠-٤-١٩٦٢ السيد عبدالله فوند كيره ، وزير العدل فى تنجانيقا وليوا سيمانتين وزير الأراضى والخدمات فى حكومة تنجانيقا .

كما اجتمع بالضيفين الشقيقين السيد نائب رئيس الجمهورية حسين الشافعى ، وقد طلب أثناء اجتماعه بهما البدء فى تسجيل فريضة الصلاة ، على اسطوانات باللغة السواحلية المنتشرة فى (تنجانيقا)

وقد قاما بزيارة فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وتحدثا الى فضيلته عن الشئون الاسلامية فى البلد الصديق ، وطلبا ٤٠ منحة دراسية من الأزهر (لتنجانيقا) و (وكينيا) تعزيزا للحياة الاسلامية هناك .

كما زار ضيوف (تنجانيقا) مدينة بورسعيد والاسماعيلية ، وشاهدا معالم المدينتين ، ووضعا اكليلا من الزهر على قبر الجندى المجهول

خطاب من القاهرة

السيّد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
ووزير الشئون الاجتماعية والأوقاف

صداقتنا للدّول على قدر موقفها منا

وحدة الهدف من أهم المبادئ التى يدعو إليها الإسلام

نحن نشعر بأن شرف المسجد من شرف القبلة التى نتجه إليها

موقفنا .. صداقة للجميع

بمناسبة زيارة وفد من رجال الدين يمثل بعض ولايات أمريكا للمؤتمر الاسلامى مساء ١٨ أبريل سنة ١٩٦٢ :

ان مشكلة وجود فلسطين فى أرض العرب تبدأ منذ أن بدأ الانتداب الانجليزى على أرض فلسطين ، تلك القطعة من أرض الوطن العربى ..

ولقد اتخذت الأمم المتحدة قرارات فى صالح عرب فلسطين ، الا أن انجلترا نفذت هذه القرارات بطريقة ملتوية وغير سليمة ، ولم ينل العرب من هذه القرارات الا وعودا نتابعها ونرقبها باهتمام .

اننا كعرب .. نشعر بالنسبة للحياة التى يعيشها عرب فلسطين أن الواجب هو اعادتهم الى ديارهم وعودة ممتلكاتهم اليهم .

ولئن كانت الأمم المتحدة اتخذت حلولا لمشكلة فلسطين ، الا أنها لم تنفذ حتى الآن .. وطبعا كل فعل له رد فعل .

ان الجمهورية العربية المتحدة لها عقيدة تؤمن بها ، وقد دعمت حضارتها مؤسسة على هذه العقيدة .. فالمسيحية فى مصر وجدت أمامها فرصا كبرى عندما دخل الاسلام الى مصر .. ورغم ما للأديان من قوة فان أصلها واحد .. حيث قام أساسا من بيت ابراهيم ، وعنه أخذ عيسى ومحمد .

ولعلكم وجدتم أن اخواننا المسيحيين فى مصر يتمتعون بكامل حريتهم من جميع نواحيها .. ويعيشون فى فرص متكافئة مع المسلمين .

والآن .. أحب أن أقول لكم اننا لا نشعر بعداوة تجاه أحد .. موقفنا صداقة للجميع ..

واذا عادينا أحدا فان ذلك يكون رد فعل لعلاقته معنا ..

وأضرب لكم مثلا بما حدث أثناء العدوان الثلاثى على بورسعيد سنة ١٩٥٦ عندما كنا فى حاجة الى القمح ورفضت أمريكا أن تعطيه لنا .. طبعا لم يكن موقفنا منها على ود ولا مصادقة .. ذلك أمر طبيعى بالنسبة للدولة التى رفضت أن تمد لنا يدها فى محنتنا .

غير أن الحق يقال ..

لقد وقف منا اتحاد الكنائس الامريكى موقفا مشرفا حيث أمدنا بالعون المادى والأدبى فى محنتنا .

لقد كنت وزيرا للشئون الاجتماعية آنذاك واستلمت بنفسى الهدايا التى أرسلها الاتحاد لأهالى بورسعيد .

خلاصة القول ..

ان صداقتنا وشكرنا للدول أو الهيئات هى على قدر موقفها منا ، وشعورها نحونا .

وحدة الهدف

بمناسبة الاحتفال بعرض الكسوة الشريفة وتسليمها بمسجد الامام الحسين فى مساء ٢٩ أبريل سنة ١٩٦٢ :

الحمد لله الذى أمرنا بالعمل على وحدة الصف ووحدة الهدف ..

فالله حين أراد للديانات أن تنحصر فى بيت ابراهيم وتنبعث منه رسالات تنتهى بالاسلام – انما كان فى ذلك معنى كبير يدور حول وحدة الهدف .

والله حين خلق الانسان من مصدر واحد هو آدم – عليه السلام – : « كلكم لآدم وآدم من تراب » – انما أراد بذلك توحيد الانسانية منذ نشأتها ، وفى ذلك توجيه بالتمسك بوحدة القصد ووحدة الهدف .

ثم يشاء الله – عز وجل – بعد ذلك أن تكون الكعبة المشرفة هى الدليل المادى الذى تجسد أمام العالم أجمع بأديانه وملله – عنوانا

على وحدة القصد والهدف ، وذلك حينما يتجه المسلمون الى المسجد الحرام وقبلتهم هذه الكعبة .. متجهين اليها بكل قلوبهم فى كل ساعة من ساعات الليل أو النهار .

أيها المسلمون ..

ان وحدة الهدف من أهم المبادىء التى تدعو اليها وحدة الاسلام ..

وليس من شك فى أن وحدة الصف محققة لوحدة الهدف .

وان الله الذى يجمع قلوب المؤمنين فى بقاع الأرض على هدف واحد هو الكعبة المشرفة ، لهو نفسه القادر على أن يجمعهم مرة أخرى على رفع راية الاسلام، لأنهم يرون فى الحج مقياسا حقيقيا لقوة المسلمين .. ذلك لأن المسلمين أمامهم الكثير من العمل الجاد لرفعة شأن الاسلام ورفعة رايته فى كل موسم من مواسم الحج ، بما هيأ الله أمامهم من وسائل هذا العمل فى مؤتمرهم العالمى الكبير .

واننا لنرقب أن يجىء اليوم الذى يكون فيه للمسلمين السيادة .. ولن تقوم هذه السيادة الا اذا تغيرت شئون المسلمين ، وكذلك لن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

عندئذ يتحقق للمسلمين العزة ووحدة الصف ووحدة الهدف .. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الذى قال فيهم :

« وكذلك جلعناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

رسالة المسجد الجديد

بمناسبة زيارة مسجد أبى بكر الصديق ، بمصر الجديدة مساء يوم ٢ مايو سنة ١٩٦٢

أيها الاخوة المسلمون ..

ان أهم ما يمكن الحكم به على نجاح عمل من الأعمال انما هو التطبيق العملى فى مجال هذا العمل ..

ونحن نبنى المساجد فى كل يوم ..

ومن مجال التطبيق العملى لهذا العمل المتكرر المستمر، نستطيع أن نحكم بأن أعظم هذه المساجد أثرا هو ذلك الذى يشارك فيه الناس بجهدهم ومالهم ورعايتهم له ..

هذا هو العمل الجاد الذى نريده لاعلاء كلمة الله .. كلمة الحق .. كلمة الدين .

لقد كنت أبحث اليوم موضوع انشاء جمعية فى كل مسجد من المساجد تقوم بأداء الخدمات للحى المحيط بالمسجد عن طريق تعاونها وتضامنها فى فهم ما يحيط بها من ظروف ..

وغنى عن البيان أن امام المسجد الذى يشعر بأن من حوله أعضاء هذه الجمعية يشاركونه مسئولياته ، انما يشعر برباط مقدس يضمه اليهم ، وبذلك يعمل معهم فى محيط له صلة بكل ظروف المجتمع الذى حوله .

انه سيكون اذن على صلة بالمجتمع النابض بالحياة .. فاذا تكلم فانما يتكلم عن معرفة فيكون للدعوة أثرها ، لأنها ستكون حينئذ لسانا يترجم عن واقع التطبيق العملى للحياة .

ان الذين يعتلون المنابر ،ولا يتكلمون بما يمس مصالح الناس ، انما يتكلمون فى فراغ ، لأنهم بعيدون عن مجال الواقع الملموس ، وأن المواطنين المصلين لا يحسون بمن يتكلم دون أن يمس مصالحهم وما يعود عليهم بالنفع .

ولذلك فكرت فى أن يكون لكل مسجد جمعية ، لها الحق فى القيام بكل ما يساعد على حل مشاكل الحى ، عن طريق المسجد الذى يجمعهم . وبذلك تتضامن القلوب المؤمنة عن طريق المسجد ، مع جهود الحكومة والدولة ، فى أن تعمل على ايجاد خلية نابضة بالحياة ، يشعر كل فرد بأنه ساهم فيها بجهده وماله .

ان كل انسان له عواطف نحو المسجد الذى يصلى فيه .. ويهمه أن يحافظ عليها لأنه يجعل من المسجد فى حيه ما يقوم مقام الكعبة فى هذا الحى ، وأنه يشعر بأن شرف المسجد هو من شرف القبلة التى يتجه اليها .. ومن هنا نستطيع أن نتبين مقدار الرسالة الكبرى التى يمكن أن تؤديها المساجد عن طريق اقامة الجمعيات فيها .

حديث

مع سفير تونس بالقاهرة أحمد المستيرى

تلقى علومه الثانوية فى تونس والجزائر .. ثم حصل على ليسانس الحقوق والعلوم السياسية من فرنسا ..

جاهد مع اخوانه ضد الاستعمار الفرنسى منذ كان طالبا .. فدخل الحزب الحر الدستورى التونسى عام ١٩٤٢ واشتغل بالمحاماة .. واشتغل بالصحافة .. واشترك فى جمعية الشبان المسلمين .. خبير فى شئون الاقتصاد والتجارة والقانون السياسى.

بعد استقلال تونس انتخب نائبا فى مجلس الأمة .. أو مجلس تأسيس لوضع الدستور .. تقلد وزارتى العدل .. ثم المالية .. ثم عين سفيرا لدى تونس فى الاتحاد السوفيتى .. ثم فى القاهرة عام ١٩٦١ .

– كيف وجدت الجمهورية العربية المتحدة ؟

– أنا سعيد لوجودى فى الجمهورية العربية المتحدة .. فى الحقيقة كنت أتشوق منذ زمن الى زيارة القاهرة ولكن لم تتح لى الفرصة حتى أسعدنى الحظ وكانت أول زيارة لى كسفير وهذه من الأمور التى أحمد الله عليها كثيرا ..

مساوىء الاستعمار فى تونس :

– ناضلت تونس ضد الاستعمار الفرنسى

سنين طويلة حتى نالت استقلالها .. فما هى الآثار السيئة للاستعمار على شعب تونس العربى المسلم .. وكيف أمكن التغلب على هذه الآثار بعد الاستقلال ؟

ـ الاستعمار آثاره معروفة .. وخاصة الاستعمار الفرنسى .. وقد كان يرمى الى تغيير وجه تونس العربى الاسلامى والقضاء على شخصيته وبيئته وفرنسته ..

كان يرمى الى الحاق تونس والمغرب والجزائر بفرنسا باعتبارها مقاطعات فرنسية فلا فرق بين الاستعمار فى تونس والاستعمار فى المغرب والاستعمار فى الجزائر .. كان يهدف الى السيطرة على كل شىء .. ادارة .. اقتصاد .. والقضاء على جميع المقاومات القومية العربية ..

وقد قاوم الشعب التونسى هذا الاستعمار البغيض .. وكافح قرابة ٣٠ عاما وشبت الثورات التحريرية ثورة اثر ثورة .. ومظاهرات .. وسجون .. ومنفى .. صفحات كتبها الشعب العربى ضد الاستعمار فى نضاله ..

وقد يكون من الغريب ان احمد الله على هذا الاستعمار وكفاحنا ضده وذلك لأن هذا الاستعمار وهذا الكفاح قد مكن الشعب من النهوض والتيقظ .. بحيث يمكننى القول أن الشعوب التى يكتب لها فى التاريخ ان تكافح وتناضل ضد الاستعمار هى الشعوب التى يكتب لها الرقى والالتحاق بركب الحضارة بينما الشعوب التى لم تصبها ويلات الاستعمار تظل تسبح فى النوم وتنعم بأحلام المجد القديم دون أن تتطور وتتقدم .. وكفاحنا ضد الاستعمار قد مكن شعوبنا من ان تفيق من ثباتها الطويل منذ عصور الانحطاط وبعد الاستقلال .. كان همنا الأول هو التخلص من بقايا الاستعمار لأن الاستعمار لا ينتهى بمجرد اعلان الاستقلال فان له مخلفات .. قواعد .. قيود .. روابط .. لذا كان همنا الأول التخلص من مخلفات الاستعمار والقضاء على بقاياه فى جميع الميادين .. أولا فى ميدان السياسة ثانيا فى الميدان الاقتصادى والثقافى .. فقد كانت مناهج التعليم فى المدارس فرنسية صرفة لا يكاد يوجد للعربية والدين الاسلامى مكان فيها .. تمشيا وراء فكرة تغيير وجه تونس وفرنستها .. وبعد الاستقلال وضعت أسس جديدة لتعريب التعليم فى جميع مراحله ... هذه المسائل كلها قامت بها تونس للقضاء على آثار الاستعمار السيئة .

التعليم فى تونس :

ـ على ذكر التعليم .. ما هو نظام التعليم فى تونس ؟

ـ كان التعليم قبل الاستقلال نوعين : تعليم قديم قاصر على جامعة الزيتونة وهى مثل الأزهر هنا واقدم من الأزهر لان الذى بنى الأزهر ليلة رحلته الى القاهرة صلى الفجر فى جامع الزيتونة ..

أما التعليم الحديث فكان كله فرنسيا .. وبعد الاستقلال .. كان الشغل الشاغل للحكومة هو تعريب التعليم وتوحيده .. فاندمج التعليم القديم بالحديث ووضع برنامج شامل للتعليم فى جميع مراحله .. وانشئت كلية الشريعة وكلية أصول الدين بجامعة الزيتونه وانشئت جامعة جديدة بها كليات للطب والقانون والآداب .. هذا غير المدارس الابتدائية والثانوية ..

أهم الشخصيات التونسية المناضلة :

ـ تاريخ تونس حافل بالبطولات والتضحيات الشعبية الرائعة .. فما هى أهم الشخصيات التونسية التى كان لها دور فى خدمة الاسلام وقضايا المسلمين ؟

ـ فى تونس علماء بارزون أسهموا فى نشر الاسلام فى ربوع البلاد .. يضيق المجال هنا عن حصرهم .. مثل الشيخ سالم بو حاجب والشيخ عبد العزيز الثعالبى وهو معروف فى العالم الاسلامى كله فقد نفاه الفرنسيون عشرين عاما .. وزار كل بلدان العالم الاسلامى .. القاهرة .. المهجر .. اندونيسيا

علم النفس والدين الإسلامي

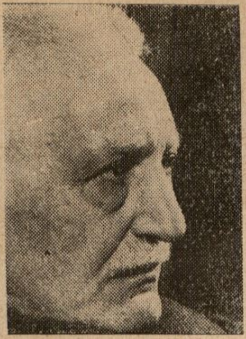

الأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد

هذه المحاضرة أعدت لالقائها بقاعة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

يسمى علم النفس أحيانا بعلم الانسان العصرى ، أو علم القرن العشرين ، وينسب معه الى هذا القرن علمان آخران كبيران : هما علم الكيمياء ، وعلم الاقتصاد السياسى ، وكلها مما يتسم بين العلوم الكثيرة بقرب الصلة بينه وبين هذا القرن العشرين .

ولم تنسب هذه العلوم اليه لأنها نشأت فيه ولا لأنها أحدث العلوم التى يتعلمها أبناؤه ، ولكنه يتميز بها حيث لا يتميز بعلم غيرها لأنها اختلطت فيه بمعيشة أهله أفرادا وجماعات ، وكادت تدخل بآثارها فى كل بيت ، وكل مجال ، وكل مثابة عامة يثوب اليها الناس ، واحتاج اليها كل مشتغل بعلم من العلوم الأخرى لفهم علمه أو لتطبيقه أو لتدعيم سنده ، فأصبح كل منها خليقا أن يسمى علم العلوم على نحو من الانحاء .

فالكيمياء هى علم الصناعات التى تستخرج المنافع من ثمرات الطبيعة وتحكى تلك الثمرات أحيانا بما يشبهها ويغنى غناءها ، وتجعل من الشجر لباسا يغنى غناء النسيج من ديدان القز ومن الجماد لباسا يغنى غناء قشور الشجر ، وتصنع مثل هذا الصنيع فيما يحتاج اليه من الغذاء والدواء والمسكن والمركب ، بل تصنعه فى كل جزء من أجزاء المادة من شوامخ الأطواد الى الذرة التى تعرف بالحساب ولا تتمثل للعيان .

وعلم الاقتصاد السياسى فى هذا العصر هو فيصل المبادىء والقوانين الاجتماعية ، التى ترتبط بها حقوق الأفراد والطبقات ومعاملات الأمم ، وعلاقات الدول ودساتير الأسواق ، ومطالب الرعية وسلطان الراعى الذى يتولى تصريف مواردها ومصادرها ، وما من قضية من قضايا الجماعة البشرية فى العصر الحاضر تنفصل بحذافيرها عن مبادىء هذا العلم وقوانينه فى جملتها وتفصيلها ، وان اختلفت الآراء حول تلك المبادىء وكثر التعديل والتبديل فى تلك القوانين .

أما « علم النفس » فهو علم الانسان فى عالمه الداخلى كله ، وهو ألصق بالانسان وأحرى بعنايته وأهدى الى أسباب سعادته وشقائه من ذلك العالم الخارجى الأكبر الذى يتداوله ذانك العلمان الآخران علم الاقتصاد السياسى وعلم الكيمياء .

تشعبت فروعه وتعمقت جذوره حتى أوشكت أن تسع كل ما وسعته نفس الانسان من معرفة وعاطفة ومن حق ووهم ومن واقع وخيال .

وقد كان فى نشأته فرعا لعلم الطب أو لعلم الأخلاق ، فأصبحت فروعه اليوم تستوعب من جوانب البحث فنونا لا يلم الطب بها ولا تحصرها دراسة الأخلاق : **بين علم النفس للفرد ، وعلم النفس للنوع بأسره ، وعلم النفس للجماعة أو للطبقة ، وعلم النفس للصناعة ، وعلم النفس للتجارة وعلم النفس للعلاج ، أو للتعليم ، أو للاصلاح أو للجريمة ، أو للاختبار** الذى يتصل بشتى الأعمال ومختلف المطالب الانسانية ، بل مطالب الحيوان فى جملة شئونه التى ينتفع بها للمعيشة أو ينتفع بها لتحقيق المعرفة وتصحيح تاريخ الانسان ، قبل عصور التاريخ .

واتصلت فروع هذا العلم بعلوم أخرى كانت لها أبوابها ، وموضوعاتها المستقلة قبل أن يعرف علم النفس باسمه الحديث ، ومنها علم الانسان أو (**الانتروبولوجى**) ، وعلم الأجناس البشرية أو (**الاثنولوجى**) ، وعلم الأحافير أو (**الأركيولوجى**) ، وعلم الأخلاق ، وعلم المقارنة بين الأديان .

ولهذا صح أن يقال فيه أنه « علم الانسان العصرى » على الاطلاق ، لانه حول نظره الى داخل نفسه وفتح أمامه فى هذه الناحية بابا أوسع من أبواب العوالم التى يشهدها بعينيه ، وليس لهذه العوالم وجود بالنسبة الى الانسان ما لم يكن لها وجودها الباطن فى علمه أو قرارة نفسه ، والا فهى والمجهول عنده سواء .

على أن العلمين الآخرين اللذين ينسبان الى القرن العشرين يقتربان يوما بعد يوم الى أعماق النفس الانسانية ويطرقانها دراكا تباعا من عدة أبواب .

فعلم الكيمياء يعرض المادة كلها فى الصورة التى تعلم الماديين دروسا من التواضع جهلوها قبل جيل ، لأنها تسرى بالرعشة الى تلك الأيدى التى كانت تدق على الجسد الصلب لتقول فى زهو الثقة والخيلاء « **هذه هى الحقيقة الملموسة المحسوسة وكل ما عداها مما وراء الحجب باطل موهوم** » .

فاليد التى كانت تدق هذه الدقة على الخشبة أو الحديدة ، أو الصخرة تتراجع الى جنب صاحبها ، وترجع بالبصر معها ، لتنظر الى المادة فى حقيقتها فاذا هى حقيقة تلمحها العين كما تلمح حقائق النفس الخفية ، ولا تدركها وراء الشعاع الخاطف الا كما يدرك الفضاء أجسام من عناصر أو عناصر من ذرات ، وذرات من شعاع ، أو شعاع من فضاء يرجع الى فضاء ، وحقيقة بعد ذلك من حقائق النفس التى تعود بنا الى بواطنها وبواطن كل شىء فى هذا الوجود ، أيسر ما نعرفه منه هذا الذى يدق باليدين وتصدمه القدمان ، أو يصدم القدمين .

واذا كان هذا هو شوط الكيمياء فالى أين ينتهى بنا الشوط مع علم الاقتصاد ؟ : علم الأوراق المعدودة بالأرقام ، أو علم المسكوكات ذوات الرنين واللمعان .

كل قيمة فى هذا العلم المحسوب المعدود فانما يقومها معيار واحد : هو معيار « الثقة النفسية » .. وكل قوة تكسبها هذه الثقة أو كل ضعف يعتريها فمرجعها فى النهاية اختلاف بين نفوس بشرية فى عقيدة أو رأى أو فهم لمعنى الحرية أو معنى النظام ، ومهما يكن من حساب المادة فى هذا الاختلاف فهو حساب أصفار مالم تسجله النفوس البشرية بعد ذلك ، أو قبل ذلك ، بأرقام الرضى والقبول ، أو أرقام النفرة أو الاباء .

فعلم الأجسام — وهو الكيمياء — وعلم المال — وهو الاقتصاد — كلاهما فى القرن العشرين قريب من علم النفس فى تفريعاته الكثيرة وهو الى عالم النفس البشرية أقرب منه الى عالم المادة الصماء ، لاجرم يدخل كلاهما فى نطاق موضوعاته من باب رحيب أو من أبواب عدة ، فيصبح علم الخلية الحية مقترنا بعلم الذرة فى الكيمياء التى سميت بكيمياء الحياة

وتصبح ادارة المرافق العامة وتدبير الثروات الاقتصادية دراسة نفسية من ألزم الدراسات الضرورية . لنفسيات الجماهير . أونفسيات الآحاد ..

لكننا نشير اليهما فى هذا الحديث بمقدار هذه الصلة التى تؤول بهما من العالم الخارجى

الى العالم الأكبر : عالم السريرة الانسانية ، **فان لهذه السريرة أعماقا هى فى حياة الانسان أبعد أمدا وأهدى رشدا ، من أعماق الأرض أو أعماق الفضاء .**

وعلم النفس كله موكل بالأعماق الخفية .

علم النفس كله موكل بالبواطن التى تفسر لنا أعمالنا الظاهرة ، كلما احتاجت الى تفسير صحيح فلم نجد تفسيرهاالصحيح فى الظوهر المحسوسة .

ولا يشذ عن مذاهب علم النفس الكثيرة مذهب « السلوكيين » الأخير وهم أقرب الباحثين النفسيين الى الظواهر والمحسوسات.

فهؤلاء السلوكيون معروفون بمذهبهم المشهور فى تفسير السلوك النفسانى بحركات الأعصاب وخوالج الدماغ وعوارض الوظائف الجسدية على التعميم ، ومن أدواتهم لتسجيل هذه العوارض أجهزة كهربية ترسم الهزات الباطنية بالأدمغة أو فى أعصاب الجوارح وعضلات الأيدى والاقدام ، وربما اكتفى بعضهم فى تفسير السلوك الانسانى بمجموعة من رسوم هذه التسجيلات تصف لهم حركات الجسم من رأسه الى أطرافه ولا يزيدون عليها ، ولكن هؤلاء السلوكيين يوغلون فى أسرار الحياة الباطنة كلما حاولوا الابتعاد منها ، وآخر ماثبت من تجاربهم فى مدرسة « **بافلوف** » امامهم الكبير أن الوظائف الجسدية كلها مرتبطة بالارادة وان الارادة مرتبطة بوعى الدماغ مابطن منها وماظهر . خلافاالأقوال الاطباء قبل القرن العشرين ، اذ كانوا يقسمون الوظائف الى ارادية « سمبتاوية » وغير ارادية لاتتأثر بتوجيه الدماغ . فجاء « بافلوف » وتلاميذه فأثبتوا أن وعى الدماغ باطنا وظاهرا يوجه الأعضاء جميعا ويبلغ من أثره أحيانا أن يؤجل فعل السموم القاتلة الى أن يتنبه فيجرى الأثر المألوف الى العروق والأعصاب فى مجراه

ومهما يكن من خفاء الوعى فى الدماغ فالسلوكيون الذين يعولون عليه هم أقرب الباحثين فى علم النفس الى الظواهر الحسية ، كما تقدم .

وأعمق منهم فى هذه المباحث أناس يوغلون فى القدم عند البحث عن أصول الأعمال الانسانية فيرجعون بها الى تجارب النوع البشرى قبل التاريخ ، ويقتصد بعضهم فيرجع بها الى موروثات الانسان فى الأسرة من قبل ميلاده ، ويرجع بها غيرهم الى تكوينه فى طفولته ولا يستغنى عن مراجعة تكوين الأسرة من أبويه واخوتهم ، وكلهم — من أجل هذا — يضرب فى أكناف ليل غامض بعيد الآماد مترامى الأطراف ، يتهدى فى أطوائه بالظن والتخمين مرات كلما تهدى فيه مرة بالتحقيق والتقدير المزعوم بالبراهين .

ومن ثم يقول الكثيرون ان تسمية هذه المباحث « بالعلم » فيها ترخص كثير ، وأنها أولى أن تسمى بالدراسات أو المباحث أو الفروض ، فان سميت بالعلم تيسيرا للاشارة اليها فلتكن علما اليوم كما كان الفلك علما من قبل ، على اتساعه للكثير من الخرافات والأوهام ، ثم تصدق عليه التسمية جيلا بعد جيل .

وأولى النظريات فى مذاهب علم النفس بالتحفظ والأناة : تلك النظريات التى تعرض للعلل النفسية ، أو لما يسمونه بالعقد النفسية ويضعون بها القواعد للتمييز بين الانسان الطبيعى ، والانسان غير الطبيعى ، أو بين السليم والمعتل ، أو بين القويم والمنحرف على السواء .

فان كثيرا من هذه الحالات التى يظن بها المخالفة لسواء الخلقة انما هى حالات طبيعية يبحث عن أسبابها فى تعدد ألوان الطبيعة الانسانية ، ولا يدعو الى وصفها بالانحراف الا الخطأ فى اعتبار الطبيعة السوية نموذجا واحدا

على حالة واحدة وكل ماخالف هذا النموذج فهو منحرف عن السواء .

هذا خطأ لاشك فيه ، فاننا اذا نظرنا فى عالم الأجساد المحسوسة ، فضلا عن عالم النفوس الخفية ، لم نستطع أن نجد مثالا واحدا للجسد الصحيح على وتيرة واحدة فى الطول والوزن والتركيب والتناسب واللون والصورة ، بحيث تكون الأجسام الصحيحة كلها تكرارا له بغير اختلاف ، ويكون كل ما عداها الى اختلاف أو انحراف .

سمعت مدرسا من المولعين بالمباحث النفسية يقول عن تلميذ يميل الى اللون البرتقالى من بين الألوان ، **ان هذا التلميذ مصاب بعقدة نفسية .**

فسألته : واذا لم يكن مصابا بعقدة نفسية فأى الألوان كان يختار ؟!

وعاد المدرس الى نفسه يسألها : فلم يجدلونا يختاره فلا يتجه اليه مثل هذا الظن ، فلا اختيار الأخضر ، ولا الأزرق ولا الأحمر ، ولا الأصفر ولا غيرها من الألوان الخالصة أو الممتزجة يصح أن يكون نموذجا واحدا للذوق السليم لاتجوز المخالفة فيه .

وكل ماستطاع المدرس المولع بعلم النفس أن يقوله : أن الطفل السليم تتساوى عنده جميع الالوان .. وهذا أيضا خطأ لاشك فيه ، لأن الألوان لاتختلف لتكون سواء فى جيمع الأحوال عند جميع الناس .

وأصح المذاهب النفسية فى هذا الباب هو مذهب « يونج » عن النماذج البشرية ، فليس الانسان المثالى نموذجا واحدا ، ولا يمكن أن يكون نموذجا واحدا مع هذا التركيب الذى يقع فيه الاختلاف لا محالة ، لاختلاف العوامل الطبيعية الكثيرة التى لاتوافقها

ويونج يقسم النوع البشرى الى قسمين كبيرين ، وهما قسم المنطوين أو الانطوائيين الذين يحتجزون فى معاملاتهم لغيرهم ، وقسم المتكشفين أو الانبساطيين الذين يتبسطون مع الناس فى عواطفهم وعلاقاتهم وأحاديثهم ، ولايشعرون بالحواجز الكثيرة بينهم وبين الآخرين .

وكل قسم من هذين القسمين له نماذجه المختلفة على حسب الطابع الغالب على صاحبه ، من طوابع التفكير والتأمل ، أو طوابع العمل والحركة ، أو طوابع العاطفة والوجدان ، أو طوابع الحس والشعور .

فليس هناك نموذج بشرى واحد يقاس اليه العمل الصحيح ،

وليس هناك انسان يكون عمله قياسا يقتدى به جميع الناس ، وتقاس اليه الصحة والمرض فى جميع ما يعملون .

وانما العمل نفسه هو مقياس السواء والانحراف عند الموازنة بين أسبابه ونتائجه أو بين دواعيه وغاياته .

فالرجل الذى يخاف ركوب البحر – سليم – اذا كان خوفه على قدر الخطر الذى يهدده منه ، يخافه وهو فى الزورق الصغير أشد من خوفه وهو فى السفينة الكبيرة ، ويخافه وهو هائج مضطرب أشد من خوفه وهو هادىء مستقر ، ويخافه بحسابه الذى لابد منه فلا يخافه كأنما كل راكب عليه يغرق لامحالة ، ولا يخافه كأنما هو على يقين من نجاة كل راكب عليه

أما اذا كان خوفه للبحر غير مقترن بتقدير من هذه التقديرات ، أو كان خوفه للبحر حين يذكره ، وان لم ينظر اليه ، أو كان خوفه كخوف ابن الرومى حين قال :

وأيسر اشفاقى من الماء أننى
أمر به فى الكوز مر المجانب

فتلك هى علامة الانحراف ، وذلك هو عوج الطبع الذى لايستقيم بصاحبه على اعتدال .

ويحب الانسان المال ليقضى به مصالحه ومطالب حياته ، فاذا كان حبه اياه لغير مصلحة ولا مطلب بل اذا كان يجوع وعنده المال فلا يأكل ، ويعرى وعنده المال فلا يشترى الكساء ، ويمرض وعنده المال فيضن به على ثمن الدواء ، فذلك أيضا هو الانحراف والعوج عن الطبع القويم !

ولاينتهى التحفظ عند هذا الحد من الموازنة بين أسباب العمل ونتائجه أو بين دواعيه وغاياته .

بل ينبغى أن نتأنى لنحقق سبب العمل فى نفس العامل ، أو نحقق أنه يرجع الى طبعه ولا يرجع الى ضغط العرف الغالب واملاء الجماعة التى يعيش فيها على عقله ومشيئته

صاحب حقل فى حراسة حقله ينقض عليه منسر من مناسر اللصوص ليغتصب ثمراته ويقضى على حياته اذا حال بينه وبين مأربه ، فيحمل الرجل سلاحه ويصيب به من يخشى أن يصاب على يديه . لأنه يعلم أنه مقتول مغصوب ان لم يقتل الغاصب الباغى عليه .

هذا حادث قتل من حوادث الحراسة المشروعة لاغبار على طبيعة صاحبه ولا محل للبحث فيها عن موضع العوج والانحراف من سواء الفطرة وبراءة الطوية .

ولكن حوادث الحراسة قد تروى لنا من وقائعها العديدة نبأ غير هذا النبأ ، ومما سمعناه من هذه الأنباء ـ ربما سمعتم مثله .

أن عابر سبيل مال على حقل ناضج الثمرات فاقتلع منه ثمرة ليأكلها ولعله لم يكن لصا يستبيح السرقة بل أخذ تلك الثمرة لطعامه فى ساعة جوعه وعجزه واطمئنانه الى غفلة الحارس عن صنيعه . فيدركه الحارس فيأمره بأن يعيد الثمرة الى موضعها من الشجرة التى اقتلعها منه ، ويحس الرجل هذا العنت من صاحب الحقل ، مع مابه من مرارة الجوع والفاقة ، فيتحداه بالرفض ويتلقى منه الوعيد بمثله ، فتقع الواقعة وتنتهى الى مقتل الرجل فى عراك لايدرى من البادىء فيه بالبغى على حياة غريمه .

فهذا ـ أيضا ـ حادث من حوادث الحراسة ـ جاوز الأمر فيه قدره وخرج عن سوائه ، فليس القتل هنا مما يقتضيه رد الثمرة المنزوعة ولا حراسة الثمرات الباقية ، ، ولكنه نزعة من نزعات الشر التى تدخل فى حساب علم النفس وتشغل الباحثين فيه عن أسرار الطبائع وأسباب العدوان والجريمة .

ولكننا نخطىء اذا انتهينا بالنظر الى هذه النهاية ولم نجاوزها الى ماوراءها ، فالقتل هنا جريمة لاتناسب بين بواعثها وغاياتها ، وعمل نقيسه بمقياس الأعمال الذى ذكرناه آنفا فلا يخفى علينا مافيه من علامات الخلل والانحراف ولكن من المسئول عنه فى هذا الحادث ؟

ان كان شطط الحارس من فعله ومن وحى طبيعته وعقله فهو مختل الطبيعة لامراء ، وعلته علة نفسية ، أو عقدة نفسية ، مما يصدر عن طبيعة الفرد ويحاسب عليه وحده .

الا أن العيب هنا قد يسرى اليه من ضغط الجماعة ولاينحصر فى دخيلة نفسه بمعزل عن سائر نظرائه بين أهله وعشيرته .

وقد يكون من جماعة توحى اليه أن صاحب الحقل الذى تؤخذ ثمرته على مشهد منه ليس برجل ، وانه مستباح الحمى مبذول العرض مستحق للمذلة ممن يبغى عليه فى عقر داره .

وقد يكون هذا الوحى الاجتماعى أقوى وأفعل فى نفسه من زواجر الشريعة وضوابط العقل والروية ، فلا يكون مقياس العمل الطائش هنا تناسبا بين خسارة الثمرة وحمايتها . بل تكون الخسارة المحذورة هنا خسارة السمعة وضياع الحوزة فى تلك الثمرة وماهو أكبر منها ويكون العمل مساويا للباعث عليه والغاية منه فى هذه الحالة ، ولكن العقدة النفسية فيه هى عقدة الجماعة التى غلبتها بقايا الغريزة على آداب الحضارة وأوامر العرف والشريعة .

والباحثون فى « نفسيات » الجماعة يوغلون فى القدم الى ماوراء هذه الأدوار الاجتماعية التى نعهدها فى الحضارات المختلفة .

فالنوع البشرى كله قد مرت عليه ألوف السنين قبل عصور الشريعة ، وعصور النظام والحضارة ، وقد سكنت فى قرارة الضمير منه مخاوف لايحصى لها عدد ولا يسبر لها غور ولا تؤمن لها نكسة ، مخاوف من السباع العادية ، ومخاوف من أرواح الظلام وشياطين المكر والغيلة ، ومخاوف من البروق والرعود ومن الأعاصير والسيول ، ومخاوف من الحر والبرد ومن العرى والجوع ومن المرض والوجع ومن السحر والخديعة ، ومخاوف من أبناء نوعه الغرباء عنه ومن أبناء جيرته وأقرب الناس اليه .

وتنقضى على ذلك حقبة بعد حقبة، ودهر بعد دهر ، وألوف السنين بعد ألوف السنين ، ثم تأتى الحضارة بقوانينها وآدابها فتمحو من هذه المخاوف ظاهرها المكشوف ، وتقصر عما دونه فى قرارة النفس من فزع مجهول ، وحذر كامن ، ووهم دخيل ، وتتفاوت الحصتان فى الجماعات البشرية كما تتفاوتان فى قرارة كل نفس من نفوس أبنائها ، ونعنى بهاتين الحصتين حصة الظاهر الذى يدركه عمل الحضارة ، وحصة الباطن الموغل فى القدم من وراء علم الجماعات ومن وراء الحضارات والشرائع والقوانين .

وذلك أخطر مافيه .

أخطر مافيه أنه فزع فى الظلام المطبق لايدرى له سبب ولا يعرف الخائف المذعور أنه مستقر هناك .. حتى يعود ثانية من أعماق الظلام مع كل فزع جديد ، الى ضوء النهار .

فالنوع البشرى كله يحمل ماضيه المفزع فى أطواء غرائزه المكنونة ، وأعماق ضمائره الخفية ، وتأتى أطوار الحضارة فتغشى تلك الأعماق بطبقة من الصقل والسكينة تسترها ما دامت على هينة من أمرها فى عهود الدعة والطمأنينة ، فاذا عنفت بها الأحداث فى عهد من عهود القلق والهياج ، وقعت النكسة ووثبت الهمجية من أغوارها فاندفع المتحضرون كما يندفع الهمج المتبربرون ، بل كما تندفع سباع الوحش والطير الى كل نكراء من قبائح الفتك ورذائل السوء ، وصنع ابن القرن العشرين ماكان يصنعه أبناء الكهوف والغيران قبل عشرات الألوف من السنين ، وما حديث المذابح والفضائح فى ثورات هذا الجيل وحروبه بالبعيد .

ففى هذه الثورات والحروب يجاوز عنف الانسان حدود الباعث عليه والغاية منه ، ويتلظى الضمير الانسانى بأجيج من المقت والضغينة وبراكين من الحزازة والعصبية ، لاتفسرها الأسباب الحاضرة التى تجرى على الألسنة ، وانما تفسرها الغرائز المكتومة التى لايرتفع خبرها الى هواجس الذهن فضلا عن كلمات اللسان .

وتلك هى « العقدة النفسية » الكبرى فى طوايا النوع البشرى من قديمه الى حديثه .

وعلامة العقدة النفسية – كما تقدم – أن تتباعد المسافة بين بواعث العمل وغاياته ، وبين دواعيه ومسوغاته ، وليس أبعد من ذلك فى أعمال العنف التى تتمخض عنها العداوة بين الأقربين فى الثورات والعداوة بين الغرباء فى الحروب .

ولهذا ينقص معنا عدد العقد النفسية كثيرا كلما رجعنا الى تلك العقدة النفسية الكبرى التى كمنت فى أعماق النوع البشرى كله ، فان أكثر العقد فى نفوس الأفراد انما هو نكسة يسهل ظهورها . أو يصعب مع الزمن على حسب الظروف . وانما يسهل ظهور تلك النكسة كلما رقت على الطبائع قشور الحضارة فلم تتغلغل الى الأعماق .

ان العقدة النفسية الكبرى فى أعمال النوع البشرى قد تتلخص فى كلمتين وهما : المخاوف المجهولة .

وان الشفاء من تلك العقدة يتلخص فى كملتين أخريين : وهما الثقة البصيرة .

والثقة البصيرة فى كلمة واحدة هى « الايمان » لأنه أمان وائتمان

أو نعيد القول بعبارة أخرى فنقول ان الايمان هو الدين القويم

ولقد يعود الأمان من تلك المخاوف المكبوتة الى عامل السلطان فى يد القبيلة ، أو يد العشيرة أو يد الأولياء على الجماعات والشعوب

ولكن السلطان الانسانى قد يلوح لبنى الانسان كأنه كبت فوق كبت ، وتخويف فوق تخويف ، وقد يتمرد عليه المتمرد كلما خلا الى هواه وابتعد به المكان من الرقابة ، وانما يأتى الايمان – أو يأتى الأمان – من سلطان فوق سلطان الانسان يدين به الخاضع له لأنه مطمئن اليه ، ولأن اطمئنانه اليه سابق لخوف العقاب والخضوع للسلطان .

والذى نحسه ونتبينه من تاريخ هذا النوع البشرى أن تربيته التى لاتربية له أصلح

منها وأجدى فى رياضة تلك الغرائز الضارية انما هى تربية الدين ، وانما تترقى به تلك التربية كلما ترقت فى طريق الثقة البصيرة، وهى هى طريق الايمان ٠

من هذه الوجهة تتصل دراسات علم النفس بالدين كافة فى نفس الانسان الفرد ونفس الجماعة العامة ، ولا سيما الدين الذى تهيأت له النفوس بعد التقدم فى معارج الحضارة ، فان هذا الدين يلتقى بالنوع الانسانى فى ابان حاجته اليه واستعداده لتلقيه ويلتقى به ليطب لدائه الأكبر داء المخاوف المبهمة : يطب له بدواء الثقة واليقين البصير ٠

ونخص الدين الاسلامى فى هذا المقام بتوكيد العلاقة بينه وبين الدراسات النفسية وما تهتدى اليه مذاهبها ، ومدارسها ، من ضروب الوقاية والرياضة ، لأننا مع الايمان بالأسلام نرى من الوجهة العلمية أن العقيدة التى تعصم الانسان من أكبر دواعى المرض النفسانى : هو باتفاق المذاهب يرجع الى علة واحدة محيطة بجميع العلل ، وهى علة الانقسام الداخل ، أو علة التصدع التى توزع النفس شيعا بين النقائض والأضداد ، وتفقدها الوسيلة التى ترأب بها صدوعها وتعيد بها الوئام والألفة بين مقاصدها ونزعاتها ٠

فليس أخطر على الانسان الفرد من توزع الفكر والنية بين النقائض المختلفة ، ومن هذا التوزع الأليم ينساق الفكر الى بلباله المريض، ويقع فى الداء المعروف **بداء الفصام ،أوانقسام الشخصية ٠**

ويقترن بهذا الخطر وقد يكون من أسبابه داء الحيرة بين حياة الروح وحياة الجسد ، وبين تغليب حياة الروح بالجور على المتعة الحسية ، وتغليب حياة الجسد بالاسترسال مع الشهوات والاقبال على اللذات الحيوانية دون غيرها ، ويتحقق الخطر على الطبع السليم عند الوقوف فى مفترق الطريق بين النزعتين المتدابرتين كأنهما عدوان متقاتلان ، ينتصر أحدهما بمقدار مايصيب الآخر من الخذلان والهزيمة ٠

وأجمع من هذين الخطرين خطر انقسام الوجود كله بين عالم يسمى « عالم الملكوت » ، وعالم يسمى « عالم الشيطان » أو « عالم الهاوية » فان صراع النفس بين هذين العالمين يقضى على الانسان أن يكون ملكا سماويا ، أو شيطانا مريدا من شياطين الهاوية ، ويجعل الضمير ساحة حرب لاتهدأ بين عدوين لايتفقان ولا يكفان عن العراك ، واذا اتفقا فانما هى خلسة فى انتظار الوثبة بعد حين ٠

ويلحق بهذه الأخطار العامة خطر الانقسام فى النوع الانسانى بين سلالة يختارها الله ، وسلالة ينبذها ولا يتقبل منها مايتقبله من أخواتها فى الانسانية ، وقد ينقسم النوع الانسانى مثل هذا الانقسام بين **قسم ملعون بالوراثة ، وقسم مغفور له بالكفارة من غير عمله ٠**

وكل أولئك باب من أبواب الفتنة مصيره الى الفصام فى نفس الفرد ، والفصام فى نفس الجماعة ، أو الفصام فى بديهة النوع كله ، كما تستقر فى العصبيات الموزعة بين شعوبه وأجياله ، وتلك هى فتنة الذين فى قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم ، والظالمين الذين قال لنا الكتاب الحكيم أنهم فى شقاق بعيد ٠

وفى الاسلام عصمة من كل داء من أدواء هذا الفصام ، الذى يمزق طوية الفرد ، أو يمزق صورة الوجود كله بين خصومات الفكر ، وخصومات العقيدة وخصومات المثل العليا فى كل قبلة تتجه اليها ٠

فليس فى الاسلام عداء بين الروح والجسد، وليس للجسد فيه محنة تمتحنه بالصراع بين الطيبات من متعة الروح ، أو متعة الجسد ٠

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين »

وليس فى الوجود عالم لله وعالم للشيطان أو عالم للسماء وعالم للهاوية ، « بل لله الأمر جميعا ٠٠ ولله المشرق والمغرب »

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »

ومن فاتحة الكتاب يعلم المسلم أن الله رب العالمين ، ويعلم من كل ماورد فى كتابه عن هذا النوع الانسانى أنه أسرة واحدة لافضل فيها لأحد على أحد بسلالته ، أو بنسبه ، أو بلونه الا بالتقوى ، « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ٠ انالله عليم خبير** »

« وماكان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »

فليس فى العقيدة الاسلامية انسان متصدع يتوزع بين نوازع الروح ونوازع الجسد ، وليس فيه ضمير متصدع يتوزع بين الدنيا والآخرة

وليس فيه عالم متصدع يتوزع بين السماء والهاوية ، ولا خليقة متصدعة تتوزع بين اللعنة الأبدية أو المغفرة الأبدية ٠

وفى عقيدته ما يعصم من كل فصام ، وليس فى عقيدته منفذ لفصام تتسرب منه أدواء النفوس ، وكل أدواء النفوس فانما يرجع الى الشقاق البعيد فى ضمائر مرضى القلوب ٠

وفى اسم الاسلام دليل على مافى العقيدة الاسلامية من دعائم **الثقة واليقين** ٠

فالاسلام تسليم وسلام ، ومن تمكن فى قلبه فهو أمان وايمان ، وقد كان الأعراب مثلا للانسان فى جاهليته الأولى وهو يخطو خطواته الطوال من مخاوف الجاهلية الى يقين البصيرة ، وفى هذا المعنى يقول الكتاب الكريم : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »

وما أوضح المفرق بين هذه المناهج الثلاثة فى تاريخ الانسان : **جاهلية ، وتسليم ، وايمان**

وصفوة القول فى هذه الصلة بين عالم النفس والدين الاسلامى أن دراسات العلماء تجمع الادواء النفسية كلها فى داء واحد وهو داء الضمير المدخول ، أو الضمير المنقسم على نفسه ، وانها تجمع الطب النفسانى كله فى دواء واحد وهو دواء اليقين والايمان ، وذلك دواء عند الدين وليس منه عند العلم غير القليل لان العلم سبيل مايعرف ولا حاجة به الى ثقة وتسليم ، وانما يؤمن الانسان ليعرف كيف يثق وكيف يبصر موئل الأمان ثم يركن اليه ركون العارف الآمن ركون الاسلام والتسليم ٠

فى هذا المكان الذى يتسم باسم الأستاذ الامام ، يحضرنى قوله وهو خارج من بيت الفيلسوف الانجليزى « هربرت سبنسر » ، وقد سمع منه نعيه على الأوروبيين أن الحق عندهم للقوة فى هذا الزمن ٠

قال الاستاذ الامام رضى الله عنه : « هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد فى راحة الانسان ٠٠ أعجزهم أن يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها عليه حتى يعرفها ويعود اليها ٠٠ هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كانت من الحديد اللامع المضىء أفلا يتيسر لهم أن يجلوا ذلك الصدأ الذى غشى الفطرة الانسانية ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود اليها لمعانها الروحانى ؟

حار الفيلسوف فى أوروبا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء : الرجوع الى الدين : الدين هو الذى كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها فى كل زمان لكنهم يعودون فيجهلونها ٠٠ »

صدقت هذه النفس الزكية بما ألهمت من هداية العلم ومن وحى العقيدة الالهية ، فاذا صدئت نفس الانسان بغواشى الأهواء والشكوك فلا جلاء لها غير ثقة الايمان ، ولا ايمان أسلم لها من ايمان الاسلام ٠ »

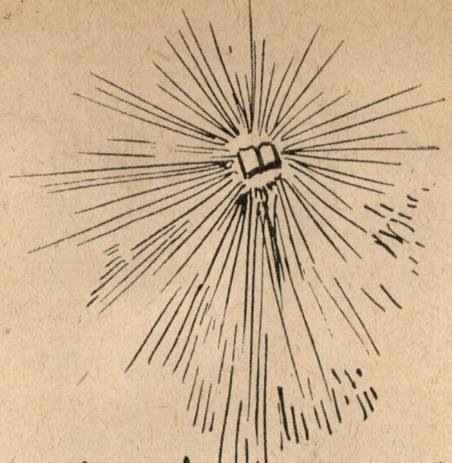

حاجة العالم إلى الإسلام اليوم

فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

١ – انتهينا فى المقال السابق الى ما قرره الاسلام من الوحدة الانسانية التى لا تختلف فيها الأحكام باختلاف الأجناس ، ولا الألوان ، ولا الاديان ، وأن حقوق الانسان مشتقة من معنى الانسانية لا من خصائص بعض الأجناس، ولا من بعض صفات البشرة ، أو القامة ، أو نحو ذلك من المظاهر الحسية ، وكنا بصدد أن ننتقل الى بيان ما أوجبه الاسلام من العدالة الشاملة التى تعم ولا تخص ، ونفصل القول فى ذلك تفصيلا ، ولكنا ما ان أخذنا فى كتابة ذلك ، حتى وجدنا صحيفة « الأخبار » تنقل الينا خبرا تجفل منه كل المعانى الانسانية ، ذلك أن عدد الأخبار الصادر بتاريخ ١٢ من ذى الحجة سنة ١٣٨١ الموافق ١٦ من مايو سنة ١٩٦٢ جاء فيه الخبر التالى :

« لم يوافق مجلس اللوردات على القرار الخاص بمنع التفرقة العنصرية فى مختلف أنحاء بريطانيا ، اذ اعترض ٤١ عضوا على القرار ، ووافق عليه ٢١ (واحد وعشرون عضوا فقط) وقال اللورد مونتجومرى ، وهو من المعارضين للقرار : « ليس من الممكن أن يحول الناس كلهم من ذوى الألوان المختلفة الى أناس متجانسين بقرارات برلمانية ، وستبقى الحقيقة المؤلمة ، لتؤكد أن الناس جميعا ليسوا سواء » . لندن ى.ب.ا.ب

٢ – هذا هو الخبر الذى يعلن سلطان العنصرية ، وتحكمها فى العقول التى تسيطر على العالم ، أو على الأقل كان لهذه العقول سلطان . وربما يمتد من بعد ذلك ، وان الخبر يؤكد لنا حاجة العالم الى شرع من السماء قد نظم العلاقات الانسانية تنظيما مشتقا من حقيقتها ، لا من تحكم الانسان فى أخيه الانسان ..

وقبل أن نخوض فى معنى العدالة التى قررها الاسلام لا بد أن نناقش ذلك القرار ، وما جاء على لسان قائد من قواد تلك الحروب البربرية فى هذا الزمان، التى لا تخص بسيوفها المعتدين ، بل تضع السيف فى موضع البرد والسقيم ، وربما يسلم منها قادة الحروب الذين يشعلونها ، كما سلم هو ، ولا يسلم منها من ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، كما حدث للشعب الانجليزى من القاذفات المدمرة التى لا تبقى ولا تذر .

ان القرار الذى كان مزمعا اصداره كان المقصود منه هو المساواة فى المعاملة بين

المقيمين فى مختلف انحاء بريطانيا بحيث يكون القانون واحدا ، وتطبيقه واحدا ، والحقوق والواجبات واحدة ، وليس من مقتضى ذلك تحويل الناس جميعا الى جنس واحد يتحد فى اللون واللغة ، والعادات والتقاليد ، **فالتجانس المطلوب هو التجانس فى المعاملة ، لا تحويل الناس الى جنس واحد** ، حتى يقول ذلك القائد :

ان من المستحيل تحويل الناس جميعا الى اناس متجانسين ، بقوانين ، لأن المقصود ليس تحويل الناس ، انما المقصود تحويل القوانين من ظالمة مفرقة الى عادلة موفقة ، ثم ما مدى التجانس الذى يقصده ، ان كان يريد التجانس فى القوة البدنية فانه يعلم العلم كله مدى القوة البدنية عند الملونين ، حينما كان يسوقهم هو واشباهه الى أتون الحرب ، حيث يفر البيض من جنسه ، وتذوب أجسامهم ذوبا، وان كان يريد التجانس فى الفكر والعلم ، فان ذلك ممكن وليس بمستحيل، ان خول لهم من الحقوق والتعلم ما خول لغيرهم ، ولم يكونوا محكومين يسامون الخسف والهوان .

وانه من الظلم للحقائق أن يدعى هذا الرجل وأمثاله أن التجانس الفكرى أو العلمى ، أو الأدبى مستحيل ، ولم يجرب هو وأشباهه المساواة فى الحقوق والواجبات التى تعطى هؤلاء من الوسائل ما أعطاه هو وأبناء جلدته ، بل انه لا يمكن أن يذوق تلك المساواة ، لأنها طعام لا يذوقه الا ذوو الضمائر القوية التى امتلأت بهدى النبيين موسى وعيسى ومحمد — عليهم الصلاة والسلام — ، وانه ليكون مريرا على أولئك الذين يستطيبون اللحم البشرى ، ويهرقون دماء الانسان ، ويخضبون به الأرض .

٣ — وانه لينتهى من المقدمات الباطلة التى ساقها الى أن الناس جميعا ليسوا سواء ، وانها لنتيجة باطلة فى حكم الاسلام ، وفى حكم العقل البشرى الذى لم يدرن بأدران الفساد المفرق، لأنه اذا كان يريد بالمساواة مساواة الأجسام فى اللون والقامة ، والغلظ ، فالناس جميعا ليسوا سواء لا فى العالم فقط ، بل فى البلد الواحد ، وان كان يريد نفى المساواة فى التفكير أو العلم ، فذلك أمر له سببه ، وهو التمكين من المعرفة ايجابا وسلبا ، فمن لم يمكن منها حرم ، ومن مكن منها كان له الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر ، فلا يصح أن يقال ان الملون لا يدرك ما يدركه الأبيض ، وقد كان البيض وقتا ما فى دركات الانحطاط الفكرى ، حتى جاءهم من الشرق ما غذاهم بالفكر والعلم، وقدم الغذاء الروحى من الخلق والدين ، ولكن الغذاء الروحى علا على نفوس قادتهم ، فلم يستطيعوا أن يدركوه ، ولا ينتفعوا به ، وكل ميسر لما خلق له .

وان كان يريد أنهم ليسوا سواء فى الحقوق والواجبات ، فان ذلك هو الباطل بطلانا مطلقا لا يسوغ الا فى نظر الظالمين الذين هجروا كل الحقائق الدينية والخلقية ، لأن المساواة فى الحقوق والواجبات مشتقة من الانسانية نفسها ، لا من كون الشخص أبيض صقليا ، أو أسود حبشيا ، أو أحمر هنديا .. فالكل من بنى آدم وخلقوا من نفس واحدة ، وينتهون الى طينة واحدة ، كما قرر القرآن الكريم ، وكما قررته الشرائع السماوية الصحيحة الثابت نزولها من السماء ، وكل تفرقة بالعنصرية مخالفة للفطرة التى فطر الله الناس عليها .

٤ — ثم ما هى هذه العنصرية التى تفرق بين الناس فى المعاملة ، ما مظهرها المادى الذى يوجب المعاملة المختلفة ؟ لا شك أنه اللون ، فانه المظهر الحسى للعنصر ، فالأبيض القوقازى أو الأحمر الانجليزى ، أو السكسونى ، والأصفر الصينى ، والأسود الافريقى ، هذه عناصر مختلفة يستحيل فى نظر مجلس الأعيان الانجليزى أن يسوى بينها ، لأن التجانس بينها غير ممكن ، ولأن الكفاية العقلية فيها مختلفة .

ويختص هو وبنو جلدته بالمنزلة العليا فى الكفاية ليحكموا ويظلموا ، ويخص غيرهم بالمنزلة الدون ، ليذيقهم عذاب الهون ، وينسى أولئك أنهم كانوا فى أبعد الدركات انهواء ، بينما كانت الصين من الجنس الأصفر فى أعلى الدرجات العقلية وتنبثق من بينها الحكمة الانسانية فى عهد كونفشيوس .

وبينما كانت الهند ، وهى من السمر الآن تخرج منها المبادىء الخلقية الانسانية ، وبينما كانت مصر العزيزة تنبع منها ينابيع العلم والمعرفة والصناعات العالية ، فأوروبا كلها ما عدا اليونان كانت تعيش فى عمياء من الجهل لا يحكمها دين ، ولا ينظم سلوكها خلق، ولكن يحكمها قانون الغابة ، لأنهم كانوا كسكانها تماما ، ولا فرق بينها الا فى اللسان والاستعداد للمعرفة الذى اختص به بنو آدم جميعا ، ولا يفرق فى ذلك بين جنس وجنس، كما قال تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » ، فهذا الاستعداد كامل فى كل بنى الانسان .

ان ما يقرره مجلس الأعيان الانجليزى فى هذا المقام معناه استمرار الحروب الفاتكة ، والمظالم المتحكمة ، واستمرار الاشتعال فى كل الأرض ، وأن يعيش العالم كله فى رجس وخيفة من ظلم ابن الأرض فيها وحب بعضه للفساد والغلب ، واذا أراد الحكماء والعلماء أن يقوا الانسانية شر هذه الويلات ، فليجتنبوا قادة الحروب البت فى شأنها ، وليبعدوا الساسة الذين يفرقون عن صولجان الحكم ، وتوجيه دفة الامور ، وتسيير سفينتها ، وليستمعوا الى نداء السماء الذى تلوناه من قبل :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

٥ — لنترك الآن مجلس الأعيان الانجليزى ، وقبل أن نتجه الى بيان عدالة القرآن ، وحكم الاسلام ، نوجه أنظار العالم الذى ابتدأ يحس بالخراب الذى سينزله الساسة فى العالم بسبب التفرقة العنصرية ، وتسابقهم فى الظلم بسبب التفريق العنصرى — الى أنه لا بد من تكوين رأى عام عالمى من قادة الفكر ، لا من قادة السياسة ، ولا قادة الحرب ، وأن تتضافر كل جهود العلماء الانسانيين فى رفع ذلك البلاء قبل حلوله ، لأنه اذا جاء لا يستأخر ولا يؤجل ، فان الانسان خلق من عجل :

وعلى العلماء أن يعلموا أنهم المسئولون الآن عن الانسانية ، ومنع تسخير القوى الكونية لتخريب العالم ، لا لابقائه ، فان الله سخر للانسان ما فى الكون وجاءت الأديان مع العقل لتكون قوى الانسان لعمارة الأرض ، لا لخرابها ولتنمية الحياة فيها لا لابادتها ، وانه اذا ترك الناس من غير هاد من قادة الفكر المرشدين ، فان الانسانية ستهوى ، وبذلك يستعجلون العذاب من حيث لا يشعرون ، ولقد قال النبى — صلى الله عليه وسلم — مخاطبا الانسانية كلها : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

ولقد ضرب النبى — صلى الله عليه وسلم — مثلا للذين يسكتون عن الحق ، ولا يقيمون حدود الله الدافعة للظلم بمثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم فى أسفلها، وبعضهم فى أعلاها ، فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذى فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا، فجعل ينقر فى أسفلها فأتوه ، وقالوا له مالك؟ قال تأذيتم ، ولا بد لى من الماء ، فان أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم ، وان تركوه أهلكوه ، وأهلكوا أنفسهم » .

يا معشر العلماء فى مشارق الأرض ومغاربها خذوا على أيدى الساسة ليكونوا للحق ، ويسيروا فى طريق الصلاح ، وها نحن أولاء نضع بين أيديكم نظم الاسلام ، لتأخذوا منها ما يزودكم بخير الزاد فى ذلك الأمر الخطير .

٦ — لقد دعا الاسلام الى الكرامة الانسانية المطلقة التى لا تتقيد بجنس ، ولا لون ، ولا دين ، ولا اقليم ، والناس جميعا سواء، وانه فى سبيل تحقيق الكرامة الانسانية تحقيقا صادقا لا بد من أن تحميها العدالة ، ولذلك كانت العدالة أول مبادىء الاسلام ، واذا كان لكل نظام سمة يعرف بها ، وتميزه ، فسمة الاسلام العدالة ، بل ان العدالة هى نظام الأديان كلها، وان كان الاسلام قد عنى بتطبيقها ، ووضع السبل لتحقيقها بشكل أوضح مما أثر فى كتب النبيين من قبل ، وقد قال تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس » .

وترى من هذا النص الكريم أن أساس الشرائع السماوية كلها من يهودية ونصرانية واسلام هو القسط بين الناس ، واقامة الميزان العادل بينهم ، وأن الحديد الذى فيه بأس شديد • ومنافع للناس جاء لتحقيق العدالة ، ودفع البغى ، ومنع الاعتداء •

وروى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - عندما تجاوبت أصداء دعوته فى البلاد العربية أراد أكثم بن صيفى - حكيم بنى تميم - أن يعرف حقيقة الدعوة التى يدعو بها محمد ، فأرسل بنيه يسألون النبى - صلى الله عليه وسلم - عما يدعو اليه ، فلما كانوا فى حضرته - عليه السلام - سألوه عما يدعو اليه : تلا عليهم قوله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » •

ولما عادوا الى أبيهم قال ذلك الحكيم العربى: **« ان هذا ان لم يكن دينا ، فهو فى أخلاق الناس أمر حسن »** •

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن الاسلام يقيم تنظيمه للمجتمع الانسانى على العدالة التى لا تتقيد بأى نوع من أنواع القيود ، فلا قوى ولا ضعيف أمامها ، ولا صغير ولا كبير فيها ، انها الميزان المستقيم لكل الجماعات فى داخل الدولة وفى علاقات الدول بعضهم مع بعض ، بل فى علاقات أهل الملل المختلفة بعضهم مع بعض ، بل ان العدالة هى ميزان هذا الوجود ، الذى لو ذهب لاضطرب الناس ولاضطربت الأكوان ، فكل شىء خلقه الله تعالى بميزان ، وكل شىء عنده بمقدار •

٧ - ولكى تكون العدالة شاملة كان الاسلام حريصا على الانتصاف للضعفاء ، ولم يكن فيه مراعاة للأقوياء ، لأنه لا يستمد أحكامه من أوضاع الناس ، بل انه يستمدها من المبادىء العليا السامية ليحكم على الناس ويوجههم الى ما يعليهم ، ويربط بين جماعاتهم •

ولقد قال الصديق خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الضعيف منكم قوى ، حتى آخذ الحق له ، والقوى منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه » • فالقوة أول ما يمنع سلطانه بنظام العدل الاسلامى ، وأمارة الحكم العادل هو فى تطبيقه على الأقوياء ، لا فى تطبيقه على الضعفاء ، فان الضعفاء خاضعون بحكم ضعفهم ، والعدالة معهم تحتاج الى ما يقويهم ويرفعهم ، ويدفع خسيسة الضعف عنهم » ••

ولقد كان عمر - رضى الله عنه - يقول : **« لآخذن بصماخ القوى حتى آخذ الحق منه »**،

وكان - رضى الله عنه - يتعرف عدالة الحكام سلبا وايجابا من معاملتهم للضعفاء ، فكان يبحث عن معاملتهم للعبيد ، ومعاملته لأهل الذمة ، وهم الذين رضوا بالاقامة مع المسلمين ممن لا يدينون بالاسلام على أن يكون لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، على أن تترك لهم حريتهم الدينية ، فلا يضاروا فى دينهم »، فاذا تبين له أن هؤلاء حقوقهم مرعية ، وأموالهم مصونة ، ودماؤهم لا اعتداء عليها ، علم أن الحاكم عدل ، يجب أن يبقى فى الولاية ، وان علم غير ذلك ، أو اشتبه الأمر عليه ، فانه يعزله فورا ، وكان كثير العزل للولاة ، ولسان حاله ومقاله ينطق بأنه خير له ان يعزل كل يوم واليا من أن يبقى واليا ظالما علم ظلمه ساعة من نهار .

وان محمدا - صلى الله عليه وسلم - قرر أن هلاك الأمم يكون برفع العدل عن الأقوياء ، وأخذ الضعفاء به ، ويقرر أن أبلغ التقرب الى الله واليه هو العدالة مع الضعفاء والرحمة بهم، ولذلك كان يقول : **« ابغونى فى ضعفائكم ، انما تنصرون وترزقون بضعفائكم »** •

فالعدالة لا تبدو على مظهرها الحقيقى الرائع الا اذا كانت مع الضعيف ، ولعل نظرة خاطفة الى العالم اليوم وما يجرى فيه ترينا أن الضعفاء مأكولون دائما ، والأقوياء لا يتناصفون فيما بينهم بقوانين العدالة ، وانما يتعاملون بقانون القوة •• فالقوى يعامل القوى بالمساواة خشية بطشه ، لا بقصد تحقيق العدالة ، ولذلك اذ لمح فيه ضعفا انقض عليه ، كما ينقض الأسد على فريسته ، والأقوياء جميعا يتبارون فى أسباب القوة ، وينظر كل الى الآخرين نظرة من يتلمس الفرصة لينتهزها •

٨ - وان الاسلام فى سبيل حماية الضعيف من القوى ، وفرض العقوبة الصارمة على

الأقوياء ، قد أتى بمبادىء فى العدالة لم يسبق بها ، وهى معان خالدة تعلن أن المبادىء الاسلامية فيها العلاج الكامل لأدواء الانسانية، والشفاء الصحيح لأسقامها .

أ) ومن هذه المبادىء أن العقوبة تسير مع القوة سيرا مطردا ، فكلما كان الجانى ضعيفا خف العقاب ، وكلما كان كبيرا قويا اشتد العقاب ، فالجريمة تكبر بقوة المجرم ، ولذلك كانت عقوبة العبد على النصف من عقوبة الحر فاذا زنى الحر جلد مائة جلدة ، واذا زنى العبد جلد خمسين جلدة ، ولو كان زناه بحرة كانت عقوبتها مائة جلدة وعقوبته هو خمسين، وذلك لأن الضعيف يهون أمام الناس بسبب ضعفه ، فارتكابه للجريمة قريب الاحتمال لهوانه ، اذ الجريمة هوان ، ومن يهن يسهل الهوان عليه أما الكبير او الشريف فان ارتكابه للجريمة يكون خطيرا ، ولأنه قوى يخشى على الجماعة من قوته ، والضعيف مهما يكثر من الجرائم لا يخشى منه ، لأنه لا يقتدى به أحد، ولا يسلك مسلكه أحد .

ووازن بين الاسلام العادل فى هذا ، وبين قانون الرومان ، فان القانون الرومانى يقرر أنه اذا زنى العبد بحرة قتل ، واذا زنى عضو الشيوخ يغرم بعض المال ، وذلك لأن القانون الرومانى وما تبعه من قوانين جاءت هو من قوانين الأقوياء ، أما قانون السماء وهو قانون القرآن فقد كان لحماية الضعفاء ومنع ظلم الأقوياء ، والظلم يفرض من القوى ولا يفرض من الضعيف .

ب) ان الاسلام أمر بالعدالة مع المخالفين فى الدين الذين يستظلون بظل الاسلام ، ويعيشون مع المسلمين ، وجعل بقاءهم فى ظل الاسلام على أساس انهم عقدوا عقدا أساسه ذمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولهم بذلك ذمته ، ولذلك سموا ذميين ، وطالب الاسلام أخذهم بالرحمة ، وتمكينهم من أداء شعائرهم ، وهى عقائدهم من أن يعتدى عليها أو عليهم ، أو أن يكرهوا على ما لا يعتقدون ، مع أن القرآن قد بين أن عقائدهم باطلة ، ولقد قرر النبى أن من آذى ذميا ، فهو خصمه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **من آذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة ، ومن خاصمته خصمته** » .

ولقد كان من الذميين من يخاصمون كبار الصحابة ، بل بعض الأئمة الراشدين ، أمام القضاء ، وينتصف لهم فيروى أن على بن أبى طالب تقاضى أمام عمر بن الخطاب مع يهودى ، فلما جلس عمر للقضاء وأخذ ينظر فى القضية كان ينادى اليهودى باسمه ، وينادى عليا قائلا له : « يا أبا الحسن » تكريما له ، فنزل على عن حقه ، فقال أمير المؤمنين لعلى : أضرك أن سويت بينك وبين اليهودى ، فقال على : انك لم تسو لأنك كنيتنى ولم تكنه، أى كرمتنى فى النداء ولم تكرمه ، وان هذا يفيد أن الواجب على القاضى فى الاسلام أن يسوى بين الخصمين فى المجلس والاقبال والاشارة والكلام .

حـ) وانه من مبادىء الاسلام المقررة فى العدالة ألا يعفى من حكم القانون ملك أو أمير ، أو رئيس ، بل الكل أمام القانون سواء ، فليس فى الاسلام من تكون ذاته مصونة لا تمس .. حتى ان الخليفة الأعظم اذا ارتكب ما يوجب القصاص اقتص منه باجماع فقهاء المسلمين ، لأن العدالة أمر ثابت للجميع وعلى الجميع ، لا يستثنى منه أحد كائنا من كان ، ان النبى — صلى الله عليه وسلم — قبيل وفاته جمع أصحابه ، وطلب الى كل من عساه يكون قد ناله منه اساءة أن يقتص منه ، وان الخلفاء الراشدين كانوا اذا مسوا أحدا بأذى بغير حق طلبوا منه العفو أو أن يقتص .

ويروى فى ذلك أن عمر بن الخطاب نهى عن أن يطوف الرجال مع النساء ، فرأى رجلا يطوف معهن ، فعلاه بالدرة ، وقال له : أما علمت عزمتى ألا يطوف الرجال مع النساء .. فقال الرجل ما علمت لك فيه فى هذا عزمة ، لئن أسأت ما علمتنى ، وان لم أسىء فقد ظلمتنى ، فأعطاه الفاروق الدرة وقال اقتص منى ، فامتنع ، فقال له فاعف عنى .

هذه عدالة الاسلام فى الأمة ، ولنؤجل بقية شعب العدالة الى المقال التالى ، والله سبحانه هو الموفق والهادى

العالم : من يعرف للعلم حقه

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

ثلاث كلمات من كلام الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقفت عندهن متأملا وأنا في بعض مطالعاتي :

احداهن قوله :

« ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطىء »

وهذه الكلمة تدل على شرف العلم في نفس هذا الامام القرشي الجليل ، وعلى حسن ادراكه لرسالة العالم .

فهو يقرر أن من واجب العالم أن ينسى نفسه أمام جلال العلم ، وعظمة الحق ، فاذا ناظر لم يكن هدفه من المناظرة أن يهزم مناظره، وأن يظهره في مظهر المخطىء المتلجلج ليكون هو وحده الظافر المنتصر .

وهذا القول يرسم لنا أدبا رفيعا يجب أن يتحلى به أهل العلم ، ولكننا نرى كثيرا منهم بمعزل عنه ، فاذا تناظر اثنان كان هم كل منهما وأعظم ما يتمناه ، أن يرتطم صاحبه في الخطأ ، حتى يهوى أمام جمهور الناس من عليائه ، وحتى يبقى السمو والشموخ لصاحبه .

ان هناك فرقا بين **« متناظرين » و « متناطحين » : فالمتناظران متساويان في تطلب الحق والاخلاص له** ، والفرض أن كلا منهما نظير لصاحبه في هذا المعنى ، وهذا موقف سام ، ومطلب شريف ، فاذا حدثت أحدهما نفسه بأن يشوه جمال هذا الموقف ، وشرف هذا المطلب ، بتذكره لنفسه ، وتطلبه لحظ من حظوظها المادية الشهوية ، فقد سقط في الواقع عن هذه المنزلة ، ولم يعد نظيرا أو مناظرا شريفا .

أما المتناطحان فهما كبشان أو ثوران هاجت في كل منهما طبيعته الحيوانية ، وتمحض نضالهما للتحطيم والقهر ، ولا يمكن أن يتصور منهما غير ذلك ، فهذا هو شأن البهيمية التي رفع الله الانسان بالعقل والروح عن مستواها

والامام الشافعي رضي الله عنه عرف منزلة الحق ، وشرف العلم ، فتطلب الحق لقيمته

الذاتية ، ولم يشغل نفسه بغير هذا المطلب الأسنى ، وتخلق للعلم بما يناسب شرفه ، فارتفع عن تمنى الخذلان لمناظره .

فأين هذا من الذين يتصبون الآن شراكهم وأحابيلهم ليقع فيها مناظروهم ، ثم يصيحوا عليهم مهرجين نافخين أوداجهم كما تفعل الديكة بعد جولة من جولات نضالها الحيوانى

اننا نرى هذا أحيانا فى الصحف والمجلات ، وأحيانا فى النوادى والمجتمعات ، بل نرى من يأخذون على أنفسهم أن يتتبعوا انسانا بعينه فى أى قول يقوله ، أو مقال يكتبه ، فيلتمسوا ما استطاعوا وجوه تزييفه وابطاله ارضاءلحقد فى نفوسهم كامن ، أو غرور غير متطامن ، وقد يقع أحدهم من جراء هذا الخلق فى ورطات من التناقض أو الاسفاف أو الخطأ ، ولكنه مع ذلك لا يبالى .

فاذا كان العلماء هكذا ، فعلى العلم العفاء ! وثانى ما استوقفنى من كلام الامام الشافعى قوله :

« ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحدا قط ، وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه »

وهذا القول ينبىء عن خلقين شريفين :

أحدهما : فى شأن المناظر ، حيث يسويه بنفسه ويحب له ما يحب لها . والآخر فى شأن الحقيقة ذاتها ، حيث يتطلبها من اى أفق ظهرت ، لا يبالى أن يكون هو الذى أظهرها وجلاها ، او ان يكون صاحبه هو الذى فاز بالفضل فى ذلك .

وكلا الخلقين مع هذا يدل على أدب مع الله عز وجل ، اذ يبين أن صاحبه متوجه الى الله فى حق مناظره بما هو متوجه اليه فى حق نفسه ، وانه راض بما يقسم الله بينهما من ظهور الحق على لسان أيهما شاء .

والأمور الاربعة التى أنبا الشافعى رضى الله عنه أنه يحبها لمناظره ، هى أركان النجاح الضرورية لأى باحث :

فالتوفيق هو مصادفة الحق ومطابقته ، وهو أمنية كل باحث ، وليس للعالم المخلص هدف أعز منه ، والعالم الخبير بمسالك العلم ومداخله ومخارجه ، **يعرف أن التوفيق ثمرة من ثمرات الاخلاص وأنه هبة من الله تعالى يهبها للمخلصين جزاء وفاقا** ، وليس بالامر الذى نلتمس له الحيل ، وينال بالتكلف والتعمل . وما كانت هذه بنظرة تصوف — كما قد يبدو لبعض القراء — ولكنها ثمرة تجربة يعرفها كل من اشتغل بالعلم وتصدى للبحث ، فقد يجد الانسان نفسه ذات يوم عاجزا عن متابعة البحث والنظر فى فكرة ما ، ويجد أن أمرها ثقيل على نفسه ، ثقيل على فكره ثقيل على قلمه وأسلوبه ، فيعلم أنه غير موفق لها الآن ، ثم لعله يرى نفسه بعد ذلك قد انبعثت الى هذه الفكرة تخريجا وتفصيلا ، فانثالت عليه المعانى فى شأنها ، وجرى قلمه رطبا بها ، وكأنما يمليها عليه ممل وان لم يكن يراه أو يسمعه .

فما سبب ذلك ؟

ان سببه هو مصادفته لنفحة من نفحات رحمة الله ، وفترة من فترات التوفيق الذى لا يكون الا بالله .

فالامام الشافعى رضى الله عنه يحب لمناظره هذا الظفر الايجابى ، بأن يصادفه التوفيق ، كما يحب ذلك لنفسه ، ويكره له أن يغلق ويحجب ويبعد ، كما يكره ذلك لنفسه، وهذا هو شأن المؤمن : « يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها » .

أما السداد فى هذا المقام فهو استقامةالمنهج والخطة فى البحث ، ونحن نعلم أن كثيرا من العلماء يصلون الى الحقائق ، ولكن أسلوبهم فى الوصول اليها لايروق ولا يجذب ، فالعالم فى حاجة الى استقامة الأسلوب والطريقة كماهو فى حاجة الى التوفيق والظفر بالثمرة .

وأما المعونة من الله والرعاية والحفظ ، فهى أسباب يحرص عليها أهل الايمان والطمأنينة بالله ، **وقد رأينا العلماء الأولين مستمسكين**

بهذه العروة الوثقى ، لا نكاد نجد أحدا منهم مستكبرا أو مصابا بالغرور وتصور أنه مستغن عن معونة الله ورعايته ، وعباراتهم فى كتبهم ومؤلفاتهم ، وأساليبهم فى مناقشتهم ومناظرتهم شاهدة بذلك .

والكلمة الثالثة من كلمات الامام الشافعى التى استوقفتنى ، هى قوله رضى الله عنه :

« ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما منى ، الا هبته واعتقدت محبته ، وما كابرنى أحد على الحق ، ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته » .

وهذه الكلمة تنبىء عن دراسة عميقة للنفس الانسانية ، ولنفوس المنتسبين الى العلم بالذات ، فان الحق والحجة لهما سيطرة على نفوس العلماء والعقلاء لا يمكن دفعها ، وقد سمى الله البرهان والحجة « سلطانا » فى غير موضع من كتابه الكريم ، كقوله جل ذكره « هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين » « فليأت مستمعهم بسلطان مبين » « أم أنزلنا عليهم سلطانا » الى غير ذلك

فتقبل الحجة والبرهان دليل على تجاوب النفس وطواعيتها للحق اجلالا له ، واكبارا لشأنه ، وهذا أمر من شأنه أن يحمل الناس على احترام صاحبه وهيبته ومحبته .

فأما المهابة والاحترام فيرجع سرهما الى ادراك مدى قوة المتخلق بهذا الخلق ، ذلك المدى الذى بلغ الى حد أنه يقهر نفسه ، وينتصر عليها ، ولا ينساق مع عاطفة الاستكبار التى تصاحب ضعفاء النفوس ومرضى القلوب ، والانتصار على النفس أقوى مراتب الانتصار ، لان جهادها هو الجهاد الأكبر كما أخبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وأما سر المحبة لمن هذا خلقه ، فيرجع الى ادراك جمال نفسه ، وصفاء فطرته وسماحة خلقه فى الاذعان لسلطان الحق دون تلكؤ ولا تلبث ، كما يفعل الكريم السمح فى قضاء ما عليه من الحقوق ، وأى حق أعظم من حق العلم على العالم فى أن يذعن للبرهان ؟

أما رفض الحجة ومدافعتها فلا يصدر الا من أحد اثنين ، اما جاهل بها ، لم يفهمها ولم تتجل أمام عقله ، فهو عنها بمثابة الأعمى الذى لا يبصر ، والأصم الذى لايسمع ، واما مستكبر على الحق ، غير متجاوب معه ، لغرض يصرفه عن ذلك ، ويحمله على ارتكاب الشطط من دونه .

وكلا هذين الاثنين غير جدير بالاحترام ، بل غير جدير بأن ينتسب الى العلم ، فلذلك يقول الامام رضى الله عنه انه يسقطه ويرفضه ولا يعده بين أهل الرأى والتفكير .

وقد صور القرآن الكريم هؤلاء الذين لا تأخذهم الحجة ، ولا يذعنون للحق : تارة بصورة من لا يسمعون ولا يعقلون ، فقال « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

وتارة بصورة الذين يستغشون ثيابهم ، ويثنون صدورهم فرارا من الحق « الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » وتارة بصورة من وضعت قلوبهم فى أغلفة تحجبها عن التفكير والتدبر ، أو أحيطت أعناقهم الى الأذقان بما يضيق عليها ويجعلها متوترة متصعبة على حالة لا يستطيع معها أصحابها أن يتأملوا أو يدركوا ، وذلك فى مثل قوله تعالى « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب » « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان ، فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ، وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » الى غير ذلك من الصور المزدراة المستقبحة التى يصورهم بها القرآن .

فاذا كان أمثال هؤلاء يسقطون من عين الشافعى ويرفض الاعتداد بهم ، فذلك هو

ما رسمه القرآن فى شأنهم ، **ومن المعروف أن الامام الشافعى كان من أكثر الناس تأملا فى القرآن ، واستخراجا للآداب والأحكام منه .**

حتى انه رضى الله عنه فطن الى استخراج المصدر الرابع من مصادر الأحكام وهو « الاجماع » من آية كريمة هى قوله تعالى « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وقد عرف الأئمة وأولو العلم عامة ، فضل الامام الشافعى فى ذلك وتبحره فيه ، وانه كان أعلم الناس بمعانى القرآن .

* * *

وفى ذلك يقول الامام داود بن على الظاهرى فى كتاب « مناقب الشافعى » : « قال لى اسحق بن راهويه : ذهبت انا وأحمد بن حنبل الى الشافعى بمكة ، فسألته عن أشياء فوجدته فصيحا حسن الأدب ، فلما فارقناه أعلمنى جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس فى زمانه بمعانى القرآن ، وأنه قد أوتى فيه فهما ، فلو كنت عرفته للزمته . قال داود: ورأيته يتأسف على مافاته منه » .

ويقول الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه « ما مس أحد بيده محبرة الا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة »

وقد كان العلماء يفدون الى مكة فى الحج ، يناظرونه ويأخذون عنه ، حتى فى حياة شيوخه ، وجلس معه أحمد بن حنبل مرة فجاء أحد اخوانه يعتب عليه أن ترك مجلس ابن عيينة ـ شيخ الشافعى ـ ويجلس الى هذا الأعرابى ، فقال له أحمد «اسكت، انك ان فاتك حديث بعلو وجدته بنزول ، وان فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده . ما رأيت أحدا أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى »

وقال أحمد رضى الله عنه « ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى ـ قال الغزالى تعليقا على ذلك :

« فانظر الى انصاف الداعى ، والى درجة المدعو له ، وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار ، وما بينهم من المشاحنة والبغضاء »

ولكثرة ما كان أحمد بن حنبل يدعو للشافعى قال له ابنه : أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد : يابنى كان الشافعى رحمه الله تعالى ، كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ! »

هكذا كان شرف العلم فى **نفس الامام الشافعى** ، وهكذا كان مبلغ اعتزازه به ، وتكريمه لأهله ، وجده فيه منذ عهد الشباب .

واذا كان الامام الشافعى قد ضرب المثل فى معرفة حق العلم وحق الزمالة فيه ، فارتفع بمستواه عن ملاحظة بواعث الأنانية والشهوات الشخصية ، والفرور المردى ، فان هناك لونا آخر من الاعتزاز بالعلم ومعرفة قدره ، يتجلى فى صونه وتكريمه والسمو به عن أى مقام يغض منه ، أو يزهد فيه :

***

فقد كان الامام مالك بن أنس رضى الله عنه، يبالغ فى تعظيم العلم ، حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته واستعمل الطيب ، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ، ثم حدث ! فقيل له فى ذلك ، فقال ، أحب أن أعظم حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ !

ودخل مالك رضى الله عنه على هارون الرشيد فقال له : يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك «الموطأ» فقال له : أعز الله أمير المؤمنين ، ان هذا العلم منكم خرج ، فان أنتم أعززتموه عز ، وان أنتم أذللتموه ذل ، ،والعلم يؤتى ولا يأتى ! فقال : صدقت ، اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس !

هكذا كان العلماء .

دروس للشباب في حياة الأستاذ الإمام

الامام محمد عبده شخصية غنية عن التعريف ، سيرته مشهورة ، وآثاره مشهودة، فى مصر وفى العالم الاسلامى كله . وليس قصدى هنا أن أحلل شخصيته تحليلا علميا ، أو أتحدث عن آرائه حديثا فلسفيا ، وانما أكتفى بالاشارة الى السمات البينة فى حياته الحافلة ، وايراد بعض الصور الواضحة من اخلاقه وتصرفاته الواعية ، ولعل فى هذا الحديث الوجيز تذكرة للعارفين وعبرة للناشئين .

الدكتور عثمان أمين

رجل عامل :

ان أعمال الامام كثيرة لا يتسع المقام لاستقصائها . ولكن الرجل لم يكل يوما عن العمل ، منذ شبابه الى أن أصبح شيخا اقترب من الستين : فكان يطالع ، ويتعلم ، ويحرر « الوقائع المصرية » ، ويقود الحركة العرابية ، وينشر دعوة « العروة الوثقى » ، ويشتغل بالقضاء فى المحاكم ، ويعلم فى الازهر،

ويصدر الفتاوى فى الشئون الدينية والاجتماعية ، ويجلس فى جلسات مجلس شورى القوانين ، وفى مجلس الأوقاف الأعلى ويشرف على أعمال الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات لاصلاح الأزهر ، واصلاح المحاكم الشرعية ، وانشاء جامعة مصرية .

وكان الى جانب هذا كله يؤلف الرسائل الدينية ، وينشر المقالات الفلسفية ، ويدافع عن الاسلام ، ويرد على منتقديه ، ويدعو الى تطهير العقيدة من أوهام العوام ، وينادى بتحرير الفكر من قيود التقليد ، ويثور على الرجعية والوصولية والجمود . وكان يجد الوقت لمراسلة علماء المسلمين والغربيين ، وينفق من ماله على الفقراء والمحتاجين ، ويسعى الى البر واغاثة المنكوبين .

وبالجملة لم يدخر الامام وقتا ولا جهدا فى أداء الرسالة الاخلاقية ، التى رأى وجوب النهوض بها ، تحقيقا للوعى القومى ، وهداية للضمير الانسانى . وانفق الامام حياته داعيا الى الحق ، جادا فى فعل الخير ، حريصا فى هذا كله على أن يضع شخصه وخبرته فى خدمة المجتمع ، فضرب فى هذا المضمار أروع الأمثال .

فيلسوف عملى :

ذلك أن الرجل فوق كونه اماما عصريا من أئمة المسلمين، كان فيلسوفا بالمعنى الصحيح، نظر الى الفلسفة نظرة قديمة وجديدة فى آن واحد : فمن ناحية أخذ الفلسفة على معنى ممارسة الفضائل الأخلاقية ، وهداية الحياة الانسانية . ومن ناحية أخرى أدرك أن التفكير الفلسفى لا ينبغى أن يظل محصورا فى مجال النظر الصرف ، وأنه لا يستطيع أن يعطينا عن الوجود شعورا صحيحا الا اذا ألقى بنا فى معترك الدنيا ،والا اذا اضطرنا أن نتحمل مسئولية شخصية بازاء كل ما يحدث فيها .

صور من أخلاقه :

لقد أجمع أصحاب التراجم الاسلامية الحديثة على أن أبرز شمائل الامام : الوفاء ، والشجاعة ، والانصاف ، والصراحة ، وحرية الفكر ، وكرم النفس ، وحب الخير .

أما وفاؤه فقد شهد له به أستاذه جمال الدين الافغانى .

روى المخزومى باشا أن السيد جمال الدين كان شديد الاعجاب بشخصية محمد عبده ، كثير الثناء على أخلاقه ، فكان كلما ذكره يقول : « الصديق » أو « صديقى الشيخ » ، ويظهر أن هذه الحظوة أثارت بعض الغيرة فى قلب « السيد عبد الله النديم » — وكان ممن يرتادون مجلس جمال الدين فقال له ذات يوم :

« يا سيد : ما غفلت يوما عن اضافة لفظ « الصديق » الى اسم الشيخ محمد عبده ، كأنه لم يكن لك بين الناس صديق غيره ، اذ نراك تنعت من سواه « بصاحبنا » أو تقول عنه : « فلان من معارفنا » !! فتبسم جمال الدين ، وقال : « وانت يا نديم صديقى . ولكن الفرق بينك وبين الشيخ عبده أنه كان صديقى على الضراء ، وأنت صديقى فى السراء » !! .. فسكت عبد الله النديم .

وحياة الامام حافلة بآيات بينات من الشجاعة العقلية والأخلاقية .

حدث مرة أن أرسل الخديو « عباس الثانى » الى شيخ الأزهر ، يأمره شفويا أن يرقى شيخا من المحاسيب الى الدرجة الأولى ، مع أن ذلك الشيخ لم يكن من كبار العلماء . فلم ينفذ شيخ الأزهر أمر الخديو لمخالفته لقرار مجلس ادارة الأزهر . فاستاء الخديو ، وانتظر حتى اجتمع عنده علماء الأزهر فى احدى التشريفات الخديوية ، فقال لشيخ الأزهر بلهجة الاستنكار « ألم آمرك بترقية فلان ؟ » . فحاول الشيخ الاعتذار وتلعثم ، فما كان من الاستاذ الامام الا أن نهض من نفسه ، وقال بصوت الشجاع الذى لا يهاب قول الحق : « ان القرار الذى قرره مجلس ادارة الأزهر هو تنفيذ لأمر الخديو ، لانه مقتضى ما نص عليه القانون المتوج باسم سموه . أما الأوامر الشفوية فلا نعرفها » . ثم سكت الامام قليلا ، وقال فى شىء من

السخرية : « اذا شاء أفنـدينا أن تكون الترقيات العلمية بمقتضى ارادته ، فليصدر بذلك قانونا يفسخ القانون الحالى ، أو مادة قانونية جديدة نصها : ترقيات العلماء توجه اليهم بأمر منا » !! فما سمع الخديو هـذا الجواب بمحضر العلماء حتى احمر وجهه من شـدة الغضب ، ووقف ايذانا للحاضرين بالانصراف .

اننا لا نرى فى مثل هذه الشجاعة تحـديا ولا صلفا ، ولكنها صراحة نفس ، واستقامة ضمير ، واعتزاز بالكرامة ، عند رجل يأبى أن يتهاون فى أداء واجبه أو أن يتخلى عن ممارسة حريته .

الكرامات والشفاعات :

وقد كان الاسـتاذ الامام منصفا قوى الاخلاق . كان بينه وبين الشيخ ابراهيـم الظواهرى خلاف فى الراى والنزعـة ، لان الشيخ الظواهرى كان ممن يميـلون الى تصديق ما يقال عن الكرامات والشفاعات ، والاعتقاد بقصص المجاذيب والأولياء . وكان الامام يستنكر هذه الميول الشائعة عند شيوخ ذلك الحين . فحدث أن تقدم ابنه الشـاب وقتئذ الشيخ الأحمدى الظواهرى لامتحـان العالمية فى الأزهر ــ وكان الاستاذ الامام رئيس لجنة الامتحان ــ فخاف الشاب ، وبدا عليه الاضطراب ، حين رأى الشيخ محمد عبده ، لما كان يعلمه من النفور بينه وبين أبيـه .. ولكن الامام ما كاد يعرف اسم الشـــاب الأزهرى حتى أخذ يهدىء من روعه ، ويطيب من خاطره ، حتى زال عنه اضطرابه ، وأجاد فى الاجابة اجادة اعجب بها أعضاء اللجنـة ، وأثنى عليه الامام على مسمع من الحاضرين ، وقال له : « لقد فتح الله عليك يا أحمدى ، ووالله انك لأعلم من أبيك » .

رائد الاصلاح :

وقد اشتغل الأستاذ الامام بالاصـلاح الدينى والاجتماعى فى عصره ، فكان يعيب على علماء المسلمين طريقتهم فى التعليم ، اذ كانوا يقضون أعمارهم فى المناقشات اللفظيـة والمجادلات العقيمة ، وينقطعون عن شئون الحياة فى المجتمع . وقد سعى الامام الـى ابطال تلك الطريقة المتواترة الموروثة ، وجاهد الأزهريين عليها جهادا متصلا .

روى أستاذنا أحمد لطفى السيد أن الامام لما عاد من رحلته فى السودان سـنة ١٩٠٥ نزل بالمنيا ، فحضر للسلام عليه رجال القضاء الأهلى ، والشرعى ، ووجوه البلد . فلمـا احتشد الجمع قال أحد العلماء من رجـال المحكمة الشرعية : « ان كثيرا من النصـارى يدخلون فى الاسلام ، فتضاعف بذلك شغلنا »

فسأله الامام : « فيم تشتغل أيها الشيخ؟» فأجاب : « نعلمهم أركان الدين » فقال الامام: « يكفى أن تقول لكل واحد منهم : صل، وصم، وزك، وحج » فأضاف الشيخ : « ولا بد أن نعلمه الوضوء » فقال الامام : « قل له : اغسل وجهك ويديك الى مرفقيك ، وامسح رأسك واغسل رجليك» فقال الشيخ : « ذلك لا يكفى ولا بد أن نعلمه حدود الوجه، من اين يبتدىء، والى أين ينتهى » ..

فقال الاستاذ الامام فى شىء من الحدة : «سبحان الله يا سى الشيخ !! قل له يغسل وجهـه ، فكل انسان يعرف حدود وجهه فى غير حاجة الى مساح !!.

بره بالفقراء :

وكان الأستاذ الامام خيرا ، كريم النفس ، مفطورا على الاحسان ، يعطى من ماله بغير حساب ، يحث على الانفاق فى وجوه البر ، ويبادر بنجدة الناس فى الملمات ، بل انه كان يسعى لصاحب الحاجة وهو يعلم أنه أساء اليه وقدح فيه .

ومما يروى بهذا الصدد أن شابا أزهريا ، رقيق الحـال كان يلوذ به ، فأراد الامام ان يعينه على أمره ، فاقترح عليه أن يتوسل الى ذلك بكتابة المقالات طعنا فيه ، وعندئذ يلتفت اليه خصوم الامام ــ وكانوا بحمد الله كثيرين ــ فيستميلونه ويساعدونه . فاستهـول

صاحبنا الأمر واستغفر ربه ولكن الامام أصر فأذعن الشاب ، وعمل بهذه النصيحة ، واخذ يهاجم الأستاذ الامام فى الصحف ، فعرفه الخصوم ومنحوه منصبا مجزيا .. والعجيب أن ذلك الأزهرى بعد ان اتبع نصيحة الامام ونال بغيته ، لبث يهاجمه بحرارة ، وكأنه يؤمن بما يقول !!

* * *

ومن المشهور أن الاستاذ الامام كان يوزع جميع مرتباته من الأوقاف على المساكين والعائلات التى أخنى عليها الدهر .

روى حافظ ابراهيم انه رأى فى مأتم الامام رجلا يبكى بكاء مرا ،فأراد الشاعر ان يخفف أحزانه فقال له : « ان مصابك هو مصابنا جميعا » فأجابه الرجل : « لست أبكى على مصابى فيه فقط ، بل ابكى على مصاب هؤلاء المساكين ، الذين كنت أوزع عليهم فى كل شهر مرتباته من الاوقاف » . والى هذا المعنى أيضا أشار حافظ ابراهيم فى رثاء الاستاذ الامام حين قال :

بكينا على فرد وان بكاءنا
على أنفس لله منقطعات

تعهدها فضل الامام وحاطها
باحسانه والدهر غير مؤات

وبعد فان ما ذكرناه من سمات حياة الامام شىء يسير . ولكنه كاف فى التعريف بشخصيته وعبقريته ، وتمييزه عن الشيوخ العاديين والعلماء الجامدين الذين كانوا يعترضون عليه قائلين : « ما هذا الشيخ الذى يتكلم باللغة الفرنساوية ، ويسيح فى بلاد الافرنج ، ويترجم مؤلفاتهم ، وينقل عن فلاسفتهم ، ويباحث علماءهم ، ويفتى بما لم يقل به أحد من المتقدمين ، ويشترك فى الجمعيات الخيرية ، ويجمع المال للفقراء والمنكوبين .. ان كان من أهل الدين فليقض حياته بين المسجد والبيت ، وان كان من رجال الدنيا ، فانا نراه يعمل فيها وحده اكثر من جميع الناس !.

ولا نزاع اليوم فى أن الشيخ محمد عبده طراز ممتاز من علماء المسلمين ، واذا كان قد استحق لقب « الاستاذ الامام » فذلك لأنه لم يكن اماما فى أمور الدين فحسب ، بل كان اماما فى شئون الدنيا أيضا . ولا يخفى ان الجمع بين الحياة الروحية والحياة الدنيوية ، على نحو ما عهدناه فى سيرة الامام ، هو الجوهر السليم من تعاليم الاسلام .

نظام التسرى فى الاسلام

أوضاعه الصحيحة وأهدافه وآثاره فى تعجيل القضاء على الرق .

الدكتور على عبد الواحد وافى

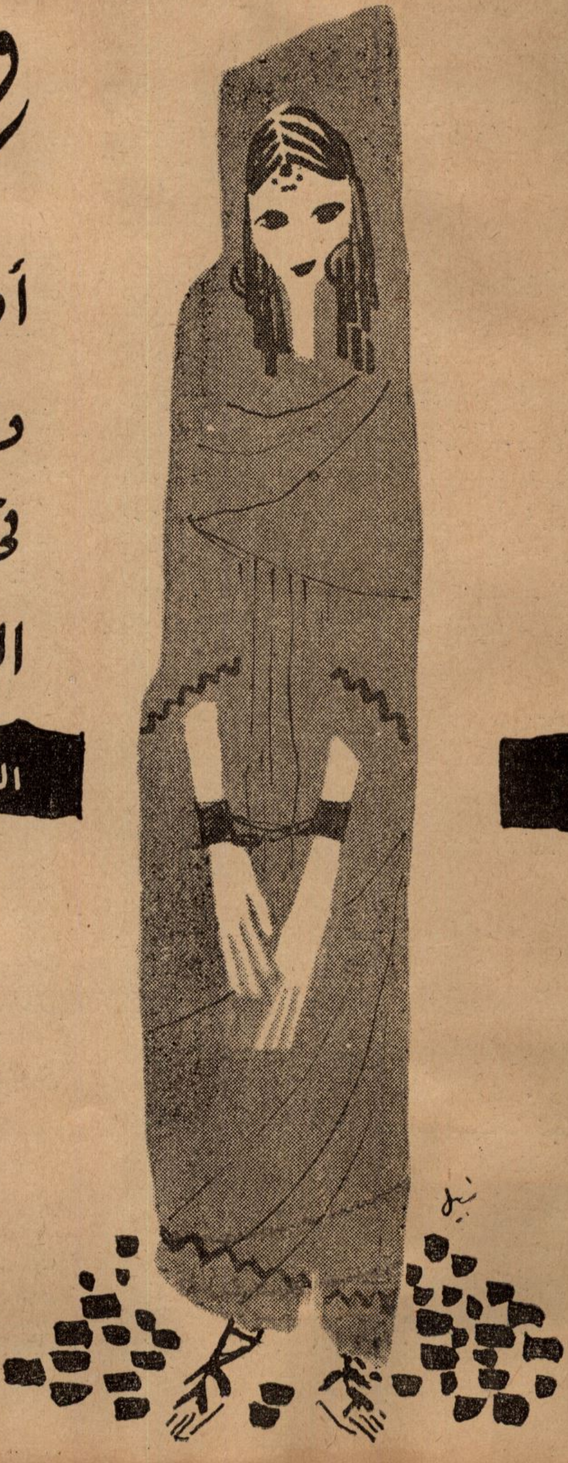

أباح الاسلام للرجل أن يتسرى جواريه اللائى يملكهن ويعتبرن فى عداد رقيقه ، أى أن يعاشرهن معاشرة الزوجات ، بدون تقيد بعدد ولا بعقد زواج . وقد وردت هذه الرخصة فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، منها قوله تعالى يصف المؤمنين : ((والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين)) ، وملك اليمين هو الرقيق، وقوله تعالى : ((يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك)) .

وقد تصدى كثير من باحثى الفرنجة لهذا النظام ، ووجهوا اليه عدة مآخذ . فذهبوا الى أن اباحة الاسلام للسيد أن يستمتع بجواريه ويتسراهن بدون عقد زواج تنطوى على اهدار لكرامة الانسان ، اذ تعامل الجارية معاملة السلعة يتصرف فيها المالك كما يشاء وتشاؤه له أهواؤه ، بدون رعاية لحرمة انسانيتها ، وبدون ارتباط معها بعهد ولاميثاق ويقولون ان فى اباحته لهذا التسرى بدون تقيد بعدد تيسيرا لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها وتحريرا لها من القيود التى قيدتها بها الحضارة .

وقد جهل هؤلاء الفرنجة الوضع الصحيح لهذا النظام فى الاسلام ، وعميت أبصارهم عن الأغراض السامية التى قصد اليها الشارع من اباحته .

وذلك ان الاسلام قد ظهر فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحى الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج فى مختلف أمم العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعى فى شىء أن يحاول مشرع الغاءه الغاء تاما مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا اتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدى تشريعه الى اضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا فى العصر الحاضر اذا ألغى فى صورة فجائية نظام البنوك أو الشركات المساهمة ، أو حرم استخدام العمال وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو بطل استخدام السكك الحديدية او استخدام البخار : فالرقيق كان بخار الآلة الاقتصادية فى تلك العصور .

لذلك أقر الاسلام الرق . ولكنه أقره فى صورة تؤدى هى نفسها الى القضاء عليه بالتدريج بدون أن يحدث ذلك أى أثر سىء فى نظام المجتمع الانسانى ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير فى مجرى الحياة . وقد ارتضى للوصول الى هذه الغاية وسيلة من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وتتلخص هذه الوسيلة فى العمل على تضييق الروافد التى كانت تمد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه ، وعلى توسيع المنافذ التى تؤدى الى العتق والتحرير وبذلك أصبح الرق أشبه شىء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التى يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق فى صورة سلمية هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

وكان من روافد الرق انتقاله بطريق الوراثة الى من تلده الأمة ، فقد كان من المقرر عند جميع الأمم التى أخذت بهذا النظام أن الولد يتبع أمه رقا وحرية ، بقطع النظر عن حالة أبيه . فولد الأمة كان يولد رقيقا مملوكا لسيدها ولو كان أبوه حرا ، ولو كان أبوه السيد نفسه . وكان هذا الرافد من أهم روافد الرق ، بل كان أهمها جميعا ، وأشدها أثرا فى صيانة هذا النظام ، والابقاء عليه ، وتخليده على مر العصور والأجيال ، حتى بعد انقطاع موارده الأخرى جميعا .

فعمد الاسلام الى هذا الرافد ووجهه توجيها يؤدى فى النهاية الى جفافه بعد أمد غير طويل ، حتى ينتهى بانتهائه نظام الرق نفسه ، أو تتقوض بتقوضه دعامة هامة من الدعائم التى يعتمد عليها الرق فى بقائه .

فأباح للسيد أن يتسرى جواريه كما كان الشأن من قبل الاسلام فى جميع الشرائع التى أباحت الرق . ولكن الاسلام خالف هذه الشرائع جميعا فى النتائج الاجتماعية والقانونية الخطيرة التى رتبها على هذا التسرى . وذلك أنه قرر ان الجارية اذا تسراها سيدها فجاءت منه بولد ، ذكرا كان أو أنثى ، فان هذا الولد يولد حرا ، وان الجارية نفسها تزول عنها حينئذ صفة الرق وتصبح حرة بمجرد موت سيدها ، وأن ملكية السيد لها فى أثناء حياته ملكية مقيدة ضعيفة ، فلا يجوز له أن يبيعها ، ولا أن يهبها ، ولا أن يتصرف فيها أى تصرف من شأنه أن يعوق تحريرها . ويأخذ حكمها

فى جميع هذه الأمور من تجىء به من غير سيدها اذا زوجها سيدها بآخر بعد أن جاء منها بولد فان من تجىء به من هذا الزوج يعتق بمجرد موت سيدها كما تعتق هى بمجرد موته . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام فى جاريته مارية القبطية لما ولدت له ابراهيم : « أعتقها ولدها » اى أن مجيئها بولد منه قد أدى الى عتقها وزوال صفة الرق عنها . ويقول عليه الصلاة والسلام : **« أم الولد لا تباع ولا توهب ، وهى حرة من جميع المال » (وأم الولد هو الاسم الذى كان يطلق على الجارية التى تجىء بولد من سيدها . ومعنى أنها حرة من جميع المال أنها تعتق بمجرد وفاة سيدها بالغة ما بلغت قيمتها وبالغة ما بلغت الديون التى على التركة والوصايا التى أوصى بها المتوفى) . ويقول عمر رضى الله عنه منكرا على من كانوا يحاولون بيع هؤلاء الجوارى : « أبعد أن اختلطت لحومكم بلحومهن ودماؤكم بدمائهن تريدون بيعهن ؟! »**

ومن هذا يتبين أن معاشرة السيد لجاريته كانت تؤدى فى الاسلام الى حريتها هى وحرية جميع نسلها الى يوم القيامة . واذا لاحظنا أن معظم أولاد الجوارى كانوا يأتون من معاشرة الأسياد لهن ، لأن الأغنياء ماكانوا يقتنون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ، ظهر لنا أن النتائج الخطيرة التى رتبها الاسلام على هذه المعاشرة وانفرد بها من بين جميع الشرائع التى أقرت الرق ، كان من شأنها أن تؤدى بعد أمد غير طويل الى جفاف أهم رافد من روافد الرق ونضوب معينه ، فينتهى بانتهائه نظام الرق نفسه أو تتقوض بتقوضه دعامة هامة من الدعائم التى كان يعتمد عليها الرق فى بقائه .

فالاسلام قد أباح اذن للموالى أن يعاشروا من ملكت أيمانهم ليكون ذلك وسيلة الى تحرير العبيد وعتق الرقاب . وقد استغل الاسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق واشاعة الحرية بين الناس .

ولكى يتحقق هذا الفرض الانسانى النبيل على أتم صورة وأكمل وجه ، أجاز الاسلام أن يتسرى السيد جواريه بدون تقيد بعقد ولا بعدد . فلم يقيده بتعاقد ولا بايجاب وقبول لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجارية وحرية جميع نسلها الى يوم القيامة لا يصح أن تتوقف على رأيها ولا على قبولها ، بل ينبغى أن تذلل سبلها وتنتهز بمجرد اقدام السيد عليها . ولم يقيده الاسلام بعدد ، بل أجاز للسيد أن يتسرى كل من يرغب التسرى بهن من جواريه بالغا ما بلغ عددهن ، لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجوارى واتصال نسب أولادهن بالسيد وحرية جميع نسلهن الى يوم القيامة لا يصح أن تقيد بعدد ، لأن تقييدها بذلك معناه تقييد منافذ الحرية والابقاء على روافد الرق . بل انه مما يتسق مع الفرض النبيل الذى يرمى اليه الاسلام ألا تدخر وسيلة لاغراء الأسياد باتخاذ السرارى والاكثار من عددهن ، حتى تشمل نعمة الحرية أكبر عدد ممكن ، وحتى يقضى على الرق فى أقصر وقت مستطاع .

ومما تقدم يتبين فساد ما وجهه الفرنجة الى نظام التسرى فى الاسلام من مآخذ ، وتظهر لنا الأغراض الانسانية السامية النبيلة التى قصد اليها الاسلام اذ أباح هذا النظام واذ توسع فى اباحته فلم يقيده بعقد ولا بعدد .

مستقبل الإسلام في افريقية الحديثة

الدكتور بدوي عبد اللطيف

أشرنا فى مقالنا السابق الى محاربة الاستعمار الغربى للاسلام فى الشرق العربى والاسلامى ، وأنه اتخذ لذلك وسائل عدة ، أهمها ارسال البعوث التبشيرية ، وزودها بكل الامكانيات والطاقات ووسائل الطغيان البشرى الذى عرفه التاريخ لمحاولة القضاء على الاسلام ولغته وثقافته فى تلك الأقطار ، وبخاصة فى افريقية الحديثة

أشرنا الى ذلك فى هذا المقال ، ونزيد الآن ان اسرائيل أخذت تتسلل الى هذه البلاد لمحاربة الاسلام والقضاء على حضارته .

أدركت اسرائيل خطر الدعوة الاسلامية فى افريقية ، وبخاصة فى دولها الحديثة المستقلة ومايمكن أن تتأثر به شعوبها ، فاخذت تعمل جاهدة - يساندها فى ذلك الاستعمار الغربى - على مقاومة هذه الدعوة والحيلولة دون ذيوعها وانتشارها فى افريقية ، وذلك بمبادرتها أن يكون نشر الدعوة الاسلامية عن طريق اسرائيل نفسها ، وهذه طريقة غريبة خبيثة لجأت اليها الدولة المزعومة لأنها تحقق لها أغراضها التى تهدف اليها ، والتى من السهل ادراكها ، وهى تغلغل نفوذها ، وسيطرتها فى هذه الأقطار

وتطبيقا لهذه السياسة الماكرة الخبيثة أرسلت اسرائيل الى الدول الافريقية التى استقلت حديثا مدرسين يعلمون أبناءها الاسلام ، واللغة العربية ، كما أرسلت المعونات الفنية وشيدت بعض المساجد على نفقتها ، وأهدته للمسلمين ، وذلك كما حدث فى (سيراليون)

ان اسرائيل لم تصنع هذا حبا فى الاسلام وأهله ، انها أدركت أن الاسلام خطر عليها ، كمظهر من المظاهر القومية للعزة والوحدة ، والقومية فى الشرق العربى والاسلامى . لأنه يربط العرب والمسلمين بأرضهم وقوميتهم ، بل ويربطهم باخوانهم المسيحيين العرب رباطا كريما وقويا ، فكل خيط - فى نظر اسرائيل - يربط الدول العربية ، والاسلامية ، بل كل خيط يربط بين الافريقيين والاسيويين بعضهم البعض يجب أن يقطع .

لهذا عمدت الى ارسال الخبراء الفنيين ، والمدرسين لتعليم الاسلام واللغة العربية ، فقد أدركت تماما أن المستقبل فى دول افريقية للاسلام وحضارته وسياستها التى لجأت اليها هى السبيل الوحيد للتأثير على سكان البلاد وكسب مودتهم ومحبتهم ، ثم التحكم بعد ذلك فى مستقبلهم ومصائرهم .

ان الخبراء الاسرائيليين الذين ذهبوا الى افريقية تحت ستار المعونة الفنية ، كانوا يعملون فى همة قوية لتفتيت المسلمين وتشتيت نحو خمسة عشر مليونا من العرب من موطنهم الأصلى فى « أريتريا » و « الحبشة » وبعض الجهات المتاخمة لبعض الدول العربية وكلما بدت معارضة ، أو تكتل من الافريقيين ضد اسرائيل كان مصير أصحابها السجون والتعذيب .

وفى الحق أن الخبراء ، والمدرسين الاسرائيليين الذين ذهبوا الى افريقية ، انما يشكلون خطرا فى هذه الأقطار ، فهم يعملون على امتداد نفوذهم ونفوذ الصهيونية والاستعمار الغربى ، والتحكم فى حياة البلاد السياسية والاقتصادية

ولكن الى أى مدى نجحت اسرائيل ، ومعها دول الغرب يؤازرونها ، فى محاربة الاسلام وحضارته فى افريقية الحديثة التى زحفت اليها ؟!

انه مهما بلغت قوة اسرائيل ، ومهما بلغت قوة الدول الغربية ، ومهما بالغ هؤلاء وأولئك فى وضع خطط الاستعمار والتبشير ، مهما حدث ذلك فان شعوب الشرق العربى والاسلامى وبخاصة شعوب افريقية المستقلة أكبر من أن تدمج فى دولة غربية قائمة على أرضها ٠

ولكى ندرك مدى فشل الاستعمار الغربى والصهيونية معه فى محاربة الاسلام فى افريقية الجديدة ، بل لكى ندرك مدى مستقبل الاسلام فى افريقية ، وقوة انتشاره واكتساحه أباطيل الاستعمار نسوق اليك مايأتى من الامثلة :

ففى الصومال نشطت بعثات التبشير ، لمقاومة الدين القيم ، ولجات الى انشاء دار ضخمة ليقيم فيها الأطفال ، ويتعلموا مجانا ، مقابل أن تخرجهم من الاسلام الى المسيحية ، لكنها فشلت فشلا ذريعا ، ذلك لأن أهل الصومال مسلمون متعصبون لدينهم بدرجة كبيرة ، وهم يبدءون حياتهم العلمية بحفظ القرآن الكريم مهما كلفهم ذلك من جهد ٠

وفى السودان كذلك أقامت بعثات التبشير المدارس والكنائس والملاجىء لتعليم الناس وتمريضهم ، مقابل استمالتهم عن دينهم ، وعقائدهم ، لكنهم لم يفلحوا ، وقد حدث فى جنوب السودان سنة ١٩٦٠ ان أربعة آلاف نسمة اعتنقوا الاسلام خلال أربعة شهور ٠ وان خمسين ألفا فى تلك المناطق أسلموا قبل ذلك منهم عشرون من الأمراء والسلاطين :

وجماعة التبشير الاسلامى والاصلاح بالسودان رغم ضآلة امكانياتها المالية لقيت رسالتها نجاحا عظيما من سكان المناطق المقفلة سواء فى جبال النوبة ، أو المديريات الجنوبية ، وقد اعتنق الاسلام على أيدى بعثات هذه الجماعة نحو خمسة وعشرين ألف نسمة معظمهم من « كاركو » و « الكاشة » و « كره » و «الشفر»

كما اعتنق الاسلام على أيدى هذه الجماعة تلاميذ منطقة « سيلارا » القريبة من «الدلنج »

وفى «كينيا» تعرض الاسلام للغزو الأوربى، والصهيونى ، واستقبل أكبر دعاية صليبية ، ومع الجهد ، والسعى ، والانفاق المتواصل ، لم ينل هذا الغزو فى « كينيا » من الاسلام شيئا ، وهذا يرجع الى أن السابقين الأولين من المسلمين العرب الذين هاجروا الى افريقية الشرقية والذين دخل الاسلام معهم الى تلك المناطق كان أول شىء فعلوه هو تعليم الاسلام لأبنائهم وتحفيظهم القرآن ، صغارهم وكبارهم رجالا ونساء حتى لايوجد فى سواحل كينيا من لم يحفظ القرآن ويكتبه .

وفى « السنغال » هزمت بعوث المبشرين ، ولم يستطيعوا مناهضة الاسلام ولغة القرآن الكريم ، وقد حدثنى السيد « التيجانى »سفير السنغال ـ وقد التقيت به فى الاسكندرية فى صيف عام ١٩٦١ حين تلبية دعوة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ أن شعب السنغال هو أقرب الشعوب الافريقية للعرب ، وأن الكثير من أهله يعرفون اللغة العربية ٠

وفى «نيجيريا » التى يبلغ عدد المسلمين فيها نحو ثلاثين مليون نسمة ـ نجد قوة الاسلام وصموده ، فكلما بالغ المستعمر فى جده وسعيه ، وانفاق ماله فى نشر مذاهبه وعقائده ، كلما ازداد الاسلام اكتساحا لخصومه وأعدائه ، وقد حدث من زار هذه البلاد أنه كلما تنصر واحد من أبنائها اعتنق الاسلام فى مقابله عشرة ٠ والمسلمون هناك متدينون متشددون ، يعتبرون يوم الجمعة عيدا ، يلبسون فيه أفخر ماعندهم من الثياب ويظهرون بمظهر البهجة والسرور ، تسير أمامهم الطبول والمزامير حين يخرجون لصلاة الجمعة ، وحين يعودون ،

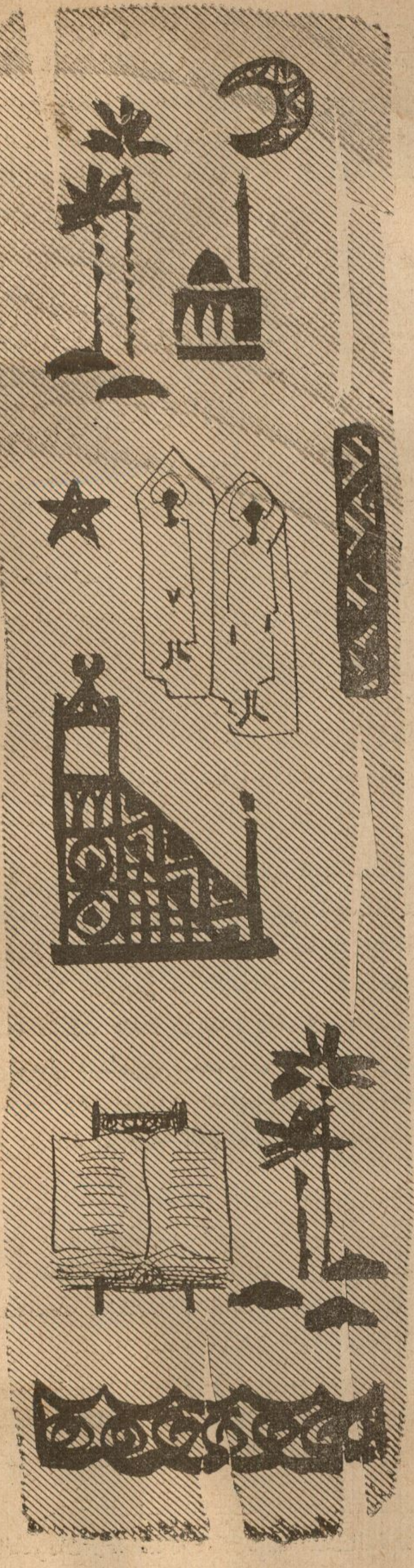

والحاج « أحمد بللو سردونا » رئيس حكومة « نيجيريا » مسلم متدين مخلص ، ولعل هذا من أهم العوامل فى زعامته وقيادته ، وهو الى جانب رياسته الحكومة رئيس حزب وزعيم أمة يحفظ القرآن وعلى معرفة تامة بأصول الاسلام وتعاليمه ، ويتكلم العربية فى طلاقة ، خاصم اسرائيل ، وحال فى قوة دون تسللها الى شمال « نيجريا » رغم محاولة الاستعمار لها .

أما مستقبل اللغة العربية فى افريقية الحديثة ، فهى تسير مع موجة انتشار الاسلام جنبا الى جنب والاتجاهات والطلائع تدل على أن حكومات « السنغال » و « غانا » « وغينيا » و « نيجيريا » و « مالى » .. مهتمة غاية الاهتمام بأمر اللغة العربية ، وأنها تعتزم اليوم زيادة المدارس العربية فى المدن والقرى وادخال اللغة العربية فى البرامج الدراسية ابتداء من الصفوف الأولى .

وفى الجملة فان اللغة العربية أصبحت تزاحم اللغة الانجليزية ، رغم ماتجد اللغة العربية من عنت ومقاومة ، والانجليزية من معونة ومساندة ، وانه من العسير ، بل من المستحيل الفصل بين الاسلام واللغة العربية .

ان فى يقظة الوعى الاسلامى التى بدت فى تعاطف الدول الافريقية الاسلامية على ما بينها من بعد ، وتحالفهم على أحداث الاستعمار الغربى والصهيونية لأشعة من تباشير الصباح بعدها النهار المشرق .

غير أنه مما ينبغى أن نلفت النظر اليه أن على الأزهر رسالة مقدسة ، وواجبا محتوما نحو هذه الدول فى ظروفها العصيبة التى تجتازها اليوم ، فهو وحده الذى يملك أن يقوى الوعى الروحى ، ويوجه الى القلوب عن طريق الوعظ فى المساجد ، والتعليم فى المدارس ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الاذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون ، ويدرس المتعلمون ، من كتب ومناهج وتنقية الدين مما علق به من بدع ، ودرس فيه من خزعبلات حتى يتكشف للناس عن جوهره وحقيقته .

الإسلام والتكافل الاجتماعي

الأستاذ البهي الخولي

٢ - الجانب التقريري

١ - تلخيص لبعض ماسبق :

عرضنا فيما سبق الى أن التكافل فطرة المجتمع ، أى هو الوضع الذى تستبين معالمه - ولابد - حين نتأمل فى صلتنا بالأرض ، وفيما خلق الله فيها من ثروة ، وحين نحسن الرجوع الى فطرة الانسان ، ونصغى الى هواتفها العميقة ، ونقرأ ماسطر الله فيها من مبادىء الحق بغير مداد ولا حروف ..

نعم فالتأمل فيما تسخو به الأرض من خيرات وكنوز ، وفيما طويت عليه فطرنا من آيات ومبادىء ، ينشىء فى وعى المرء احساسا أو علما فطريا بأن التكافل هو « القانون الطبيعى » أو الوضع الحتمى الذى توجبه أزلية الثروة ، وتفرضه الروابط الفكرية والعاطفية التى تربط أبناء كل بقعة بعضهم ببعض ، على مثال الصورة الحتمية التى يتداعى بها أعضاء البدن الواحد بالتعاون والسهر والحمى اذا اشتكى منها عضو ، وذلك لروابط الأعصاب التى تربط بعضها ببعض

وكما نعتبر هذا التداعى الحتمى بين أعضاء البدن الواحد علامة على صحة الاعضاء وسلامة المراكز العصبية فى المخ يجب أن نعتبر التكافل الحتمى بين أفراد المجتمع علامة على سلامة « **الحاسة الاجتماعية** » فى كل منهم ، وصحة « **العقل القومى** » الذى يمثل الروابط الفكرية والعاطفية ، والاقتصادية التى تربط هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض فى بيئتهم على النحو الذى بيناه فى الكلمة السابقة .

---

٢ - حين يوكل التكليف الى الفطرة :

فتكافل الاسلام ليس اقتصاديا بحتا ، ولا عاطفيا صرفا ، ولا فكريا خالصا ، بل هو تحقيق لتقريرات الفطرة التى توجب قيام اوضاع اجتماعية ، تجمع أهل كل بقعة فى نطاق روابطها الثلاث التى قدمنا ، رابطة الحق الأزلى فى اقتصاد البيئة ، ورابطتى النسب العام والنسب الخاص ، فيمتزج الاقتصاد فى تلك الأوضاع - ولا بد - بمنطق الفكر وتوجيه العاطفة .

وقد عرفنا أن هذه الروابط ليست أفكارا عارضة لذهن مفكر ، ولا مقترحات عارضة

لحل مشكلة ، بل هى سنن فى الاجتماع لامناص منها ، ولا خيار لأهل بقعة ما ، بين العمل بها أو العمل بسواها فانه لاصلاح لشىء الا أن يستقيم على أصل فطرته وينتظم على ماسلكه الله فيه من سنن ، ولذا نرى تكافل الاسلام يترجم ذلك كله قولا وعملا ، فيمتاز من سواه بأنه الفطرة فى اصالتها ، ووضوحها ، وعمقها ، فاذا كان غيرنا يفرض تكافله بالقانون أو بسلطان الدولة فتكافلنا تفرضه الفطرة .. واذا نزل به شرع يفرضه من السماء ، فهو شرع بتكاليف الفطرة الى الفطرة نفسها ، وحين يوكل التكليف الفطرى الى الفطرة ، تزول عنه صفة التكلف ،ومشقه المعاناة ، ويصبح كأنه أحد حظوظ النفس وملذاتها

٣ - تكافل الاسلام ومنطق الرحم :

وقد راعى الاسلام - فى فرض التكافل - حق رابطتى النسب العام والنسب الخاص . ولا يغيب عن الذهن أن رابطة الرحم الخاصة - وهى صلة الانسان بأبويه وبنيه وسائر قرابته - قوامها الحب العميق ، والرحمة الصادقة .. وأن رابطة النسب العام - وهى بنوة المرء لبيئته الطبيعية التى أهم مظاهرها وحدة المزاج النفسى بين أفرادها ووحدة اللهجة واللغة - رابطة هذا النسب يغلب فيها المنطق الذهنى ما سواه ، فحين يتغرب المرء الى بلاد أجنبية - مثلا - لا يفقد معاطفة الأهل والعشيرة فقط ، بل يحس الى ذلك وحشة لفقدان رابطة اللغة والفكر ، ويدرك كأنها رحم ذهنية تعطفه الى دياره وتحن به الى بنى وطنه ، وقد صور المتنبى ذلك المعنى فى زيارته لشعب بوان من أرض فارس اذ قال :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى
بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان

فهو لايشكو بهذا الشعب وخامة الهواء ، ولا قبح المنظر ، فانه فيه بمثل خصوبة الربيع ، وجمال زهره ، ولين نسمته وطيب شذاه ، بل يشكو غربة اللسان التى فقد بها أنس اللغة ، وتجاوب الذهن للذهن ..

فالناس فى بيئة المرء نوعان :

نوع يتصل به بصلة النسب العام ذى الرابطة الفكرية وهم عامة أهل البيئة .

ونوع يتصل به بصلة النسب العام والنسب الخاص معا - أى بالصلة الفكرية والعاطفية - وهم عشيرته وخاصة أهله .

ولاشك أن حكم العاطفة - فى مجال البر - أقوى من حكم رابطة الفكر ، أى أن الطائفة الأخيرة التى هى خاصة أهل المرء أقرب الى مشاعره ، وأولى بعطفه وبره ، من تلك التى لايربطه بها سوى الرباط الفكرى فحسب ، وهؤلاء أولى ممن لايربطه بهمأى رباط الارباط الانسانية العام

فاذا جعلنا عاطفة المرء مركزا لدائرة اجتماعية ، الفينا أبناءه أقرب الأفراد جميعا الى ذلك المركز ، ثم يليهم الأبوان ، والاخوة والأخوات ، وأولاد العم ومن يليهم فىالقرابة حتى ننتهى الى محيط تلك الدائرة ..

وهذا الترتيب فى القرب والبعد من المركز يمثل تدرج عاطفة المرء من القوة الى الضعف كلما ابتعدنا عنه اذ يبلغ الحب ذروته فى بنيه ويقل بعض الشىء فى محيط الأبوة ، ثمينزل قليلا فى نطاق الأخوة ، ومنهم تقل الدرجة كلما ابتعدنا عن المركز الى من وراءهم ..

ذلك حكم العاطفة ، وهو حكم يجب اقراره والتسليم به ، فليس مما يسيغه العقل ، أو تقر به العين أن يكون الأجنبى أولى ببر المرء من والديه واخوته - مثلا - فترتيب الأولوية قد قررته فطرة الله فى الانسان اذ جعلت حظوظ قرابته من حبه تتفاوت بحسب قرب كل منهم أو بعده عنه ، حتى نجاوز نطاق الأسرة الخاصة الى محيط البيئة العامة .

واذا كان ذلك هو حكم الفطرة ممثلة فى أصالة العاطفة ، فهو - أيضا - حكم الاسلام الذى لم يزد على أن قرره وأكده لمن سأل عنه : « يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من

خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل : من أبر يا رسول الله ؟ فقال : « أمك وأباك ، وأختك ، وأخاك ثم أدناك أدناك »

فالقرآن والسنة يبدآن فى ترتيب البر من مركز البيئة الخاصة ثم يتسعان بعاطفة المرء شيئا فشيئا حتى يجاوز بها نطاق الخصوصية الى أقطار البيئة العامة ، ومنه ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها - مركز الدائرة - فان فضل شىء فلأهلك ، فان فضل شىء عن أهلك فلذى قرابتك ، فان فضل شىء عن ذى قرابتك ، فهكذا ، وهكذا » وضم عليه السلام كفيه على هيئة اناء كمن يحتويهما عن اليمين وعن الشمال ، يريد أن يقول : فان فضل شىء عن ذى قرابتك ففرقه عن اليمين وعن الشمال فيمن عداهم .

وقد فرض الاسلام الزكاة ، وجعل أداءها لذوى القربى - الذين لا تجب عليه نفقتهم - أفضل من أدائها للأجنبى رعاية للمعنى نفسه، فانها للأجنبى صدقة ، ولذى القربى صدقة وصلة وجعل أداءها فى فقراء أهل البلدة أولى من أدائها الى فقراء بلدة أخرى .. وقد حدث أن زكاة حملت من الرى الى الكوفة، فأمر عمر بن عبد العزيز فأعيدت الى الرى .. وكان معاذ بن جبل يعمل لعمر بن الخطاب فى صدقات أهل اليمن ، فبعث اليه معاذ بثلث الزكاة ، فأنكر عمر ذلك على معاذ وأرسل يقول له : « انى لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم » ، فقال معاذ : « ما بعثت اليك بشىء وأنا أجد أحدا يأخذه منى » ، فلما كان العام الثانى ، بعث اليه نصف الزكاة، فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث ، بعث اليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك ، فقال معاذ : « ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا » .

وقد علق الامام ابو عبيد - فى كتابه « الأموال » - على ذلك وعلى آثار أخرى أوردها فى هذا المعنى بقوله : « ان كل قوم أولى بصدقتهم حتى يستغنوا عنها ، ونرى أن استحقاقهم ذلك دون غيرهم انما جاءت به السنة لحرمة الجوار ، وقرب دارهم من دار الأغنياء » .

٣ - أزلية الثروة هى النطاق العام للتكافل :

وكما راعى الاسلام - فى فرض التكافل - رابطتى النسب العام والخاص ، راعى أزلية حقوق العاجزين فى أموال القادرين مؤسسا ذلك على حقوق الناس جميعا فى خيرات الأرض ، واذا كنا قد قدمنا فى تقرير هذا المعنى - بالمقال السابق - ما يغنى عن الاعادة، فان النظر من الجانب التقريرى للتكافل ، يكشف لنا جوانب لا بد من تجليتها وفاء بحق المقام ، ولعل أوجز نص وأجمعه لتلك الجوانب قول الله تعالى ثناء على البيئات الفاضلة ، المتكافلة : « **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » .

ونبين من تلك الجوانب الدقيقة الأصيلة - فى نطاق الآية الكريمة - ما يأتى :

أ) مال الناس .. أو مال الله ؟

وأول وضع من أوضاع المال الأصيلة التى تدار فيها مناهج التكافل ، هو أن المال مال الناس .. لا مال الله ..

ولا تعارض بين هذا وبين ما قررنا فى كثير من كلماتنا السابقة من أن المال مال الله ، فأن للمال أوضاعا ثلاثة تختلف باختلاف زوايا النظر التى ننظر اليه منها ..

الوضع الأول : يبدو حين ننظر من أفق الأقدار العليا ، اذ يبدو لنا المال مال الله بلا شك .. ولهذا الحكم أثره فى صدق ادراكنا للحقائق الأزلية ، وصحة ما نبنى عليه من تصرف وأوضاع ..

والوضع الثانى : يبدو حين ننظر من زاوية استحقاقنا لهذا المال ، اذ نرى أن الله سبحانه لم يخلقه لطائفة من الناس دون أخرى ، ولم

يجعل فيه أى امتياز لفرد دون سواه ، بل جعله للناس كافة فى جميع البيئــــات ، فى كل الأجيال ، والعصور ٠٠ تشهد بذلك الفطرة ، وتقرره آيات القرآن الكريم بما لا نطيــل بذكره ٠

فالمال على هذا الاعتبار مال الناس ، لا مال الله ، والا لما جاز لنا أن نمسه ، ولا أن نبتغى منه أرزاقنا ٠٠ ولهذا الحكم أثره فى تحديد علاقة « المجموع » بالمال ٠٠ فالاسلام يعتبر الثروة فى أى أمة ملكا مشروعا ـ بفضل الله ـ لمجموع افرادها ، ســواء أكانت تلك الثروة مرفقا تديره الدولة أو تستولى عليه ، أم كانت نقدا مرصودا لحساب بيت المال ، أم كانت مالا فى حيازة الأفراد ، أم كانت خيرا مكنوزا فى بطن الأرض ٠٠ كل ذلك يضفى عليه الاسلام وصف المال العام ، أو مال المجموع الذى لكل فرد فيه نصيبه الأزلى ولا بد ٠٠ وهـو حكم خطير سنعود بعد سطور الى بيانه ٠

والوضع الثالث : يبـدو حين ننظر من زاوية استحقاق الأفراد لما فى يد كل منهم من المال ، اذ نرى أنه حيازة آلت اليـه بطريق الجمع والسعى الى التحصيل ، لا بحق الخلق وابداع أى شىء من العدم ٠٠ وهى حيـازة أجيزت رعاية لنواميس العمـران التى تقضى بشحذ كل طاقة وكل موهبة فى الانســان ، واثارة كل ما فى الأرض من كنـوز المعادن والثروة ، ليكثر الخير وتزدهر الصـناعة ، ويقوى امتزاج الناس بعضهم فى مصـالح بعض ٠٠ وبكثرة الخير وامتزاج النـاس بعضهم فى مصـالح بعض يرتقى الخلق ، وتزول مفاسد الأنانية من غش وكذب وسرقة ونحوها ، على مثال ما هـو معروف فى بعض البيئات التى ازدهر فيها العمران الاقتصادى ٠

هى حيازة أجيزت لهذا العمران الاقتصادى فحسب لا تحمل اطلاقا أى شارة من شارات الملكية الأصيلة ، ولا تنسخ صفة « العمومية » عما فى أيديهم ٠

ولا يفتننا عن هذه الحقيقة ما يقـال عما لدى بعض الأفـراد من عبقريات خلاقة ، ومواهب مبدعة ، فهى نعوت أملاها التهـويل والغلو ، اذ لا يعـدو شأو تلك « العبقريات الخلاقة » دور استهلاك الأشياء ، أو الافتنان فى اعدادها للاستهلاك على ما بينا فى كلمتنـا السابقة ٠٠

فى الناس جميعا مواهب ، ولكنهـا مواهب ترشحهم للحيازة لا للخلق واصـالة الملك ، وقد تفاوتوا فيما بينهم فى مدى تلك المواهب ، ليتفاوت استعداد كل منهم او قدرته على الجمع والتحصيل أو لتتفاوت به الحظوظ بينهـم فى كميات الحيازة ومقادير المحصول ٠

وقد بينا فى احدى كلماتنا الســابقة أن ليس للمرء فى تلك الحيازة من حق سوى نفقته ونفقة من يعول فى غير سرف ولا مخيلة ، على أن يكون هو أمينا أو خازنا لمـا تحت يده ، ينفقه فى سبيل الله ، أى فى مصالح « المجموع » أفرادا أو جماعة ، باعتباره جزءا من المال العام ، لا ملكا خاصا له ٠٠

الصحابة يطبقون هذا المفهوم :

وعلى هذا نرى الوضع الثانى ، والوضع الثالث يجمعان المال كله فى وصف واحد هـو أنه « مال الناس ٠٠ لا مال الله » سواء أكان مجموعا فى بيت المال أم مفـرقا فى أيدى الأفراد ٠

وكلمة « مال الناس » ذات مدلول يوهـم « العموم » او « الجمعية » التى ينوه فيهـا اعتبار الفرد بالنسبة للجماعة كأنه صفر على ما هو معروف فى الشيوعية ، وهذا وهم نبادر الى ازالته ، فان الناس حين استحقوا خيرات الأرض استحقوها أفرادا لا جماعة وكان لكل فرد حقه الذى يسعى اليه بنفسـه لتقوم به حياته ، فاذا أوجب العمران أن يجتمعـوا وأن تكون لهم مصالح مشتركة فان ذلك لا ينسـخ الوضع الأزلى فى « فردية الحقوق » ٠٠ فمهما تكن من « مصلحة عامة » فان الجمهور لا يرعاها حق رعايتها الا اذا تنبه فى كل منهم احساسه بحقه الشخصى فيها ٠

وقد التفت عمر ـ رضى الله عنه ـ الى هـذا المعنى الدقيق ، اذ رأى أن النـاس اذا نظروا

الى « عمومية المال » فرأوه « للجماعة العامة » دعاهم ذلك الى الترخص فيه أو الاهمال ، أما اذا نظروا فيه الى أنه « مجموعة حقوق الأفراد» أى لكل فرد فيه حقه المقرر ، دعاهم ذلك الى الحرص ، والتهيب ، واستعظام الترخص فيه ، قال رضى الله عنه « لايترخصن أحدكم فى البرذعة ، أو الحبل ، أو القتب ، فان ذلك للمسلمين ، ليس أحد منهم الا وله فيه نصيب فان كان لانسان واحد رآه عظيما ، وان كان لجماعة المسلمين ارتخص فيه ، وقال : مال الله » .

فان اقتصار النظر على نسبة المال الى الله لا يصحبه الا تصور عموم المال للجماعة التى يتوه فيها الفرد وحقه، وهذا يدعو الى الترخص الذى تكون به حقوق الأفراد أول ضحاياه .. وقد لحظ أبو ذر - رضى الله عنه - ذلك المعنى نفسه فأنكر على معاوية انه يكثر من قوله : ان المال مال الله ، فذهب اليه يقول : « مايدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ » قال معاوية : « يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله والمال ماله ؟ » قال : « فلا تقله » فأجاب معاوية مطيعا قول أبى ذر : « انى لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين » . وذلك لأن الابتعاد بمال الجماعة عن ملاحظة ملكية الله يزيل الستار الذى قد يسوغ للعابثين عبثهم بالمال باسم الحق الالهى ويجعل الأمر فيه علانية لأفراد الجماعة باسم الحق المقرر لكل منهم ..

اشتراكية الرخاء هى نطاق التكافل :

واذ يتقرر هذا نخلص الى ان الاسلام يرى أن ثروة الأمة جمعاء هى « شركة » عامة بين أفراد الشعب بأسره ..

وهذا الحكم ليس اجتهادا أدعيه ، ولفظ الشركة ليس من مصطلحات المحدثين ، فانا ننقل هذا وذاك عن أبى عبيد فى الأموال اذ يقول : قال عمر بن الخطاب : « ما من أحد من المسلمين الا له فى هذا المال حق ، أعطيه أو منعه » وقال أبو عبيد : « ثم روى الناس عن عمر بن الخطاب - رحمه الله - أنه رأى لكل المسلمين فيه شركا » .

واذا فالاشتراكية الصادقة من هدى ديننا، ونحن أئمتها وهداتها من قبل أن يعرف الشرق والغرب العدالة وحقوق الانسان .

وأعضاء هذه الشركة العامة هم أفراد الشعب بأسره .. هم أعضاؤها المولون ، كل بحقه الأزلى فى الثروة ، وهم أيضا موظفوها والعاملون بها .

قد يكون واضحا أن توظيف أفراد الشعب جميعا فى تلك الشركة مراد به اتاحة العمل الحر الشريف الذى يكسب به كل فرد قوته فى نطاق نظم المجتمع بحيث يعود كل منهم آخر النهار راضيا عن حظه الذى وفرته له العدالة وتكافؤ الفرص .. اما أنهم أعضاء ممولون فمن حق المقام أن نبينه ، ذلك ان الشركة - أى شركة - قد يطرأ عليها الربح وقد يطرأ عليها الخسارة .. وقد يجوز عليها القحط كما يجوز عليها الخصب والرخاء .. ولكل من أعضاء الشركة نصيبه فى كل حال ولا بد ، فتوزع الأرباح عليهم ان كان ربح ويشتركون فى احتمال الشدة جميعا بنفوس راضية متواسية ان كان أمر من الشدة .

وهذا ما طبقته الحكومة الاسلامية الراشدة بدقة فى أفراد مجتمعها ، اذ اعتبرت كل مال وارد أو كل زيادة فى الدخل القومى أنما هى حق للجماعة، أو « ربح لصندوق الشركة العامة» قال الامام الماوردى : « كل مال استحقه المسلمون - جماعة - ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال ، فاذا قبض صار بالقبض مضافا الى حقوق بيت المال ، سواء أدخل حرزه أو لم يدخل ، لأن بيت المال عبارة عن الجهة لا عن المكان » .. فاذا أضيف الى بيت ، أو « صندوق الشركة » اتخذ سبيله الى أفراد الشعب أو الى المولين الطبيعيين ، ويطول بنا تتبع مراحل تنظيم تلك الشركة وتوزيع مغانمها وفيئها ، أى دخولها المتزايدة، ولكن الأمر انتهى بعمر - رضى الله عنه - الى أنه جعل توزيع ذلك المال على أفراد الشعب سنويا وقد علق أبو يوسف على ذلك بقوله :

« وفى ذلك كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم » .

والمعروف أن شأن الحكومات فى القديم والحديث هو جباية المال لا توزيعه ، ولكنها اشتراكية الاسلام المرنة الفطرية العميقة التى يفوق بها كل نظام سابق ولاحق . ومن بشائر الخير ما قرأناه ونحن نكتب هذه الكلمة من أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قررت توزيع أربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات على الموظفين ، وهى سابقة تسير فى الخط نفسه الذى تخطه الاشتراكية الاسلامية .

ولما رأى عمر أن المال يفيض فيضا رأى أن يتقصى أفراد الشعب قاطبة دانيهم وقاصيهم فيؤدى الى كل منهم نصيبه حيث هو بالغة ما بلغت دياره من البعد ، فكان يكثر أن يقول فى آخر سنة له : « لئن بقيت ليبلغن الراعى بصنعاء نصيبه من هذا الفىء ودمه فى وجهه » « فان عشت — ان شاء الله — ليؤتين كل مسلم حقه حتى يأتى الراعى بسرو حمير لم يعرق فيه جبينه » وسرو حمير منازل باليمن ..

واذا كان نظام تلك الشركة يشعر المرء — واقعيا — بأن رخاء الأمة رخاء له، وأن شدتها شدة عليه ، وأنه من الدولة ، وان الدولة منه كالجسد الواحد ، فانه من الوجهة الاقتصادية أنجع فى تثمير المال ، ورفع مستوى المعيشة ، وتمكين العبقريات الكامنة فى الشعب من أن تحقق مشروعاتها الصناعية والاقتصادية التى تحلم بها ، فطالما كان الاسعاف المالى لتلك العبقريات المطمورة سببا فى اطلاق طاقاتها من اليأس والخمول الى آفاق الاكثار والتنمية .

وواضح أن الاسلام بذلك يريد رفع مستوى المعيشة ، وادخال الثقة والسرور على نفوس الشعب ومضاعفة الرخاء والدخل القومى ، واستئصال الفقر فى شتى ألوانه من مختلف أوكاره وبيئاته ، وهذا عمر يقرر ذلك بقوله عن توزيع الزكاة بين الأعراب: « لأرددن الزكاة عليهم حتى تروح على أحدهم مائة من الابل ».

فذلك الرخاء الذى يتمثله عمر ويرجو أن تصير حال الأعراب اليه ، حتى يكون لكل واحد منهم مائة من الابل ، يصور لنا مدى كراهية الاسلام للفقر ، ومدى ما يجب أن تكون عليه اشتراكيته من رخاء ..

فى هذا النطاق الاشتراكى المتماسك المتجاوب الرخى يفرض الاسلام « التكافل الاجتماعى » ، ولو لم يفرضه لأدرك هذا المجتمع المثالى واجبه نحو من تقعد به ظروفه عن العمل

حق .. لا تفضل :

ومن الخصائص التى يجب أن تتوفر فى أوضاع التكافل ، أن يكون للمال المرصود له صفة « الحق » لا أن يكون تفضلا من أحد ، ولا منة من كريم أو بخيل ، وذلك قوله تعالى : « والذين فى أموالهم « حق » معلوم » .

ولكلمة حق فى هذا النظم القدسى من خطورة الشأن ما ليس لها فى أحاديث الناس حين تدور على ألسنتهم فى مختلف شؤونهم اليومية فشتان بين جلالة حق ينطق به شخص مدنى ، وحق ينطق به نبى من الأنبياء عن وحى الله سبحانه .

فان مفاهيم الحق فى العرف الحضارى تكاد تأخذ وصف القواعد التنظيمية التى تتناول ظاهر أمور الناس ، دون أن تمتد الى ضمير الكون حيث تحف القداسة والجلالة بمقام الحق ، وحسبنا من مفاهيم الحق فى وحى الله ، انه هو الوحدة الكبرى التى قدرت عليها نواميس السماء والأرض ، فى كل مصلحة ظاهرة وخافية ، وقد جلت تلك الوحدة أن تنحرف عن سننها استجابة لهوى أحد من الناس ، اذا لفسد الكون كله لا السماء وحدها ، ولا الأرض فحسب ، وحاشا لله أن يكون ذلك فى صنعه .

فقدسية الحق التى نعنيها لا تستمد معناها من أمر سطحى ، بل تستمده من المعنى الأصيل الذى يجمع أطراف الكون كله فى قبضة ناموسه الهائل ويريك أفراد الكائنات كأنها ذرات سابحة فى أفلاكه الى الغاية العليا ، فأذا بدا لأحد من البشر أن يشذ عن فلكه ، فلن تبكى عليه السموات والأرض، ولن تجرى

وراءه تلك المجموعة الضخمة من الكائنـــات والنواميس ولن يهلك الا نفسه ، اذ لن يلقى الا ما يلقاه أى كوكب ان شـذ عن مداره من الدمار والتحطم « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » ، « وما خلقنا السموات الأرض وما بينهما الا بالحق » ، « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .

فشأن الحق فى هذا النظم القدسى شـأن خطير ، وهو ما أردنا أن نلفت النظر اليه .. واذا كان الله تعالى سماه « صدقة » فهـو من الصدق .. وليس معنى الصدقة - كما يظن العوام - ذلك العطاء الذى اذا ألقاه صاحبه ألقاه متفضـلا أو ممتنا به على سـواه ، بل معناها - كما قلنا - من الصدق الذى هـو - كما تقول كتب اللغة - القوة .. والجد .. والشدة .. والصلابة .. والفضل .. والكامل من كل شىء .. فاذا سمت النفوس فى ادراكها للحق الى ذلك المستوى ، فهى نفوس قوية جادة فاضلة صلبة لا تلين فى الحق .. فاذا حملت على العدو حين البأس كانت صادقة الحملة ، شديدة الوطأة عليه .. واذا أعطت المـال ، فعطاؤها مظهر **صدقها** فى فهمها للحـق ، وغلبتها على نوازع الأنانية والجهل التى تدعو الى سقوط الهمة وضعف النفس .. وقد ورد فى حديث للنبى - صلى الله عليه وسلم - أن نفس المؤمن تسمو فى قوتها حتى تجـاوز خصائص القوة فى الجبال ، والحديد والنـار والماء ، والهواء - تبلـغ تلك الذروة ، اذا هى بلغت أن تنفق فلا تدرى شـمالها ما فعلت يمينها ..

معلومية الحق :

وقد وصـفت الآية الكريمة الحـق بأنه «معلوم» فقال سبحانه : « **والذين فى أموالهم حق « معلوم »** » .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة بمكة ، قبـل أن يهاجر الرسول الى المدينة لينظم بها فريضة الزكاة ، بذكر أنصبتها ، ومقاديرها ، وطريقة جبايتها ، ومصارفها ونحوهـا .. أى أن المسلمين ظلوا يقرءون تلك الآية الكريمة سنين عددا ولا يفهمون من كلمة معلوم الا أنهـا وصف للحق ذاته ، لا أنها وصف لما يتعلق به من أنصبة ونحوها ..

وكلمة معلوم مأخوذة من العلم .. **وللعلم - فى اللغة - معنيان : الأول اليقين ، والآخر المعرفة** ، كما فى المصباح .. والذى أختاره فى هذا المقام أن العلم مراد به اليقيـن .. فالحق المعلوم ، هو الحق المتيقن الساطع فى الضمير الذى يشهد المرء معالمه على صـفحة فطرته .

وضرورة النص على هذه « المعلوميـة » أن الحق قد تنكره النفوس وتنفر منه الطباع لأنه لا يستجيب لما تألفه من حظوظ ، فما لم يكن لهذه الطباع اذعان فطرى للحق .. اذعـان اختيارى لأمر الله فى نشاط ورغبة ويسر .. اذعان مصدره اقتناع الطبع - اذا صـح أن يكون للطبع اقتناع - فلن يكون الحق معلوما لدى أحد من الناس ، اذ يظل الطبـع الكثيف حجابا قائما بين وعى المرء وما فى فطرته من معالم الحق .

ان للطبع - واقصد به مدى ما لبشرية المرء من حظوظ الكثافة والصفاء - ان له سـلطانا يفوق - أحيانا - سلطان العقـل ، وأحكاما ترجح أحكامه ، وهو ما سميناه « اقتناعا » .. فاذا اقتنع - بما له من صفاء - بوجوب حـق من الحقوق فذلك صفوة الايمان وحقيقة اليقين وهو التصديق القلبى الذى نقـرؤه فى كتب الدين .. وهو الذى تؤديه كلمة «معلوم» التى وصف بها الحق فى الآية الكريمة .

ولا يبلغ المرء ذلك الشأو الا اذا تحرر طبعه من عبادة الأنانية والأهواء الفاسدة ، وغـدا محكوما بقوانين عبادة الله وحده .

وحين يصبح الحق معلوما « هذه المعلومية » لدى المؤمنين ، متيقنا فى طباعهم على هذا النحو فقد استغنى المجتمع عن القوانين الرادعـة ، وصار أداء الحقوق موكولا الى قوى خفية فى النفس أقـوى من كل ما وضـع البشر من قوانين .

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

قواعد الحرب في القانون الدولي - مقارنة بقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية.

كانت شريعة الغاب التي تتمثل في أن الحق للقوة قانون الحرب خلال العصور القديمة والوسطى ، بل والعصر الحديث حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت الحروب تتسم بالقسوة والجبروت وانعدام الرحمة والمروءة ، فلا يجتمع ضدان في أثناء اشتعال الحرب قوة ورخاوة أو قسوة ولين فاذا انتهت بغلبة أحد الفريقين فويل للمغلوب حيث كان الغالب يمعن في التشفي والانتقام واذلال خصمه ، مستبيحا لنفسه كل ما لا تقتضيه ضرورات الحرب نفسها ، ولو كان فيها انتهاك لأبسط مبادىء الانسانية . ثم أخذت الأفكار تتجه رويدا رويدا الى التلطيف من ضراوة الحرب تحت تأثير الدين وما كان يأمر به من الرفق والرحمة ، وقواعد الفروسية وما تقضي به من الشرف والشهامة .

هذا ما يقرره فقهاء القانون الدولي الأوربي الحديث كمصدر لقانون الحرب ، الذي تعارفوا عليه بأنه لا يبيح القسوة والهمجية ، وعللوا ذلك بأن الغرض من الحرب هو : غلبة طرف على آخر حتى يسلم بما يطلبه الطرف الأول مما كان سببا في قيام الحرب ، ومرجع قانون الحرب على ما قالوا أمران :

أولهما : أن الحرب تدعوا اليها الضرورة والضرورة تقدر بقدرها، ويكفي فيها استعمال بعض وسائل العنف والخداع بقدر ما يكفي لاضعاف مقاومة العدو وحمله على التسليم.

وثانيهما : وجوب مراعاة المبادىء الانسانية في الحرب بقصر ويلاتها على القوات المقاتلة من الطرفين مع تجنيب غير المحاربين تلك المضار والأهوال .

قواعد الحرب في الاسلام :

ولقد أسلفنا أن هذه المبادىء التي سميت بقانون الحرب ، انما تطرقت الى القانون الدولي العام الأوربي من الاسلام ، اذ أن دعاة الرحمة وتجنب القسوة في الحرب من اتباع الكنيسة المسيحية مثل فيكتوريا وسوارس يسلمون بذلك ، وقلنا ان الحروب الصليبية حملت كتاب أوربا على الاعتراف بأن للحرب قانونا شاملا في الاسلام ، ومر ذكر أن بعض أمراء الجند في الحملات الصليبية كانوا يقتلون الأسرى من المسلمين بل كانوا يقتلون الرسل الذين يوفدون اليهم ، وكان قواد المسلمين لا يعاملونهم بالمثل امتثالا لأوامر دينهم وما نص عليه القرآن من أن تؤمن الرسل حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن ذلك ما قرره جوستاف لوبون في كتابه ـ حضارة العرب ـ من أن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من المسلمين ، وفي صدد قتل الاسرى المسلمين في الحرب الصليبية قال المؤلف : « كان أول ما بدأ به ريكاردوس قلب الأسد الانجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم اليه بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم ، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل ، والسلب مما أثار صلاح الدين الايوبي النبيل الذي رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى، والذي أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والازواد في أثناء مرضهما » ..

وختم المؤلف قوله بأن الهوة سحيقة بين تفكير الرجل المقدس وعواطفه – يقصد صلاح الدين – وبين تفكير الرجل المتوحش ونزواته .

كان المسلمون لا يقابلون هذه الجرائم الوحشية بمثلها ويقولون وفاء بغدر .. اى مهما غدروا بنا فلا نقابل غدرهم بغدر بل نقابله بالوفاء لعهودنا ومثلنا واوامر ديننا

ونستشهد أيضا فى هذا المقام بما قاله مؤرخ اوربى هو يورجاقى كتابه – تاريخ الحروب الصليبية – ص ١٢٠ و ١٥٦ « ابتدا الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع ، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء فى القصور التى استولوا عليها ، وقد أسرفوا فى القسوة فكانوا يبقرون البطون ويبحثون عن الدنانير فى الأمعاء . أما صلاح الدين فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ووفى لهم بجميع عهوده ، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطئوهم مهاد رأفتهم حتى أن الملك العادل شقيق السلطان أطلق ألف رقيق من الأسرى ، ومن على جميع الأرمن وأذن للبطريرك بحمل الصليب ، وزينة الكنيسة وأبيح للأميرات والملكة بزيارة ازواجهن » . راجع فى مثل ذلك أيضا كتاب الدكتور نجيب أرمنازى ص ٤٠ وما بعدها .

وكذلك كانت خصال الملك الكامل فحاصر الصليبيين فى واقعة دمياط واحاط بهم النيل فقد نقل المؤلف على لسان أحد الصليبيين الذين شهدوا المعركة شهادة حق فقال : **« هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم ونساءهم بشتى الطرق وسلبناهم أموالهم ، وأخرجناهم من منازلهم عراة تداركونا وسدوا خلتنا وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع وما زالوا يحسنون الينا حتى غمرونا ببرهم واحسانهم لما كنا أسرى فى ديارهم ، وفى قبضة أيديهم فلو ضاع لأحدنا شىء لما أبطأ أن رد الى صاحبه ص ١٢٠ تاريخ الحروب الصليبية »** .

هذا ومبادىء الفروسية فى أوربا تطرقت اليها أيضا عن طريق الاسلام وقد عقد الأستاذ أحمد وفيق فى كتابه علم الدولة جزء ٩ ص ٤٣٩ فصلا بعنوان : « الفروسية الأوربية صورة من فروسية عنترة العبسى والبراز فى عهد النبى وأشار الى ما ذكره البارون دى توب ص ٣٨٨ – ٣٩١ لنعرف مدى نفوذ الاسلام فى الفروسية الأوربية وما اشتملت عليه من أخلاق حميدة » .

ومن المسلم به أن ما نادى به جروسيوس فى كتابه – الحرب والسلام – قائم على أقوال فيتوريا وسوارس وغيرهم ممن اعترف البارون دى توب أنهم نقلوا عن الاسلام كما مر ذكره .

أما السبق للاسلام فى هذا الشان فثابت مما تضمنه القرآن والسنة العملية والقولية وأعمال الخلفاء من تقنين شامل للحرب منذ ثلاثة عشر قرنا أو تزيد ، فى حين أن القواعد المنظمة للحرب فى القانون الدولى الأوربى بدأت منذ ثلاثة قرون أخذا عن الشريعة الاسلامية ، وظلت لدى أوربا قواعد عرفية بحتة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى حيث بدأت الدول فى تدوينها فى معاهدات أولها : تصريح باريس البحرى سنة ١٨٥٦ ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب سنة ١٨٦٤ ، ثم تصريح سانت بطرسبرج بتحريم رصاص دمدم المتفجر ، ثم اتفاقيتى الحرب البرية والبحرية من اتفاقات مؤتمر لاهاى فى سنة ١٨٩٩ ، وسنة ١٩٠٧ ، واتفاقية واشنجتون فى سنة ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات ثم اتفاقات جنيف الأربع سنة ١٩٤٩ الخاصة بمعاملة جرحى الحرب وأسرى الحرب وحماية الاشخاص المدنيين ، ويلاحظ أنها لا تطبق الا فى حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة أو الاتفاق والا فلا رحمة ولا قواعد للحرب بل القتل والنهب والسبى للمحاربين وللمدنيين غير المحاربين .

مجرمو الحرب والجزاء على مخالفة قانون الحرب :

كان العمل ساريا الى عهد قريب على رد مخالفة قواعد الحرب بالمعاملة بالمثل ، فلو قامت حرب بين دولتين موقعتين على اتفاقات تقضى بتنظيم حالة الحرب ، وأخلت احداهما فللأخرى أن تعاملها بالمثل ، أو تهدد بالمعاملة بالمثل ، وقد أسلفنا أن المسلمين لا يلجأون الى المعاملة بالمثل فيما حرمه الله عليهم من المثلة ، أو قتل النساء وغير ذلك . وبذلك لا تزال قواعد الاسلام أسمى بكثير من قواعد القانون الدولى .

القيم الإسلامية

الحق .. تعالى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

الحق والباطل طرفان متقابلان لا يخلوعمل من أعمال الانسان من الخضوع لأحدهما ، اذ لا يمكن أن يجتمع حق وباطل فى وقت واحد معا ، ومن أجل ذلك لا يخلو عمل من القيمة مادام المرء ينحو نحو أحد هذين القطبين ، وكل ما دار بين قطبين متقابلين فهو من جملة القيم ، كالخير والشر ، والجميل والقبيح ، والعدل والظلم ، والتقوى والفجور ، وغير ذلك .

وقديما صنف أفلاطون القيم فى مثل ثلاثة لا يخرج شىء عنها ، ولا يخلو منها ، هى :

الحق . والخير . والجمال .

وجعل الحق فى جانب العلم والمعرفة ، والخير فى جانب الأخلاق والسلوك ، والجمال فى جانب الفن والتناسب .

وكان أفلاطون يصور حال المجتمع اليونانى فى زمانه ، ويعكس ما كان يدور فيه من أفكار ويشيع من فلسفة ، وخلص الى أن حياة التأمل والنظر التى ينتهى فيها الفيلسوف الى رؤية الحق هى أسمى حياة ، وأنها أعظم قيمة من حياة المشتغل بالعمل .

ولكن المجتمع العربى فى زمان النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وفى وقت نزول القرآن لم يكن مجتمعا فلسفيا ، بل دينيا ، ولم يكن محمد فى قومه فيلسوفا نظريا بل رسولا نبيا ، نزلت عليه الآيات البينات ، فقام بتبليغها الناس كما أمر ، فاختلفوا فيما بينهم فى قيمتها أهى حق أم باطل ، فأما الذين اعتقدوا أنها حق فقد صدقوا بما أنزل عليه واستجابوا للاسلام وانقادوا للايمان ، وكفر معظم العرب فى ابتداء الدعوة وتمسكوا بما كانوا يعبدون .

ونستطيع القول بلغة القيم التى نتحدث عنها : ان العرب وجدوا أمامهم نوعين من العقائد ، تلك التى دعا اليها محمد بن عبد الله ، والذى كان يبشر بها وينذر قومه من ايمان باله واحد قهار خالق كل شىء واليه يرجع كل شىء ، وتلك التى كانوا يدينون بها من عبادة الأصنام . ووقف العرب فى حيرة وشك ، أى العقيدتين حق وأيهما باطل ، والى أيهما يتجهون وبأيهما يتمسكون ، فمن رفع قيمة الدعوة المحمدية على قيمة العقائد القديمة آمن ، وأسلم ، واعتقد أنها الحق ، وأن أديان الجاهلية باطل ، ومن تمسك بقيمة الموروث من العقائد لم يصدق بالقرآن وذهب الى أنه باطل ، وأن الرسول ساحر أو شاعر. وهذا الشك وهذه الحيرة وهذا العناد .. كل ذلك مصور أبدع تصوير وأبلغه فى أكثر من آية من الكتاب الكريم .

والقرآن لم يصور جدال المشركين من عبدة الأصنام فقط ، بل صور كذلك خصومة أهل الكتاب وعنادهم ، من يهود ونصارى ، فلما دعا الرسول العرب من مشركين وأهل كتاب الى الاسلام والى الدين الحق ، اضطروا الى الرجوع لعقائدهم والتأمل فيها ، أيهما هو الحق : الجديد الذى جاء به محمد يدعوهم اليه ، أم القديم الذى كانوا عليه . فقد تساءلوا عن ذلك النبأ العظيم . قال تعالى :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة »

وخلاصة البحث التاريخى يدل على أن العرب رفعوا من قيمة هذا الدين الجديد على الأديان التى كانت سائدة ، ومعنى ذلك أنهم بعد النظر والتأمل والجدال والمعارضة والانكار انتهى بعضهم الى أنه هو الحق ، وعندئذ مالوا اليه وتركوا ما كانوا به يعتقدون. فالحق كقيمة مصدر للسلوك ، وسلوك بعض العرب دليل على تلك القيمة .

والتاريخ يدلنا أنه فى ابتداء الدعوة ، لم يؤمن الا بضعة نفر ، ظل عددهم يتزايد عاما بعد آخر .

والتاريخ يدلنا كذلك على أن العرب لم يكونوا فى ايمانهم بهذه القيمة على درجة واحدة، منهم من كانت تلك القيمة ثابتة فدافعوا عنها، وصبروا على الأذى الشديد ، ومنهم من كانت تلك القيمة عندهم مزعزعة ، فكانوا من أهل النفاق والتذبذب . وكان عدد المنافقين كبيرا ، يدل على ذلك الآيات الكثيرة التى وردت بشأنهم .

والتاريخ يدلنا أيضا أنه لم يكد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يلحق بالرفيق الأعلى حتى انقلب أكثر العرب على أعقابهم ، وارتدوا عن الاسلام ، فهجروا ذلك الحق الذى آمنوا به فترة من الزمن ، وعادوا مرة أخرى اما الى عقيدتهم الأولى واما الى اسلام مزيف من صنع أيديهم، يخففون الصلاة ، أو يمتنعون عن دفع الزكاة ، اعتقادا منهم أن هذا الباطل هو الحق فى نظرهم .

وقد اضطر أبو بكر الصديق الى حرب المرتدين حتى دان العرب مرة ثانية الى الاسلام .

ولنبادر الى بيان حقيقة الحق وماهيته ، قبل أن نشرع فى تفصيل هذه القيمة. واللغة العربية على خلاف اللغات الأوربية غنية بمعانى الحق والتميز بين الفروق الدقيقة فى الاستعمالات . فالعرب تقول :

الحق فى مقابل الباطل .
والصدق فى مقابل الكذب .
والصواب فى مقابل الخطأ .
والصحيح فى مقابل الفاسد .

وكل واحد من هذه الألفاظ يستخدم فى مجال يختلف عن المجالات الأخرى ، فالحق والباطل يطلقان على الاعتقادات ، ومنها الاعتقادات الدينية .

والصدق والكذب يستخدمان فى الأقوال والأخبار .

والصواب والخطأ يختصان بالقضايا والأحكام وما يتصل بها من أقيسة وبراهين واستنتاجات

والصحيح والفاسد يدلان على الأشياء الخارجية . وليس معنى ذلك أن المرء لا

يستطيع استخدام مصطلح بدلا من مصطلح آخر ، ولكن الدقة فى التعبير تقتضى التزام التفرقة المذكورة .

الذى يهمنا أن الحق صفة للعقائد . والعقائد هى ما يعتقده كل واحد منا ، سواء فى آرائه السياسية أو الأدبية أو الأخلاقية أو الدينية . وهذه كلها من الأمور الانسانية التى لا يمكن الاتفاق عليها ، لأن فيها عنصرا شخصيا يعتمد على المزاج ، وعلى الهوى والذوق .

والاعتقادات غير العلوم الطبيعية والرياضية التى لا خلاف بين الناس عليها ، فلا خلاف فى أن : خمسة وخمسة ، عشرة ، وأن طول هذه الحجرة خمسة أمتار فى عرض هو أربعة ، وذلك يرجع الى خضوع الرياضيات للقياس، والقياس يعتمد على الكم لا على الكيف .

أما الانسانيات فلا يمكن قياسها ، لأنها تخضع للقيم التى ترتفع أو تنخفض بحسب صاحبها ، والتى تتغير بحسب تطور صاحبها وتغير مزاجه وأهوائه .

ولذلك كانت المعتقدات داخلة مذ كانت فى دائرة القيم ، وكان « الحق » الذى توصف به خاضعا للقيمة ، أى يتسلسل فى سلم كله حق ، ولكننا نجد فى هذا السلم حقا أعلى من حق آخر .

فان قلت : وهل الحق متغير ، حتى يكون بعضه أعلى من بعضه الآخر ؟

قلنا : الحق ان كان خارجا عنا ، ثابتا ، فهو غير متغير ، ولكن الذى يتغير هو معرفتنا له ، فبعضنا يصل الى درجة من درجاته ، أو مظهر من مظاهره ، أو جانب من جوانبه ، ويقف عند ذلك الحد لا يتعداه ، ويعتقد أنه الحق كل الحق .

وأعلى درجات الحق : الله سبحانه وتعالى، انه الحق الأول ، انه الحق الذى لا حق وراءه، وسائر الحقائق تستمد وجودها منه،وتستعين فى بقائها وحياتها عليه .

ولهذا السبب كان « الحق » اسما من أسماء الله الحسنى ، عند أهل السنة . وهذه الأسماء التسعة والتسعون هى التى وردت فى رواية أبى هريرة عن رسول الله قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : **« ان لله تسعة وتسعين اسما ، مائة الا واحدا ، انه وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة ، هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ... الشهيد الحق الوكيل .. الى آخر الحديث »**

قال الغزالى فى كتابه « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » : **« ان الحق يقال فى مقابلة الباطل ، وان الأشياء تستبان بأضدادها ، وأن كل ما يخبر عنه فاما باطل مطلقا ، واما حق مطلقا ، واما حق من وجه باطل من وجه . وان الواجب بذاته هو الحق مطلقا ، وان الممكن بذاته الواجب بغيره حق من وجه باطل من وجه »** .

فالحق المطلق هو الموجود الحقيقى بذاته، الذى منه يأخذ كل حق حقيقته .

ومعنى ذلك **أن الله من ناحية الوجود هو الحق المطلق** ، أو كما سماه الكندى فى رسالته الى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى **« الحق الأول »** .

أما من ناحية المعرفة ، فالله كذلك هو الحق، وفى ذلك يقول الغزالى : **« فهو من حيث ذاته يسمى موجودا ، ومن حيث اضافته الى العقل الذى أدركه على ما هو عليه يسمى حقا فاذن أحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى ، وأحق المعارف بأن تكون حقا هو معرفة الله تعالى ، فانه حق فى نفسه ، أى مطابق للمعلوم أزلا وأبدا »** .

ولما كان الله هو الحق ، وليس ثمة حق سواه لأنه واحد أحد ، فلا يجدر بالمخلوق أن يسمى نفسه « الحق » ، وهذا هو السبب الذى من أجله كفر المسلمون بعض المتصوفة الذين قالوا : « أنا الحق » وانما الانسان عبد الحق ، كما نقول عبد الواحد ، وعبد الرحمن ، وعبد الرحيم ، وعبد التواب ، الى غير ذلك .

والحق باعتبار أنه اسم من أسماء الله له قيمة مطلقة، عليا، ولذلك يقال: الحق تعالى، وهذا من العلو ، أى تعالى الله على سائر المخلوقات علوا كبيرا .

غير أن الحق بمعنى الموجود الأول المطلق ليس مذكورا فى القرآن ، وانما جاء هذا المعنى من الفلاسفة الذين أخذوا مذاهبهم عن اليونان والأفلاطونية الحديثة ، واصطنع الغزالى آراءهم .

أما الغالب فى الآيات القرآنية فهو صفة الدين بأنه حق ، كما قال سبحانه : **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق »** . أو صفة للقصص فى القرآن : **« ان هذا لهو القصص الحق »** آل عمران ٦٢ ، أو صفة للرسول **« كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق » آل عمران ٨٦**

فان أطلق الحق وحده كان المقصود بذلك أنه الدين الحق ، أو الاعتقاد الحق . وذلك فى مثل قوله تعالى: **« فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه »** البقرة ٢٨٣

الحق اذن هو الدين الصحيح ، هو الدين السماوى الذى أنزله الله على عباده بطريق أنبيائه ورسله . وللدين قيمة عليا لأنه من عند الله . ولو كان من عند أنفسنا ما اكتسب هذه القيمة العظيمة السامية .

وقد اختلف الناس من قديم الزمان ، من لدن موسى وعيسى ومحمد وما بينهم من أنبياء ورسل حول الدين أصحيح أنه من عند الله، فأجابهم الله فى محكم التنزيل قائلا على لسان نبيه : **«الحق من ربك فلاتكونن من الممترين»** البقرة ١٤٧ .

وقال سبحانه : **« وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم »** البقرة ١٤٤

وقد أنب الله الذين يلبسون الحق بالباطل وبخاصة أهل الكتاب ، وبوجه أخص اليهود ، **فقال : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » البقرة ٤٢** وقال : **« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل »** آل عمران ٧١ . انهم يلبسون الحق بالباطل مع أن القرآن جاء مصدقا لما معهم : **« ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم »** البقرة ٩١ .

فقد كان أهل الكتاب يكتمون الحق ،وأكثر من ذلك أنهم كانوا يعلمون أنهم يكتمونه . كما جاء فى القرآن يصف حالهم : **«وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »** البقرة ١٤٦ . **« وتكتمون الحق وانتم تعلمون »**آل عمران ٧١

وآيات الله حق ، أرسلها الله على لسان أنبيائه ورسله بالحق لا بالباطل . وقد أكد الله هذا المعنى فى أكثر من آية . قال تعالى : **« انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا »** البقرة ١١٩ . وقال : **« ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق »** البقرة ١٧٦ . وقال سبحانه يصف أنبياءه بأن ما معهم من كتاب حق : **« وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »** البقرة ٢١٣ . وقال عز وجل يصف آيات الكتاب : **« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين »** البقرة ٢٥٢ .

صورنا حال العقيدة فى حياة النبى ،وكيف تنازع العرب حول ما جاء به أهو حق أم باطل، وتبين لنا أن التفكير فى هذه القيمة انتهى بالعرب الى اعتناقها فانتشر الاسلام ، واتجه المسلمون بقلوبهم وعقولهم الى رفع شأن الدين الجديد .

واستقر الاسلام بعد زمن قصير ، وأصبح المسلمون يؤمنون بعد ذلك عن تقليد فى معظم الأحوال ، وانتقل الأمر من تحول عن أديان سابقة الى الاسلام ، الى سعى نحو معرفة « الحق » والاتصال به ، أو الوصول اليه ، ونحو فهم الحق ما هو (أى تفسير العقيدة) وتشعبت المذاهب ، ونشأت الفرق المختلفة ، كل منها يزعم أنه قد أدرك الحق ، وعرف الطريق اليه .

وأطلقت كل فرقة على نفسها أنها « أهل الحق » ، وأخذت تدافع عن معتقدها ، وتتهم أهل الفرق الأخرى بأنها على باطل ، وترميها بالكفر ، وأصبحت القيمة فى تفسير الحق وتأويله .

لقد اخترت اليوم أن أقف عند موضـوع الريح ، فان أوصافها فى القرآن الكريم تدنيها الى عالم المرأة . وفى « **المخصص** » لابن سيده « **الريح نسيم الهواء أنثى ، والجمع أرواح** » ، وهى كالمرأة تطلب يدهـا ويخطب ودها .. « **فالتروح والاستراحة استجلاب الريح** » .. والريح الريدانة : هى اللينة كالمرأة الرود .. وكذلك الريح توصف بأنهـا ريدة و « **رادة** » اذا كانت لينة الهبوب رخاء ..

والريح الحنون التى لها حنين مثـل حنين الابل فهى حنانة وهتوف كما تهتف أم بأسماء أعزائها الصغار ..

وفى الريح خيلاء المرأة « **فالدروج** » منهـا التى يدرج مؤخرها حتى ترى لهـا ذيل الرش فى الرمل ..

وللريح مثل المرأة دلال .. فالريح « **الهفافة والهفهافة سريعة المرور** » كأنها توقظ الشوق ثم تنام ..

والريح كالمرأة ، صناع لهـا ولع بالوشى والنمنمة والتفويق على تفاوت فى الدرجـة والأثر .. فكما تتمنم أنامل المرأة الحرير .. يقال — مع الفارق — « **نمنمت الريـح التراب اذا خطته وتركت عليه أثرا شبه الكتابة ..** »

وهى أيضا مثل المرأة ، تسوء اذا تجاذبتها التيارات ، ولعبت بها الأهواء ، فالريح النكباء « **التى بين الصبا والشمال تنكب نكوبا ..** » والريح الهوجاء المتداركة الهبوب كالمرأة الخفيفة النزقة ..

والريح فى القرآن الكريم طيبة، وعاصف، وخصبة ، وبشرى ، وطيعة ، ورسول رحمـة واحياء ، ولينة رخاء ، وشـديدة مدمرة .. وكأن « **تصريف الرياح** » تصرفات المـرأة فى غضبها ورضاها ..

« **هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيـبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ..** »

سورة يونس — آية ٢٢

هنا ريح طيبة تزجى السفين كما يحـدو قلب الأم خطى البنين .. وهنا أيضـا ريح عاصفة جامحة الغضب كزوجـة استثيرت كرامتها ..

« **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنـا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** »

سورة الأعراف — آية ٥٧

هنا ريح منعمة تقل السحاب فيقيل العثرات ويحيى الموات ، ويمرع الجديب ..

والخلق والاحياء عملية وثيقة الصلة بالمرأة .. انها تزيد الحياة وتمد لها فى الاستمرار والازدهار كريق الغيث تزفه ريح طيبة .

والريح كالمرأة أمل واعد ، وحلم مشوق :

« **أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، أءله مع الله ، تعالى الله عما يشركون ..** »

سورة النمل — آية ٦٣

والريح مثل المرأة .. محبة للخيـر تحدو ركابه :

« **ومن آياته أن يرسـل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمتـه ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** » ، « **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون .** »

سورة الروم — آية ٤٦ ، ٤٨

والريح فى الحرب تعين على النصر وتكون من أسبابه وان لم تخض المعـركة فهى وراء الجيش كالمرأة خلف الصفوف .

« **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا .** »

سورة الأحزاب — آية ٩

وهى كالمرأة .. طيعة .. خير سفير :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر .. »

سورة سبأ – آية ١٢

« ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها ، وكنا بكل شىء عالمين .. »

سورة الأنبياء – آية ٨١

وهى كالمرأة .. موكول بها الخصب ، وعلى يديها الكثرة :

« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين . »

سورة الحجر – آية ٢٢

واذا كان لكل شىء جانباه ، فان الريح كالمرأة أيضا ، يحدث أن تكون عقيما .

« وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . »

سورة الذاريات – آية ٤١

وهى كالمرأة .. اذا خرجت عن طورها وفقدت رشدها تدمر كالنار ، وتطيح كالاعصار ..

« فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شىء . »

سورة الأحقاف – آية ٢٤

قاسية .. عاتية .. ضحاياها كأنهم رميم وصرعاها كأنهم أعجاز نخل خاوية ..

« انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » . سورة القمر – آية ١٩ – ٢٠

عابثة لاهية تذهب بكل شىء بددا :

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتدرا » سورة الكهف – آية ٤٥

وهى لهذا تكون أحيانا أداة انتقام ..

« أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا . »

سورة الاسراء – آية ٦٩

وهى أداة ارهاب ووسيلة عذاب ..

« فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون . »

سورة فصلت – آية ١٦

وقد أشار ابن سيده الى ما جاء فى الحديث من أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يقول اذا هبت ريح « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » ، وعلل هذا بأن « عامة ما جاء فى التنزيل على لفظة الرياح للسقيا والرحمة كقوله عز وجل :

« وأرسلنا الرياح لواقح» وقوله « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات » و « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا » .

وما جاء بخلاف ذلك جاءعلى الافراد كقوله : عز وجل « وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » وقوله « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » و « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم » فجاءت فى هذه المواضع على لفظ الافراد وفى خلافها على لفظ الجمع »

اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ..

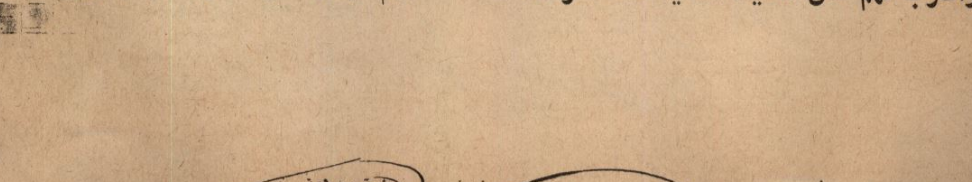

الجديد ، وكانت بيعة العقبة الأولى .

وفى العام القابل توالى السيب ، وتضاعف الصيب ، فبلغ عدد من أسلم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، حضروا الى الرسول وبايعوه بيعة العقبة الثانية .

ولقد كان حرى بتلك الحركة المباركة أن تقوى دعائم الايمان ، وأن تدخل السرور فى قلوب المؤمنين ، وأن تهيىء للمستضعفين منهم مهاجرا فى الأرض وسعة ، وهكذا كان ، فان أفواج المسلمين بدأت تتجه الى يثرب ، **وأمر النبى** أتباعه أن يسبقوا الى هناك ، وشعت فى الأفق علامات النصر ، وبدت على الشفق أضواء الظفر ، وسرى فى الأسماع شائعة بأن محمدا سيلحق بأتباعه .

كان العباس عم النبى لا يزال مشركا ، ولكنه كان حدبا على ابن أخيه ، فلما تنسم الأخبار ، لم يستطع عليها القرار ، وذهب من فوره الى وفد اليثربيين الأخير حيث وجدهم مع رسول الله ، فقال :

« يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، وهو فى عز ومنعة فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم ، فان كنتم تقفون عندما دعوتموه اليه ، وتمنعونه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه ، فمن الآن فدعوه »

فاتجه القوم الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وقالوا :

« قد سمعنا العباس ، فتكلم أنت يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت » .

فتكلم الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وتلا عليهم القرآن ، ثم قال : **« أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم »**

فبايعوه وصافحوه ، ثم قفلوا راجعين الى المدينة .

تفتح الأفق الجديد لاستقبال المهاجرين ، ودبت القوة فى قلوب الضعفاء ، فتتابعوا أرسالا الى دار الهجرة وتدفقوا تباعا الى المشرق الجديد ، ولم يبق فى مكة الا عدد قليل على رأسه أبو بكر وعلى اللذان لازما رسول الله .

لقد ضاقت قريش بمحمد ، فضيقت عليه الخناق ، وسدت أمامه السبل ، ولكن الأحداث قرعت مروتها ، وسهدت رقدتها ، وأصابت عينيها بالرمداء ، فجزعت ، وحق لها أن تجزع ، وفزعت ، وعليها أن تفزع ، لأن المصير الى أن تذل وتخضع ، ان لم يحدث ما ليس فى الحسبان .

انهم فكروا مرات فى الفتك بمحمد واغتياله ، ولولا عصبية بنى هاشم وأحلافهم لنفذوا الجريمة منذ سنوات ، فليفكروا فى الأمر ثانية وليقيدوا الهاشميين بأغلال من نوع جديد ، وقد هداهم شيطانهم الى وضع خطة عنيدة خلاصتها اختيار شاب قوى من كل قبيلة ، على أن يتجهوا جميعا بأسيافهم الى جسد محمد فيضربوه ضربة رجل واحد ليضيع دمه بين القبائل ولا يستطيع أهله أدنى حراك .

ولقد أوحت السماء الى رسولها بالأنباء ، وأذنت له فى الهجرة الى أصحابه وأنصاره فى مطلع الاسلام الجديد ، فأخذ يعد العدة لذلك ، ويهيىء الأسباب لتنفيذ ما أمر به ، وبينما الأرصاد والشهب تتناثر حول بيت النبى الأمين ، ومخابرات قريش تحصى عليه أنفاسه وحركاته ، كان قد انتهى من كل شىء ، فأناب عليا عنه ، وكلفه أن يتشح وشاحه الأخضر ويتهيأ للنوم فى مكانه عندما تدق ساعة الصفر فى أجواز الزمن مؤذنة بالهجرة الخالدة .

وفى مساء اليوم الثامن من شهر ربيع الأول أعد المكيون عدتهم لتنفيذ الجريمة ، وأحاطوا بمنزل الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ يترقبون خروجه ، وكان على معه آنذاك ، وفى الساعة المحددة خرج الرسول الأعظم ، مستعينا بمولاه ، وحثا حفنة من التراب على رءوس الأوشاب ، تاليا قوله تعالى : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، فآتى الدعاء أكله وحقق الرجاء ثمره ، وفرقت الرياح الغشاوة على عيون المبصرين ، فخرج صلوات الله عليه تستره غلالة الايمان وتحرسه عناية الرحمن ، ثم اتجه الى دار أبى بكر الصديق ، حيث قص عليه ما كان ، فسأله الصحبة وغلبه البكاء فلبى الرسول رغبته وحقق طلبته .

كان الحرس واقفين بالمرصاد ينظرون الى على من ثقب الباب فيظنونه محمدا ، وقد

همست الشفاه بالخبر فلم يصدقوه لأن محمدا ـ فيما يرون ـ نائم ، وعليه وشاحه الأخضر المعروف ، فلما فلق الاصباح وانبلج النور عرفوا أنهم باتوا فى غرور ، واتجهوا الى البحث عن النبى فى كل مكان .

لقد كان معروفا أن وجهة محمد وصاحبه ستكون المدينة ، ولهذا انطلقت الخيل فى اتجاه الشمال ، ولم يقدر أحد أن فطنة الرسول ستوجهه نحو الجنوب حيث يلجأ وصاحبه **الى غار ((ثور))** ويأويان منه الى ركن شديد

وقد حدث فى الغار وحول الغار كثير من الأسرار ، وأبت الحمائم الا أن تشارك ، والعنكبوت الا أن يبارك ، فظهر من نسج هذا ، وتعشيش تلك ماذهب مثلا فى المعجزات ، وكذب آثار الأقدام ، ووضع أنف المطاردين فى الرغام ، وقد كان أبو بكر ينظر الى الأحداث فى رجفة ، ويستمع للحركات فى وجفة ، فيهدى الرسول ثائرته ، ويسقيه كأسا من برود السلاف الكريم : **((لا تخف ان الله معنا))** .

وبعد ثلاثة أيام انجاب العثير ، وتهتكت أستار الغيهب ، و **((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير))** .

هناك طاب السير للرفيقين ، وصفا السفر للصاحبين ، وسلك بهم عبد الله بن أرقط المسالك البعيدة عن طروق السابلة ، وحمل اليهم عامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر ، بعض المتاع الذى جهزته لهما أسماء ذات النطاقين ، وبينما هم يغذون السير ، ويطوون الأفق اذا بسراقة بن مالك يظهر لأعينهم راكضا فرسه خلفهم ، متجها ببصره اليهم ، فيجفل أبو بكر خوفا على الرسول ، ويطمئنه النبى ويدعو على سراقة فتغوص أرجل فرسه فى أرض صلبة حتى بطنها ، فيضرع لمحمد ويسأله العفو على أن يستر خبرهم عن قريش فيصفح عنه على هذا الشرط ، ثم تحدثه نفسه بالخيانة مرة أخرى ، فيعود وضع فرسه كما كان ، ويكرر الضراعة للنبى متعهدا باحترام وعده ، فيسامحه ويصدق الوعد ، ويرد كل من قابله من قريش ويخبرهم أنه لم ير محمدا فى هذا الاتجاه .

لقد تحطمت آخر حلقة فى قيد الاسار ، وانداحت آخر موجة من المخاوف ، وغردت البلابل لحن الآمال ، وغنت العنادل أهازيج النصر والظفر .

ان المدينة تئز بحركة الاستقبال ، وتنفج بوفود المستقبلين ، وسكانها يتبارون فى اطلاق الأغاريد ، ويفتنون فى وضع الأناشيد ، ويلبسون حلل البهجة ويرتدون وشح الزينة والفرح والسرور .

وصل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اليوم الثانى عشر من السنة الأولى للهجرة ونزل على كلثوم بن الهدم ومكث حتى يوم **الجمعة بعد أن أنشأ مسجد ((قباء)) الذى : ((أسس على التقوى من أول يوم)) ، ثم غادر قباء ، وأخذ يخترق طريقه بين الجموع الحاشدة ، وكلما حاول أحد الأنصار توجيه ناقة النبى الى منزله ، قال : ((دعوها فانها مأمورة)) .**

وما زالت توالى السير حتى انتهت الى موضع مسجده عليه الصلاة والسلام ، وبين التهليل والتكبير نزل البشير النذير ، وأقام فى بيت أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه حتى بنى له سكنا خاصا ورفع قواعد مسجده الشريف .

وهكذا كانت الهجرة الشريفة حدا فاصلا بين عهدين ، ونهاية لمرحلة كفاح مرير بين سدنة الكفر ورجال الايمان ، وبداية مرحلة أشد فى الجهاد ضد الوثنية العربية واطلاق أشعة الدعوة الى آفاق الحياة المختفية وراء حجب الطغاة .

لقد كانت الهجرة رحلة ممتعة بروحانيتها ، ممرعة بقدسيتها ، خصبة بما نفحت الوجود من خير وبركة .

وان أسماع الزمان لتترنم حتى الآن بأغرودة أهل ((يثرب)) عندما أهل عليهم رسول الله بوجهه الوضاء :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

من قصص القرآن الكريم

الدكتور مهدى علام

يروى فى الحديث القـدسى أن الله تعالى قال : ((كنت كنزا مدفونا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى)) . فالله تعالى فى روحانيته موجود منذ الأزل ، ولقد خلق الدنيا وما فيها لتعرفه وتسبح بحمده ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) ويقص الله علينا قصة بدء الخليقة . بأخبار آدم عليه السلام ، فهو أبو البشر ، وهو بدء وجود الانسان على وجه الأرض ، وهو خليفـة الله فى حكم الانسان :

((واذ قال ربك للمـلائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى أعلم مالا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنـا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتمـا ، ولا تقربا هذه الشجـرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنهـا فأخرجهمـا مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هـو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) .

وفى قصة آدم عدة عظات يقدمها القرآن الكريم لنا ، ويتسع الزمن فى هذا المقال لهذه النقط :

١ – اتخاذ الله خليفة لنفسه على الأرض .

٢ – اعراض ابليس عن السجود لآدم .

٣ – اسكان آدم وحواء الجنة ثم اخراجهما منها .

ان الحكمة فى اتخاذ الله آدم خليفة فى الأرض هى أن الله تعالى يحكم الأرض ومن عليها حكما غير مباشر . بواسطة أنبيائه ورسله . اذ أنه – سبحانه وتعالى – منزه عن الاختلاط بالبشر وعن التجسم وفى هذا رد على الوثنيين الذين يتخذون لهم من الأصنام آلهة تسيطر على حياتهم ، ورد على القدامى الذين كانوا يعبدون آلهة تسير بينهم وتتزاوج مع البشر كما فعل اليونان والرومان وغيرهم ، ورد على كل من نزل ادراكه لروحانية الله – تعالى – فأنزله على الأرض ليحكم حكما مباشرا بنفسه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وهنا تظهر العظمة الثانية : ذلك ان فى الدنيا الخير والشر ، وأن الله اذ خلق الانسان كرمه بتحمل المسئولية والقدرة على الاجتهاد والتمييز بين الخير والشر . فالحيوان يعيش بقوة غرائزه لا فضل له فيما يعمل ، ولا ذنب عليه فيما يجنى . أما الانسان فمسئول عما يعمل ، لأن الله تعالى منحه الى جانب غرائزه قوة العقل المميز . ولقد أوضح الله – تعالى – ذلك فيما كان من الملائكة رمز الخير وطاعتهم ، وابليس رمز الشر وعصيانه ثم اغوائه . وقد وصف الله ذلك فى عدة آيات مبينا بها أن الخليقة تشتمل على المطيع والعاصى : **« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »** . (البقرة ٣٤) **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين »** (الاعراف ١١) .

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (الكهف ٥٠)

وعندما طلب الله – تعالى – الملائكة أن يسجدوا لآدم ، لم يكن طلبا لسجود عبادة أو خضوع ، وانما هو رمز لاحترامهم لصنعه تعالى ، وهو أكمل ما خلق الله ، فليس فى كل ما أبدعت اليد الخالقة ما هو أعظم ولا أدق من خلق الانسان الذى وهب له الله – تعالى – من الفكر ما يمكنه من تسخير الأرض وما عليها وقد استجاب لهذا الأمر عنصر الخير فأطاع **« فسجد الملائكة كلهم أجمعون »** ونفر عنصر الشر وعصى **« الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين »** .

وهنا تشير القصة الى بدء الصراع بين الخير والشر ، وهو الصراع الذى تقوم عليه الحياة ، ولا يقدر قيمته الانسان الا اذا انتصر فيه على النفس الشريرة .

ولقد أسكن الله – تعالى – آدم وحواء الجنة وأباح لهما كل شىء فيها الا شجرة عينها لهما ، ليكون فى ذلك اختبار لمقدار طاعتهما له ، ومبلغ قدرتهما على كبح النفس ، ومدى قناعتهما بما هو حلال ، وزهدهما وابتعادهما عما هو حرام ، وهذا فى الحقيقة صورة صادقة لكل مظهر من مظاهر الحياة ، فليس ثمة حالة من الأحوال الا فيها قدر كبير مباح ، وقدر محدود محظور ، وفى الحلال متسع وغنى عن الحرام ، وهنا يظهر عنصر الشر للاغواء بالقليل المحرم ، ونسيان الكثير المباح . فقص علينا القرآن كيف أن ابليس أغوى آدم وحواء بمخالفة الله – تعالى – فقال لآدم : **« هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »** وظهر لهما فى صورة الناصح المخلص ، كما يأتى كل خداع أثيم . **« وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين »** فلما خضعا لاغرائه ، وأكلا من الشجرة المحرمة ، **« بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة »** ، ليستترا به ، اذ كان ذلك بمثابة الفضيحة لهما لمخالفتهما أمر الله تعالى . وانتهى الأمر باخراج الجميع من الجنة الى الحياة الدنيا ، حياة الصراع والكفاح بين الحق والباطل : **« وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم**

منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ›› .

وهكذا منذ خلق الله الدنيا ونحن مزودون بتعاليم الله تعالى . ولكن أمامنا سبل الاغراء لتختبر بها نفوسنا ، وتقاس بها قوة ايماننا ، فمن أستعصى على المعاصى كان من الفائزين ، ومن ضل عن أمر ربه استحق عقابه .

وقبل أن أختم مقالى أريد أن أصحح خطأ يقع فيه بعض الناس وهو تحميل حواء اثم الوقوع فى الاغراء وانها هى التى أغرت آدم بالأكل من الشجرة . ومنشأ هذه الفكرة من آراء بعض المستشرقين ومن أخذوا برأيهم دون نظر فى القرآن الكريم . فقصة آدم كما رواها القرآن لم تلق على حواء وحدها وزر الخطيئة ، فلا يصح اتخاذها سندا فى التشهير بالمرأة ، وانما ترمى القصة الى وقوع الانسان، رجلا كان أو امرأة ، فى الغــواية . وآيات القرآن صريحة فى تحميل آدم وحواء كليهمــا المسئولية يقول الله ـ تعالى : «**ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتمـا ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالـمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما ، وقال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخـــالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عـن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكمـا عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفســنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ›› .**

فهذه الآيات صريحـــة فى أن وسوسة الشيطان كانت لهما ، وانهما ذاقا الشجرة وان الله ـ تعالى ناداهما بقوله : ‹‹ **ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكمـا عدو مبين ››** على أن الآيات فى سورة طـه تفرد آدم بالمسئولية : ‹‹ **ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيهــا ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهمـا من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ›› .**

ان من المعروف أن التعاليم اليهودية تنظر الى المرأة نظـــرة احتقار ، وحواء فى نظـــر الاسرائيليين رمز الغــــواية ، وقد تسربت اسرائيلياتهم الى بعض كتبنا ، فجدير بنا أن نتنبه اليها ، ومنذ عشر سنوات كنت أراجع ترجمة المقالة المكتوبة عن حـــواء فى دائرة المعارف الاسلامية ‹‹ وهى مقالة بقلم احـد المستشرقين ›› فكانت مليئة بهذه الأباطيـل التى عزاها للقرآن الكريم وقد علقت عليها بما ينفى هذه المزاعم عن ديننا الحنيف .

اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه ، والباطـــل باطلا فنجتنبه

التفكير البيانى فى الدّراسات القرآنية

عرف العصر العباسى بأنه عصر الترجمة والنقل ، ففيه نقل كثير من آثار التفكير الأجنبى الى اللسان العربى ، وقد كان هذا حدثا من الأحداث الهامة فى تاريخ العروبة والاسلام ، اذ كان سببا فى وقوف العرب والمسلمين على ألوان من الثقافة التى تعتز بسلطان العقل ، وترى ضرورة الاحتكام اليه فى كل شأن من شئون الحياة الانسانية ، وتحاول تفسير سلوك الانسان ، وتحليل معتقداته فى ضوء المنطق السليم والتفكير الحر الذى لا يتقيد بالتقاليد ، ولا يعبأ بالمعتقدات . وقد أدى هذا الى الشعور بالحاجة الى الايمان الذى يدعمه الدليل ويؤيده البرهان ، وأدت المغالاة فى هذا السبيل الى انتشار الزندقة والالحاد بدخول بعض أصحاب النزوات والمطامع فى جماعة المسلمين ، فبدأ الناس ينظرون الى الاسلام نظرة جديدة ، ويبحثون فى أمر الرسالة والرسول وفى حقيقة معجزته الكبرى ، وهى القرآن الكريم .

كانت بلاغة القرآن الكريم أهم وجوه اعجازه عند الذين حاولوا تبين وجه الاعجاز فيه ، فقد نزل الكتاب الكريم على ذلك النمط الرفيع الذى لم يعهده العرب فى سبيل التعبير عن معانيهم ، حتى ظن بعضهم القرآن شعرا افترى

الدكتور بدوى طبانة

صاحبه فى صوغه وتاليفه ، وتوشيته بضروب الخيال وألوان النقش والتصوير حتى تبين لهم الاختلاف بين أسلوب القرآن وماعرفوا من ضروب الشعر وأفاعيل الشعراء . وتخيلوه كهانة مما يلجأ اليه الكهان المعروفون عندهم بادعاء علم الغيب ، وتعمية كلامهم على العامة بما يخلعون عليه من ثياب التكلف ، حتى ظهر لهم أنه واضح يهدى الى الحق والى صراط مستقيم .

وكان الأسلوب القرآنى فوق ماكان يعرف العرب من الأساليب ، وكان نمطا من التعبير يفوق المستوى الذى وصل اليه النابغون منهم فى صناعة الكلام . وقد تحداهم القرآن وأمعن فى التحدى ، تحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله ، فلم يستطيعوا أدنى من ذلك ولا أكثر ، حتى أقروا بأنه أمر خارق لعادتهم خارج عن طوق فحولهم ، فأسلموا وآمنوا راضين ومذعنين .

ومن غير المعقول أن يجد الخصم خصمه يثل أمجاده ، ويحطم تراثه ، ويدوس مقدساته ويسفه أحلامه ، وهو يملك أسباب الدفاع ثم يقف جامدا حائرا مبهوتا ، ولكن الحقيقة أن عجزهم الظاهر هو الذى أحال خصومتهم ولددهم ايمانا وتسليما . .

كان ذلك شأن الأولين الذين بعث فيهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنزل عليه القرآن فآمنوا به بعد حجاج ولجاج ، وبعد ان عصوا واستكبروا استكبارا ، وكأن اقتناع أولئك السابقين لم يكن كافيا ليكون حجة على الآخرين ، فكان التشكيك فى ثبوت الاعجاز للكتاب الكريم ، وأصبح الناس فى حاجة الى البحث من جديد فى أمر الاعجاز ، وانبرى المسلمون المخلصون لربهم وعقيدتهم يفندون حجج الطاعنين ، ويلزمونهم الحجة . وتباينت نظراتهم الى الاعجاز ، والتماسه من جوانب مختلفة ، وفى هذه النظرات دفاع عن القرآن الكريم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة ، الى مافيه من قوة الايمان وحرارة العاطفة نحو العقيدة الراسخة . وكانت ثروة فكرية كبيرة أنتجتها عقول واعية ، وحفظها التاريخ بين أغلى مايحرص عليه من مفاخر هذه الملة الاسلامية ، ولاتزال شاهد صدق على ماآتاهم الله من الحكمة ، وماهداهم اليه من النور المبين .

ان أهم تلك الجوانب التى عرض لها الدارسون ، وأفاضت فيها أقلام الباحثين ، هى تلك الجهود التى بذلت فى اثبات الاعجاز عن سبيل اثبات بلاغة القرآن التى تناولت معانيه ، كما تناولت أساليب التعبير عن هذه المعانى وكان ذلك عن طريق موازنة آيات القرآن بالجيد المأثور من كلام الفحول الذين كانوا يدينون لهم بالبلاغة والابداع . وفى هذه الموازنات تتفتق الأذهان عن كل معجب من الرأى ، وتتفتح الأذواق عن كل بديع من الاحساس بالروعة والجمال .

واذا نظرنا فى المكتبة العربية ألفيناها تزخر بفيض من الدراسات التى كتبت فى اعجاز القرآن وتبيين أوجه الفصاحة والبلاغة فى نظمه وآياته .

وفى تلك الدراسات التى كان الغرض الأول منها خدمة العقيدة والذود عن معجزتها « مايعد من أهم الدراسات البلاغية ، ومن أهم الدعائم التى قامت عليها صناعة النقد الأدبى عندالعرب وفى مقدمة المراجع التى يعتمدها المعنيون بتتبع خطوات النقد والتعرف على مناهجه ، وكذلك الدارسون للبلاغة والمتتبعون لنشأتها وأدوار نموها حتى أصبحت علما يحتل منزلته الواضحة بين العلوم الأدبية . ولاشك أن أولئك الدارسين سيصلون من البحث فى هذه الآثار الى الحقيقة العلمية التى لاتقبل الجدل فى عمق هذه الدراسات ، وعمق أثرها فى تاريخ النقد والبلاغة ، وفى مناهج البحث فيهما .

واذا حاول الباحث تتبع تلك الآثار التى تزهى بها المكتبة العربية ألفاها تعز على الحصر والاستقصاء ، وحسبنا الآن أن نشير الى بعض الآثار التى تفيض بالآراء المدروسة فى الأدب والبلاغة والنقد والتى مهدت السبيل لبناء صرح هذه الدراسات عند الأمة العربية .

فمن أقدم هذه الآثار كتاب « مجاز القرآن» الذى ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)

حين أحس بالحاجة الى وصل حاضر اللغة بماضيها ، بعد بعدها عن مواطنها الأولى ، ومواطن المعبرين بها ، وبهذا الوصل يتسنى الوصول الى حقائق المعانى الواردة فى القرآن الكريم ، وقد حشد فيه طائفة من مأثور القول عندهم ، ليستدل به على تبين روائع القرآن ٠

ومنها كتاب « تأويل مشكل القرآن » الذى كتبه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) للرد على مطاعن وجهت الى القرآن ، وذكر أنه لايعرف فضل القرآن الامن كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب ، وما خصت به لغتها من المجازات وهى طرق القول ومآخذه ، وفى عرض جميل ، وفى موازنات رائعة ، يوضح معالم البيان ، وجهات الافتنان فى التعبير التى ترفع الفن الأدبى على سواه من أساليب العبارة عن المقاصد والأغراض ويضع بين أيدينا مجموعة كبيرة من فنون البلاغة والبيان ٠

ومنها كتاب « النكت فى اعجاز القرآن » الذى ألفه أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) الذى يعد من أمهات كتب البلاغة كما يعد من أمهات كتب الاعجاز ٠ ، فقد شرح فيه وجوه الاعجاز كما بانت له ، وهى فى الوقت نفسه من أهم الأصول فى البحث البلاغى ، كما شرح فيه درجات البلاغة وطبقاتها فى الكلام ٠

ومن أشهرها كتاب « اعجاز القرآن » للقاضى أبى بكر الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) الذى شرح فيه آراء العلماء فى جهات الاعجاز ، ووازن فيه بين كلام العرب وأساليب القرآن موازنة تشهد له بالذوق والاطلاع والقدرة على التمييز ، والوقوف على أسرار الجمال فى فنون الكلام ٠

ومنها كتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » للشريف الرضى (٤٠٦ هـ) وهو كما يظهر من اسمه بحث متخصص فى دراسة المجاز الوارد فى القرآن الكريم ، أى فى الألفاظ والأساليب التى عدل عن استعمالها فى دلالاتها اللغوية ٠

ومنها كتاب « بدائع القرآن » الذى ألفه أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الأصبع المصرى (ت٦٥٤هـ) وقد أحصى فيه مايجاوز المائة من فنون البلاغة والبيان ، وشرح أمثلتها من كتاب الله وبين فضل التعبير بها عن سواها ٠

ومنها « بيان اعجاز القرآن » للخطابى ، و « الرسالة الشافية » لعبد القاهر الجرجانى عدا كتابيه المشهورين « **دلائل الاعجاز** » و « **أسرار البلاغة** » ٠٠ ومنها ٠٠ ومنها ٠٠

ولايتسع المجال فى هذا المقام للاحصاء ، ولكنها اشارات سريعة الى بعض آثار الدراسات القرآنية التى تزخر بها المكتبة الأدبية ، كما تزدان بها المكتبة الاسلامية ٠ وقد تضمنت تلك الآثار من المباحث البلاغية وأصول النقد الأدبى مالا يتسع المقام لتفصيله

دروس من الهجرة

الأستاذ عبد الرزاق نوفل

أشرق على المسلمين فى فجر هذا اليوم عيد سعيد ، اذ يحتفلون باستقبال عام جديد على هجرة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك الهجرة التى فصلت بين الباطل الذى كانت تعيش فيه جاهلية العرب وغيرهم من الوثنيين والمشركين ، والحق الذى أرسله الله للناس جميعا على يد سيد البشر وخاتم الرسل والنبيين ، اذ بالهجرة قامت دولة المسلمين ورفعت فى المدينة ألويتها وشيدت مساجدها ووضعت نظمها وأعلنت مبادئها ووحدت صفوف أبنائها وانتصر الاسلام ولم يكن انتصاره رهنا بهجرة رسول الله ، فان الاسلام دين الله الذى لابد أن ينتصر ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جلت حكمته أراد أن يتخذ المسلمون من هجرة الرسول دروسا لحياتهم ، فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوتهم ولهم فيه الأسوة الحسنة ، فليست الهجرة ـ اذن ـ كما قد يتبادر الى الذهن ـ مجرد انتقال رسول الله من جهة الى غيرها ، وليس هدفها كما قد يظن الالتجاء الى مكان أكثر أمنا ، والاطمئنان الى قوم أشد ايمانا ، فكلما اتسعت آفاق المعرفة وتشعبت أوجه البحث وارتقت بالناس وسائل الدرس أمكن الوقوف على ما فى الهجرة من توجيهات ودروس ومواعظ وعبر .

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الصادق الأمين أن يدعو الى دينه الحنيف الذى ارتضاه خاتم الأديان لعباده وآمن الرسول الايمان الكامل المطلق أن الله جل شأنه لا بد وان يظهر هذا الدين مهما حاربه المشركون وان كره الكافرون ، وأن الحق الذى يدعو اليه لابد أن ينتصر مهما تحالف ضده الأشقياء وناوشه الأقوياء ، فهل ركن الرسول الى الاستسلام وانتظر ارادة الله بنصر الاسلام عن طريق المعجزة ؟ .. لقد جاهد الرسول ماوسعه الجهد .. جاهد وحيدا ، فحاربه أهل قريش جميعا ، وانضم اليه نفر من أهله وعشيرته ، فاجتمع لحربه مع قريش كل من أشرك وكل من كفر .. لم يثبط من همته قلة من كانوا معه ولم يفزعه كثرة من كانوا ضده ، واستمر يجاهد .. بلا يأس ، أو قنوط .. انما بعزم وصبر ، وطال الجهاد .. واشتد عليه الاعداء .. وبعد الأعوام الطويلة .. يأمره الله جل شأنه أن يهاجر فيترك مكة بلده الحبيب حيث نشأ وتربى وله فيها ذكريات الصبا والأهل والأحباب فيودعها وهو يقول (**والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ماخرجت**) ثم يدعو الله سبحانه وتعالى بقوله (**اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فاسكنى أحب البقاع اليك**) .. وهكذا وجب على المسلمين ألا يتخلفوا عن السعى ولا يتقاعسوا ولايركنوا الى التواكل .. ولكن عليهم أن يجاهدوا ما وسعهم الجهد .. بعد التوكل وعليهم أن

يصبروا .. مهما كان فى الصبر مشـــقة .. بلا يأس ٠٠ أو ضجر ٠٠

وهاجر الرسول ومعه صحبه أبو بكر فلم يخرجا فى وضح النهار اعتمادا على أنهمـــا مؤيدان من الله سبحانه وتعالى بل خرجا ليلا فى ظلمة وتستر ، ويمر محمد بالعصابة التى تتربص به فيعميها الله جل شأنه عن رؤيته ، ولم يهاجرا الى المدينة رأسا خوفا من أن يلحق بهما الأعداء بل اتجها الى الغار فى جبل ثـــور بعيدا عن مكة ، وهى محاولة لتضليل الخصوم عن تتبع الأثر وتنطلق قريش بأسرع ما لديهم من الدواب تتعقب محمدا فى كل مكان ، فبعد هذه الساعات القليلة التى علم بها القـــوم باختفائه لايمكن أن يكون قد ابتعد كثيرا ٠ لقد بحثوا ونقبوا فى كل مكان وأى مكان ووقفوا ساعة ما على باب الغار يتناقشون ويتشاورون وأصواتهم تصل الى سيدنا محمد وصـــحبه فيقول أبو بكر (**لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا**) فيجيبه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم « **يأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما**) ويندهش محمد وصاحبه اذ يسمعان القوم وقد قرروا العودة فلا داعى للبحث فى هذا الغار ففى مدخله يمامتان وحشيتان فى طور التفريخ وعلى بابه نسجت العنكبوت ، ويكبر محمـــد ويهلل صاحبه لقد أنجاهما الله جل شـــأنه بخيط العنكبوت وما أوهنه من خيط وعلى ذلك يجب على كل مسلم أن يتخذ من وسائل الحيطة مايحقق له الأمان ٠٠ والا يلقى بنفسه الى تهلكة اعتمادا على المعجزات ٠٠ وبعد أن يتخذ للأمر عدته عليه أن يتوكل على الله ويطلب منه المعونة والنصر (**الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمـــة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم**) ٠

ووصل الرسول الى المدينة واستقبلته فى لهفة شديدة لرؤيته وشوق كبير الى طلعتـــه ومحبة بالغة ، وايمان كامل برسالته ، فتـــح له العظمـــاء ديارهم ، ورحب به الأثرياء فى أملاكهم ، وطلبه الفقراء ليعيش معهـــم جبرا لخاطرهم ، وتنافس الجميع فى شرف اقامتـــه بينهم ولكنه يعتذر ويترك ناقته لتقف حيث يريد الله فكان المكان لغـــلامين يتيمين ٠٠ فاشتراه وأمر باقامة مسجد له فيه ، وحين البناء ساهم بنفسه مع العاملين واشترك بيده مع البنائين ٠٠ فتقاطر الناس يعملون ٠٠٠ ويتسارعون فى العمل تخفيفا على رسول الله واسهاما منهم فى الخير ويحدثنـــا التاريخ ان اشتراك النبى فى العمل كان له أثره ٠٠ فى التعاون المطلق الكريم الذى تم به البناء والتقوى التى كانت أساس هذا البناء والسرعة التى تم بها وفيه تقول الآية الشريفة (**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجـــال يحبون أن يتطهـــروا والله يحب المطهرين**) ٠

ولما أمره الله بقتال الأعداء ٠٠ وأذن له برد الاعتداء ٠٠ لم يعتمد على ثقته بنصر الله له ٠٠ ولكنه أخذ فى الأسباب فحرص على أن يظهـــر للمسلمين وقد اتخذ كل أهبة للمحافظة على نفسه فكان يتسلح بالســـهام ويلبس الدرع ليقتدى به أنصاره وقبل كل معركة وبعد كل قتال كان يجتمع برجاله يشحذ هممهم ويشد أزرهم ويبشرهم بنصرهم ٠٠ فلا بد من العمل والتوكل معا ٠

ان كل ماتقضى به الدراسات الحديثة من ضرورة الاستعداد لكل أمر والتزود لكل شأن لرفع روح الانسان المعنوية ٠٠ والتوكل عـلى الله والاعتماد عليه ٠٠ الذى يجعل الانسان فى قمة ايمانه بالنصر ٠٠ لهى بعض مايمكن أن نأخذه من تشريع الهجرة التى قام بها رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأمر الله ،وكان الرسول لايجد فرصة يوصى فيها بالأخذ فى الأسباب الا وانتهزها مثل ما رد به على أعرابى جاءه يقول له (وجبت الصلاة يارســـول الله أأترك الناقة وأدخل المسجد متوكلا على الله ؟) فقال له ــ صلى الله عليه وسلم (اعقلها وتوكل) ٠٠ وما عقالها الا أخذ فى الأسباب ٠٠ وما المحافظة عليها الا بارادة الله ٠٠ فلابد للمسلم من الأمرين ٠٠ العمل والتوكل ٠٠

عقل المرأة من وحي الواقع

الأستاذ
محمد زكريا البرديسى

يزعم بعض الناس أن المرأة يجانبها الحظ فى النضوج العقلى ، وأن الرجل أنضج منها عقلا وأحد ذهنا وأقوى فكرا ، لذلك يرسلون صرخاتهم المدوية التى تشق أجواز الفضاء معلنين أن المرأة فاسدة التدبير . ضعيفة التفكير . ناقصة العقل . كثيرا ما تخطىء وقل أن تصيب فيجب قصر جهودها على ادارة بيتها ، ورعاية أولادها والقيام على شئون زوجها ، فلا تزج بنفسها للعمل فى أى ميدان من ميادين الحياة العامة ، لأن بدنها البعض الضعيف لا يقوى على تحمل الأعباء ، وعقلها الناقص الكليل لا يستطيع حل المشكلات وفك المعضلات ، وادراك الحقائق والوصول الى الدقائق .

والحق أحق أن يتبع ، فهؤلاء الذين يقفون ضد المرأة محاولين النيل منها والقضاء عليها ، لا يبتغون من وراء ذلك الا تغيير الحقائق وقلب الأوضاع ، ولو عاشوا مع المرأة فى ماضيها وحاضرها لدهمتهم الحقيقة وباءوا بالخزى والخسران المبين وعرفوا أن الذى يدعونه وينادون به لا يرتكز على دليل ولا يستند الى برهان ، فقد كانت المرأة قديما

وحديثا مثلا عاليا ، ورمزا صادقا لرجاحة العقل وحصافة الرأى، وسداد التفكير وحسن التدبير ، فهى والرجل فى التكوين الطبيعى البشرى سواء ، الا ترى أن الله العلى الحكيم غالبا ما يجعلهما فى اطار واحد حين الخطاب والتكليف ، الأمر الذى ان دل على شىء فانما يدل على أن العقل الذى هو مناط التكليف فى كليهما واحد ، لا يمتاز عقل أحدهما عن عقل الآخر .

قال تعالى : ((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير))

وقال تعالى : ((يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)) .

على أننا لو تصفحنا التاريخ قبل بعثة محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وقبيلها وبعدها ، لوجدناه غاصا بأروع الأمثال ، التى تدل دلالة قاطعة على عبقرية المرأة وسداد رأيها وثاقب فكرها ودقة نظرها ، وحسن تدبيرها وصدق فراستها وقوة ملاحظتها .

١ ــ فها نحن أولاء نرى **ملكة سبأ** تتصرف فى قصتها مع سليمان رسول رب العالمين تصرفا حكيما يدل على نضوج عقلها وحدة ذهنها وصفاء خاطرها وتبصرها فى عواقب الأمور فها هى ذى لا تستبد برأيها فى الرد على سليمان ، حين دعاها الى ترك عبادة الشمس والى الرجوع لرب الشمس والقمر والنجوم، بل جمعت سادة القوم وعليتهم ، وقرأت لهم الكتاب الذى بعث به سليمان والذى يهددها فيه بأنها ان لم تذعن لربها وترجع اليه وتعزف عن عبادة ما سواه سيخرجها وقومها من ديارهم أذلة صاغرين .

كان بوسع هذه الملكة أن ترد على سليمان دون رجوع الى قومها لكن رأيها الحصيف ابى ان يفعل ذلك وبركن اليه حتى لاتتحمل بمفردها التبعة ان أخطأت فجمعت قومها وجعلت الأمر شورى بينهم لتتوزع المسئولية بينها وبين رعيتها .

كل هذا يصوره القرآن الكريم فى قوله تعالى : ((**اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ، ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ، قالت يأيها الملأانى القى الى كتاب كريم ، انه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو على وأتونى مسلمين ، قالت يأيها الملأأفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون)) .**

وهكذا تداول القوم مع ملكتهم الأمر ، فاتجهت أفكارهم الى محاربة سليمان ظنا منهم أنهم أكبر منه عدة وأكثر عددا ، لكن الملكة لم تذعن لهذا الرأى ولم تخضع له ، واستطاعت بعبقريتها الفذة أن تهتدى الى الصواب وتقنع رعيتها به ، فأرسلت هدية الى سليمان لتستطلع بها حقيقته ، وتقف على أمره . لأنه ان كان كاذبا فى دعواه أغرته الهدية وقبلها واعرض عن الحرب وويلاتها ، وان كان صادقا رفضها وأعرض عنها وتمسك بدعوته ، فما الحياة الدنيا الا متاع الغرور .

وفعلا صدقت فراستها وتحقق حدسها ، فما أن رأى سليمان الهدية حتى استشاط غضبا وقال للرسول الحامل لها : ((**ارجع بها لأصحابها وبلغهم أنه لا بد من أحد أمرين : اما الايمان والتوحيد ، واما التنكيل بهم واخراجهم من ديارهم أذلة صاغرين .**

فما أن وصل الرسول وهو يبوء بالخسران المبين .. حتى أمعنت الملكة النظر فى عاقبة عصيانها ، فاهتدت بعد طول روية الى الذهاب الى سليمان تتفاهم معه ، حقنا للدماء ومحافظة على قومها من الذلة والصغار ، والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : ((**قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكذلك يفعلون ، وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال . فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها . ولنخرجنهم منها أذلة . وهم صاغرون))**

ذهبت الملكة الى سليمان . فما أن وطأت قدمها أرضه حتى شاهدت العُجب العجاب ، رأت عرشها أمام عينيها ، فتحيرت فى أمرها وتجاذبتها الأفكار ، وتقاذفتها الآراء ، وأخيرا هداها فكرها المتقد الى انه كعرشها حرصا على الحزم فى الرأى والدقة فى الحكم ، والى هذا يشير قوله تعالى : ((**فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين**)) .

ومن ثم بدأت تفكر بعقلها الراجح فى أمر سليمان وما يحيط به ، فاقتنعت برسالته وصدقت بدعوته . قال تعالى : ((**قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)) .

وهكذا صمدت أمام هذه الأحداث ، ونجت من تلك الأزمات بفضل رجحان عقلها ، كما اهتدت بصائب فكرها الى صدق سليمان فى دعوته فآمنت به وبرسالته .

٢ – ومثل ملكة سبأ فى العبقرية والنبوغ وصدق الفراسة .. بنت شعيب .. فقد ادركت – حين ذهبت مع أختها ليستقيا الماء – أن موسى عليه السلام قوى الشخصية أمين ، مع ان الأمانة لا تدرك الا بطول العشرة وكثرة التجارب ، فالنظرة الواحدة العابرة لا تكفى لادراك هذا الأمر الخفى ، فادراك بنت شعيب لأمانة موسى فى نظرة خاطفة . دليل قاطع على حدة ذهنها وقوة تفكيرها وصدق فراستها ، وقد أيدت الأيام قوة هذه الملاحظة الدقيقة التى كانت سببا فى الاتصال بين موسى وشعيب ، ذلك الاتصال الذى تم تحت ظلاله التمهيد الأول لرسالة موسى عليه السلام والى هذا يشير الله بقوله : ((**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما . قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما . ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء، قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص ، قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ، قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين ، قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين . على أن تأجرنى ثمانى حجج ، فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على ، والله على ما نقول وكيل ، فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا أنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى أنا الله رب العالمين**))

٣ – على أن امرأة فرعون لا تقل نبوغا عن أختيها السابقتين ، فانظر اليها كيف استطاعت بعقليتها الجبارة أن تملك على فرعون قلبه وعاطفته ، مستغلة فى ذلك عقمها وحرمانها من الولد ، فيعدل عن قتل موسى . قال تعالى : ((**وقالت امرأة فرعون قرت عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا**))

وكما استطاعت بعبقريتها الفذة أن تنقذ موسى ، استطاعت أن تؤمن بربها وان تحتفظ بعقيدتها ، فما وهنت أمام فرعون وسطوته ولا ضعفت أمام شوكته ، ولا استكانت أمام جبروته وقوته ، بل تغلبت رغم كل هذه العوامل لحصافة رأيها على عاطفتها ، وظلت مؤمنة بربها مصدقة بكتبه قال تعالى : ((**وضرب الله مثلاللذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين**))

٤ – وان أنس لا أنسى **خديجة بنت خويلد** فقد لعبت قبيل بعثة محمد – عليه الصلاة والسلام – دورا خطيرا حفزها عليه حصافة رأيها وسداد تفكيرها وقوة ادراكها ، فها هو ذا التاريخ يحدثنا فيما يحدث ان خديجة أخذت فى الفترة الدقيقة الحاسمة تؤيد

محمدا وتعينه على التعبد فى غار حـــراء ، وتهيىء له كل الوسائل التى تحفزه علـــى الاستمرار فى عبادته فى وقت كانت أحـــوج ما تكون فيه الى أن يملأ عليها بيتها ســعادة وهناءة تفىء الى ظله الظليـــــل وتركن الى ركنه الركين ، وبذلك استطــاعت أن تكون دعامة قوية فى تثبيت قلب الرسول وتهــدئة خاطره وابعاد القلق الذى كان يعالجه فى هذه الفترة عن نفسه ابتغاء ما ينتظره من المستقبل الالهى الكريم .

٥ ـ وهذه **أم سلمة** زوج الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تقضى بثاقب فكرهــا وصائب رأيها على الخلاف الذى كاد يفصم عرى الألفة بين المسلمين ، ويقضى على الدعوة الاسلامية وهى فى مهدها فقد حدث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد بعد هجرته أن يرجع الى مكة مع قومه حاجا وزائرا لا محاربا فاتحا فوقف كفار قريش فى وجهه ومنعــوه من بغيته ، وانتهى الأمر الى أن يتفق مـــع الكفار على العودة الى مكة فى العام القـــادم ؛ وحين أراد الرسول تنفيذ هذا الاتفاق والوفاء بعهده عارضه بعض قومه وأبوا أن يرجعوا دون دخول مكة ، فاستشاط النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضبا خوفا من انقســام المسلمين وذهب الى بيته وقال : **((هلك المسلمون يا أم سلمة ! أمرتهم فلم يمتثلوا))** فهــدأت أم سلمة من روعه وقالت : **((أعذر قومك ، فقد حملت نفسك أمرا عظيمــا فى الصلح ، والرأى أن تخرج ولا تلوى على أحد وتبــدأ بفعل ما تريد فاذا رآك قومك كذلك تبعوك فهم مؤمنون بك محبـــوك مضحون فيك**

فانشرح صدر الرسول الكريم ، وهدأ خاطره، واطمأن قلبه الى هذا الرأى السديد ، وأذعن له وقام من فوره ، ونحر هديه وحلق رأسه فلم يكد يراه المسلمون يفعل ذلك حتى هبوا على بكرة أبيهم يتسابقون الى متابعتــــه والاقتداء به ، وبذلك مرت هذه العاصــفة الهوجاء بفضل عبقرية **أم ســلــمة** وحسن تفكيرها ، وعاد المسلمون الى اعتصامهم بحبل الله اخوانا متحابين متساندين متحدين .

هذا بعض من كل وقل من كثر لا أخالك ـ أيها القارىء الكريم ـ الا مدركا من ثناياه .. ان المرأة لا تقل فى نضوج العقلية عن الرجل .

على أن التساوى بينهما فى العقليـــة . لا يترتب عليه عدم أفضلية الرجل فى أشياء أخرى فالله تعالى فضل الرجل على المــرأة وخصه بالنبوة ، ووجوب الجهاد ، والزيادة فى الميراث وغير ذلك . يرشد الى هـــذا قوله تعالى : ((الرجال قوامون على النســاء بمــا فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا مـــن أموالهم)) . ويرشد اليه أيضا قول الرســول صلى الله عليه وسلم : ((لو كان هناك أحد يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تســـجـــد لزوجها)) .

ولا اعتبار للمرأة التى ران الجهل عليهــا فسارت وراء عواطفها وجرت تباع نزواتهــا فهذا قدر يشترك معها الرجل فيه فعلينــا ـ اذن ـ أن نحارب الجهل فى القطاع النسائى كما نحاربه فى قطاع الرجال .. انا ان فعلنا ذلك بلغنا آمالنا ووصلنا الى أمانينا .

القرآن والبحث العلمي في شأن الجنين

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

أشيع أن علماء الطب فى أمريكا يحاولون التعرض للجنين من ناحيتين :

١) احداهما : أن يعرفوا الجنين وهو فى مستقره من بطن أمه : أذكر هو .. أم أنثى ؟

ب) الثانية : أن يتوصلوا بعد ذلك الى التحكم فى الجنين فيجعلوه ذكرا .. أو أنثى ؟

ونحن ندع العلم فى طريقه : يبحث عما تذخر به الطبيعة من أسرار ، ويكشف ما يحتجب عنا من معنويات ، أو ماديات فى جوانب دنيانا .

وليس من حق انسان أن يحجر على العلم فى بحثه ، بعد أن أذن الله فى اطلاقه .. بل بعد أن كلفنا الله بالبحث والاستيعاب بالقدر الممكن .

« **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض !** »

« **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ؟!** »

فليس ذلك مجرد اذن فى البحث ، بل هو تكليف .. اذ فى الكون آيات يعقلها أولو الألباب .

غير أن الحديث النبوى يوجهنا الى جانب خاص لا نبحث فيه .

لأن مجاله فوق البحث ، والتعرض له بعيد ، وبعيد جدا عن المدارك ، ولا يتصل به العلم مهما حلق فى سماواته ــ ذلك : هو جانب الذات العلية لله ــ سبحانه ــ .

والحديث « **فكروا فى الخلق ، ولا تفكروا فى الخالق** » .

وتقدست ذات الله عن الاحاطة والمحاولة .

وبين الأمر التكليفى بالبحث ، والأمر باجتنابه فى جانب الذات تكون معرفة الله من أمارات وجوده ، وآثار قدرته ، ومظاهر رحمته ، ومن تقلبات كونية لا نحصيها ولا تغيب عن مشاهدنا .

فالعلم بذات الله من طريق الوصف ، لا من طريق الكيف « **ليس كمثله شىء** » .

وفيما عدا هذا يكون العلم وسيلة الى غايات مرموقة .

ولعل بعد الشك ، وبعد التجربة يكون سبيلا الى الايمان بالغيب عن بينة ، فيلتقى المسلك العلمى مع المسلك الروحى امام الحق الذى ينشده القرآن فى هديه ، ويسعى اليه العلم الجاد فى بحثه .

أ ــ معرفة الجنين

١ ــ كان خصوم الدعوة الاسلامية يسألون النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أمور تعنيهم ، أو لا تعنيهم الا لمجرد المعارضة .

وكان شأن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يرجع الى الوحى : ينتظره ليمده بالمعرفة ،

فيبلغ العلم عن ربه بعد أن يضفى الله على رسوله ما يشاء تأييدا لرسالته ·

وقد تساءل المعاندون عن موعد القيامة ·· وعن الجنين فى بطن أمه ·· وعن مواعيد نزول الغيث .. وعن كسب فلان فى غده .. وعن مكان وفاة أحدهم بالذات ·

وجرت سنة الله فى وحيه أن ينزله مفصحا بما يريد بيانه ، أو معرضا عما يمكرون به من أمور يعرضونها ·

ازاء هذه الأسئلة الخمسة نزل الوحى صارفا لهم عن التعلق بها ، وقاطعا بأنها أمور غيبية يستأثر الله بعلمها ولا يبديها لأحد سواه مهما يكن شأنه ··

« ان الله عنده علم الساعة ·· وينزل الغيث ·· ويعلم ما فى الأرحام ·· وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ·· وما تدرى نفس بأى أرض تموت ·· ان الله عليم خبير » ·

٢ – ومن هذا : تبين للناس أن معرفة الجنين من ذكر أو أنثى ، وهو فى مقره ببطن أمه ، من أمور الغيب ، كموعد القيامة ، ومقدار الكسب فى الغد ، ونزول الغيث ، ومكان الوفاة وزمانها ، ولو كانت مما يريد الله بيانه لبينها حين تطلع اليها النبى – صلى الله عليه وسلم – ليقطع بها جدل قومه ·

وعلى ذلك استقر ايمان المؤمنين سلفا وخلفا وانصرفوا عن شأن الجنين ، كما انصرفوا عن محاولة العلم بقيام الساعة ، أو بما يكسبونه غدا ، أو علم بموعد المرض ، أو الشفاء منه، فاذا بدت محاولات جديدة لمعرفة الجنين من طريق البحث والتجربة فلن تتبدل كلمات الله ، ولن يتاح للعلم أن يناقض خبر السماء فى هذا ، ولا فى غيره ·

٣ – وهناك آية تؤازر هذه التى معنا فى مدلولها :

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد » ·

فكل ما يتصل بالجنين فى اناث الانسان والحيوان من حيث تحديد نوعه ، وما يقدر له من زمن مضبوط ، أو ينقص فى الرحم أو يزيد ، متروك لله وحده ·

ولا ينافى ذلك أن نعرف وجود جنين فى أنثى قبل أن تتضح معالم الحمل ظاهرا ··

فتلك خبرة تتاح لمن يزاولها ، وليست من علم الغيب ، لوجود الجنين فعلا منذ علوقه بمكانه · وآية ثالثة تؤكد ما قررناه ··

« هو – أى الله – أعلم بكم ، اذ أنشأكم من الأرض ، واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى » ·

فهذه تفيدنا أن علم الله بالجنين قاصر على الله وحده ، ومحيط بالجنين ، وبما يكون عليه فى حياته من مسلك ، وبما يتعلق به من رزق ، وحظ ، وسواهما ، بل علم الله بالجنين سابق على زمن وجوده فى أمه ، وراجع الى أول تكوينه من طينة الأرض التى هى المادة الأولى ·

٤ – وعندما نفترض نجاح العلم فى تمييز الجنين يكون ذلك من باب الصدفة العارضة، كما نشاهد كثيرا ·

والصدفة المحدودة بمرة أو مرات غير مطردة لا تعتبر حقيقة علمية فى اصطلاح العلم نفسه ·

فالبحث الجارى بين أطباء أمريكا يعتبر اليوم فرضا فقط وأمام الفرض مرحلة ثانية يكون فيها نظرية ثابتة ، يقوم عليها بحث آخر حتى يصل الى حقيقة علمية مقررة لا تقبل جدلا ··

والقرآن يخبرنا بما هو مقرر ، لا فرضا ، ولا نظرية فقط ، بل بما هو هدف العلم اذا نجح فى افتراضه ، ثم فى نظريته ·· وهيهات ··

على أن العلم لم يظفر بصدفة واحدة حتى اليوم ·· رغم ما بذله ملوك ، وحاوله علماء

– ب –

١ – أما مسألة التدخل فى تكوين الجنين، وما يطمع فيه العلم بعد : من جعله ذكرا أو أنثى فهى أصعب على العلم من تلك ·· اذ هى أعز على العقول منالا من معرفة جنين كائن فعلا ·· لأنها مسألة ايجاد من عدم ·· أو مسألة تخليق يناط بقدرة وارادة ليستا من نوع قدرة الانسان ، ولا ارادته ·

وهل يستطيع انسان أن يخلق مثل نفسه، او يخصص المخلوق بما يشاؤه فى تكوينه ذكرا أو أنثى » .

لو جاز للانسان ذلك فى حساب العقل لطفر الانسان فى غروره ، وظن نفسه فوق محيطه الانسانى .. والمفروض أنه انسان وكفى ، وله طاقة محدودة مهما ترامت فى ظنه .

٢ – ثم انظر نظرة رتيبة الى حديث الله فى ذلك ، وتخصيصه نفسه – تعالى – بما يكون فى شأن الجنين وغيره .

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء ، فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل » .

« هل من خالق غير الله ؟.. »

« أفرأيتم ما تمنون .. أأنتم تخلقونه ، أم نحن الخالقون ؟ »

ففى هذه الآيات قصر للخلق على قدرة الله وحده ..

وفيها تصريح بأن الماء الذى يخرج من أصلابنا نحن لا نستطيع التصرف فى تخليقه ..

« يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك ، فسواك ، فعدلك، فى أى صورة ما شاء ركبك » .

فهنا خلق أو تسوية على شكل معين ، وتصوير على هيئة مرادة ، من طول ، وقصر وحسن وقبح ، وبياض ، وسمرة ، ونحو هذا من ملامح الأجسام ، وتقاسيم الوجوه ، وفى هذه التوجيهات ما يكذب مزاعم الانسان أنه يستطيع التعرض للجنين من أية ناحية انشائية .

٣ – بل هناك قوله – سبحانه – :

« وأنه خلق الزوجين : الذكر والأنثى » .

فكل من الأنثى ، أو الذكر بتكوين الله وحده ، وذلك ابداع يطرد فى الانسان والحيوان .

بل فى النبات كذلك ، ففيه ذكر ، وفيه أنثى ، كالنخيل وغيرها من الأشجار ..

وصانع ذلك هو الله وحده .

وهل يستطيع المرء أن يغرس شجرة ثم يجعلها انثى مثمرة ، او ذكرا غير مثمر .. ؟!

فلا سبيل للانسان أن يحقق دعواه تلك ، لانعدام وسائلها عنده ، ولأنها حلقة من سلسلة أطوار عجيبة ، لا يتأتى له واحد منها وتلك الأطوار مذكورة فى قوله سبحانه :

١ – « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » .

٢ – « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » .

٣ – « ثم خلقنا النطفة علقة » .

٤ – فخلقنا العلقة مضغة » .

٥ – فخلقنا المضغة عظاما » .

٦ – فكسونا العظام لحما » .

٧ – ثم أنشأناه خلقا آخر .. »

٨ – « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

فهذه سبع مراحل ، يمر بها الانسان فى تكوينه ، ذكرها القرآن فى كلمات معدودات ، وفى كل مرحلة منها مجال فسيح للبحث العلمى ، ومسرح لجولات العقل ، وتفكيره بغض النظر عن تدخل العلم ، وتنبؤاته فى تكوين الجنين أو سوى هذا ..

وربما كان مقطع الجدل فى هذا اللجاج قوله تعالى :

« يخلق ما يشاء .. يهب لمن يشاء اناثا .. ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا .. ويجعل من يشاء عقيما . انه عليم قدير » .

فتوزيع الذرية الى اناث وذكور ، ثم تقسيم الحظ فيها بين عباده بمنح بعضهم اناثا ، أو ذكورا أو مزاوجة ، أو حرمانا : كل ذلك تصريف الهى – ولا شك .

فهل يتاح للعلم وأدعياء العلم أن يغيروا ما وهب الله للأبوين من ذكر فيجعلوه أنثى، أو من أنثى فيجعلوها ذكرا ، أو من الصنفين فيجعلوهما صنفا واحدا ، أو ما أراد عدم منحه بالعقم ، فيقسروا ارادة الله ، ويجعلوها مانحة ، لا مانعة ؟

هذه فروض تنجم كلها عن فكرة التدخل فى تكوين الجنين .

وان لم يتطرق اليها العلم الآن فى بحثه الحاضر فربما جازف بالتعرض لها بعد .

البقية ص ٨١

المعانى السامية فى هجرة الرسول

الأستاذ محمد سلام مدكور

حينما طلب منى أن أكتب مقالا لمجلة منبر الاسلام لشهر المحرم من هذا العام ، اتجه فكرى الى التاريخ الاسلامى واتجه فكرى الى الهجرة وتاريخنا الهجرى . متى هاجر الرسول من مكة ؟ ومتى وصل المدينة ؟ وما مناسبات تلك الهجرة ، وما آثارها التى انبنت عليها ؟ ولم نسبت السنة العربية الى الهجرة مع أنها لم تكن فى أول المحرم ؟

فأردت أن اتذكر ما شغلتنى عن ذكره أعمالى وما أنسانيه الشيطان ، فأخذت أقلب فى القسم التاريخى من مكتبتى ، واستهوانى الموضوع فقرأت بعد طول انقطاع عن الموضوع ، واسترسلت فى مراجعته فى كثير من مظانه بعامل الشغف والشوق ، ولما فيه من عظات وعبر ، وكان يخيل الى من شدة شغفى بالموضوع وتعلقى به أننى وأنا أقرأ أعيش فى عالم انبثق فى نفسى مخلوقا تاما بأهله وحوادث أهله ، معتزلا به عن كل ما عداه من شئون هذه الحياة وتلك هى القراءة الروحية التى اذا سما الانسان اليها رأى فيها ما لا تنبىء عنه ظواهر السطور ، لأنه منها يتصل بأسرار نفسه ، ومن نفسه يتصل بأسرار أخرى أعلى منها شأنا .

تصورت الرسول عليه السلام فى مكة رجلا بكل ما فى الكلمة من معانى الرجولة ، يعمل بأمر السماء لاعلاء كلمة الحق ومحاربة الباطل وارشاد الناس الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ، وتصورت قريشا قبيلته بل وعشيرته الأقربين منها تحاربه وتطارده ، وتبطل عمله ، وتسفه قوله ، وتسخر منه ، وتكيل للمسلمين أنواع الحيف والظلم والعدوان ، ومع هذا فقد كان لا يكف عن الدعوة لله ، ولا يتوانى فى التصدى لكل قادم يعرض نفسه عليه ويدعوه الى الايمان به ، واعتناق دعوته .

تصورته وهو صامد لا يتزعزع ولا يحيد عن تبليغ دعوة ربه ونشر رسالته ، وأحست أذناى به يقول : « **والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » .

تصورت هذا بصورة أوضح وأوسع مما أكتب ، لأن القلم قد يضيق عن التعبير عن كل ما تتصوره النفس ، لا سيما اذا كان من المعانى الروحية تجول فيها النفس وهى مشوقة اليها ، وتصورت الدعوة حين ذاك فى مكة . فوجدتها — برغم تفانى الرسول فى تبليغها والتبشير بها — تلوح وتختفى مثل البرق فى السماء فى سرعة الظهور والخفاء ، الا أنها من غير شك أحدثت بلبلة فى الأفكار وزعزعة فى المعتقدات ، وفتحت الأذهان الى ما لم تألفه ، وجعلت النفوس تتوقع جديدا . تتوقع غيثا وخيرا مع شىء من الخوف والحذر أشبه شىء بمواقع المطر .

تصورت كل هذا ، وتصورت أولئك النفر من عصبة الخير التى حفت به ولكنها لم تستطع

أن تغنى عن نفسها ولا عنه ، فلولا ان بشاشة الاسلام خالطت قلوبها ، وأنها وجدت حلاوته فى نفوسها ما استطاعت بحال أن تصبر على ما كانت تلقى من استضعاف واستهانة وتعذيب.

لقد فر النبى - صلى الله عليه وسلم - بنفسه فى عام الحران الى مدينة الطائف عسى أن يجد متنفسا مما لقى من قومه من ملاحقة أذى ومتابعة تعذيب ، فلم يجد فيها الا اعناتا واعراضا عن دعوته ، وسخرية منه واستهانة بأمره . مما ألجأه الى تلك الضراعة الخالدة يتجه بها الى من حمله تلك الأعباء ليوجد له منها المخرج فيقول : **« اللهم أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، قلت حيلتى. الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى . أم الى صديق ملكته أمرى ! ان لم تكن ساخطا على فلا أبالى غير أن عاقبتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن لا تنزل بى سخطك أو تحل على عذابك ولك العتبى حتى ترضى »** .

وكان ذلك هو المفتاح الذى منحه الله به لينقذه من بأسائه ، فما هو الا وأن ظهر جبريل ومعه ملك الجبال فيقول : « يامحمد هذا ملك الجبال أرسله الله اليك فان شئت طبق عليهم الأخشبين - جبلين يحيطان بمكة - فأهلكهم » ولكن يأبى على محمد .. هذا الخلق الكريم الذى أودعه الله فيه فيقول : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا » .

ثم يطرد معه ذلك الفتح بهذا الدعاء الذى ألهمه الله ، فيسخر له ربه بعض القلوب من أهل يثرب فى موسم من مواسم الحج ، وقد كانوا يسمعون بذكره من أهل الكتاب فى المدينة - الذين كانوا يقاتلونهم ويستفتحون به عليهم - فلما رأوه علموا أنه هو النبى المذكور وسارعوا الى الايمان به وولوا الى قومهم مبشرين به حتى عادوا فى العام القادم وهم ضعف ما كانوا عليه أولا ، وفى العام الثالث وصل عددهم الى خمس وسبعين وتمت المعاهدة بين الرسول وبين هؤلاء الوافدين على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وعلى ان يظل وفيا لهم مهما نصره الله واعلى شأنه .

ثم كان من النبى - صلى الله عليه وسلم - أن أمر أصحابه أن يهاجروا الى هؤلاء اليثربيين ليعيشوا فى كنفهم آمنين ، وقد كان من عبقرية هذا النبى وما صنع الله من مظاهر التوفيق فى سياسته أن بدأ يؤلف القلوب بين أهل تلك المدينة ، ثم يخلط أصحابه بهم ليرودوا له ولمن بقى من أصحابه الطريق ، ويمهدوا للدعوة الجو الرقيق ، وليهيئوا له ولدعوته الموطن الجديد بعد اذنبابهم ذلك الموطن ، وما كان اسعدهم به اذ شقى الأولون برفض دعوته ، ولقد ترامت الأخبار الى أولئك الأشقياء أن محمدا بدأ يبنى له ولجماعته ذلك الوطن الجديد ، ويهيىء لدعوته مقرا فى قوم آخرين ، ولا سيما أنهم أحسوا بتفكيره فى اللحاق بأصحابه ، فخافوا نفوذه وسلطانه على أنفسهم وعلى معبوداتهم ، وفكروا فى أمره وانتهوا الى وجوب قتله والتخلص منه ، ولكن الله الذى ألهمه الضراعة اليه واللجوء الى كنفه ألهمه بما وصلوا اليه من نتيجة فى أمره ، وألهمه أن يهاجر قبل أن ينالوا منه ما انتهوا اليه . يقول الله تعالى « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » .

فاتفق أن اجتمع فى ليلة واحدة ترقبهم خروجه لصلاة الفجر وعزمه - عليه السلام - على الهجرة هو وصاحبه الصديق، وبدأت آيات النصر تتوالى على ذلك النبى . فقد خرج عليهم فى جوف الليل وهم محدقون بداره ، وهو يتلو قول الله تعالى **« وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون »**. فأغشاهم الله عنه ، كما أغشاهم مرة أخرى عنه هو وصاحبه وهو فى غار ثور وهم محدقون به وقد انتهى اليه موضع أقدام كل منهما . وأبو بكر لا يشك فى انهم موقعون بهما . فيهدىء الرسول من روعه بما يصوره الله بقوله : « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها** » .

ولو أخذت فى وصف ما كان فى هذه الرحلة من العجائب لضاق بى مجـال القول ولكان ترداداً لما تفيض به اقـلام الكاتبين فى هذه الأيام ، ولكن حسبى أن أشير لك الى أن النبى - عليه السلام - انتقل الى دار الهجرة فى حفاوة الله ورعايته البالغة ليتم هذا الرسول رسالته كما أرادها الله ٠

ولم يكن محمد - صلوات الله عليه - أول من هاجر من الأنبياء فراراً بدينه وحرصاً على نجاح دعوته ، فقد هاجر من قبله ابرهيـم ولوط - عليهما السلام - لما أبى قوم ابرهيم قبول دعوته، وحاجوه فى الله فوجد فى غيرهم الايمان وقبول دعوة الحق . كما هاجر أيضاً كل من موسى وهارون من مصر الى الشـام ليعيشا مع بنى اسرائيل فى جو تثمر فيه دعوته وتنفذ فيه آيات الله ولينجو بنفسه ودينه من فرعون ومكره ٠

وهكذا يقيض الله لدعـوة الحق من لانت قلوبهم ، وانقادت نفوسهم ، ويأبى الله لدعوته أن تبقى فى قوم يهتضمونهـا ويعارضـون فى حقيقتها ، ويأبون الانقياد لها ٠ وهذه سنة الله فى انبيائه ورسله ، بل جميع المصـلحين من عباده لا تظهر دعوتهم ولا تقوم حجتهم الا فى قوم لا يستكبرون عن قبول دعوات الاصلاح ، ولقد تحقق ما اراد الله ، وما نشـده رسوله - عليه السلام - لدعوته الكريمة التى ألقى الله عليه أعباءها وكلفه بنشرها منذ هاجر الى ذلك البلد الذى اطمأن اليه قلبه وأنست به نفسه واختاره ليكون منبع دعوته ومشعل هدايتـه وحاضرة دولته ٠

وكان طبيعياً أن يختار ذلك فهى أول بلـد استجابت لدعوته وتفتحت قلوب أهلها للايمان بها وحمل أعبائها معه ، كما تفتحت صدورهم للترحيب بطليعة الوافدين اليها من المسلمين، حتى وصفهم الله بقوله : « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجه ممـا أوتـوا** » ٠ الى انه له بها أنساً طبيعياً فهى على مقربة من مدفن ابيه الذى يحن اليه بطبعه ، وفيهـا رحمه الماسة فى أخواله بنى عدى بن النجار ، فضلاً عن قربها من الشام ومهاجر أبيه ابرهيم، والبيت الذى بارك الله حوله بمن أرسله من اخوانه النبيين فيه ٠

حقاً لقد كانت هـذه الهجرة فصـلا بين عهدين : عهد كان كله اضطهاداً وزعزعة ، وآخر كان كله أمناً وطمأنينة ، عهد كانت تحفه ظلمات اليأس وآخر تحفه الآمال الحلـوة والمستقبل الزاهر ٠ عهد كان محفوفاً بالصدود عن تلك الدعوة الكريمة والاعراض عنها وآخر حفه الاقبال عليها والاستقبال لها والتعاون على نشرها وبثها بين قبائل العرب ثم غير العرب من أهل الأرض كافة ممن أمكن ايصال تلك الدعوة اليهم فى عهد النبى - صلى الله عليـه وسلم - ثم أصحابه من بعده الذين سـاروا بتلك الدعوة ينشرونها فى جميع الآفاق تحقيقاً لهذه الرسالة الكريمة كما رسم الله خطوطها لنبيه ، وكما رسم النبى خطوطهـا لتلامذته وما من شك فى أن دعوة محمد - عليه السلام - دعوة عامة ٠

ثم انظر الى ذلك الانقـلاب العجيب الذى أحدثه الاسلام فى نفوس معتنقيه فالف بين الأنصار والمهاجرين ، وقد كان الأنصـار لا يتسعون لأنفسهم من قبل ويحترب بعضهم مع بعض ، ولكن الاسلام سكن نفوسهم وطهـر قلوبهم ، ووسع أفقهم وقوى روابطهم باخوانهم حتى صاروا يؤثرونهم على أنفسهم ، ولولا ذلك الانقلاب الروحى العجيب الذى حقق تلك الأخوة وأمدهم بتلك القوة لم تقم للاسلام قوة ، ولم ينتشر بين الناس بتلك السرعة الخارقة التى ما كان يمكن أن تقع لولا هذا فى مئات السنين٠

لقد وفق الله نبيه فآخى بين أصحـابه من المهاجرين والأنصار أخوة أسمى من أخـوة النسب وكان من مظاهرها أنهم كانوا يتوارثون ويتناصرون ، وما كان محمد لو انه انسـان عادى ليستطيع أن يصل الى ذلك التاليف لولا امداد الله ومعونة السماء مصداقاً لقول الله سـبحانه « **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ٠٠** »

وهكذا بين الاسلام أن هذا الدين وطـن المسلمين جميعاً مهما اختلفت أجناسهم ، ليعلم الناس من بعد ان هذه طبيعة الاسلام ٠ وحدة

فى العقيدة ، ووحدة فى العبادة ووحدة فى القبلة ، ووحدة فى الوطن ، فالاسلام وطن لكل مسلم مهما اختلفت الحدود وتعدد الحكام .

اطمأن النبى ـ عليه السلام ـ بأصحابه فى ذلك البلد ، ولكن أشقياء قريش بمكة لم تهدأ نفوسهم فأخذوا يناوشونه من أطراف الجزيرة ويؤلبون عليه ويتحرشون بأصحابه حتى أذن الله لهم فى الدفاع عن أنفسهم وجاء نصر الله والفتح ، ففتحت مكة بعد أن نقضت قريش العهد الذى بينها وبين الرسول ، وقامت دعوة الحق فى مكة نفسها ، وحطمت الأصنام فيها وطهر البيت من الرجس وخلص لعبادة الحق ، وخضعت أعناق طالما شمخت بأنوفها وأعرضت عن آيات ربها .

كانت الهجرة ـ اذن ـ بداية تكوين دولة الاسلام فى الأرض ، واستلزم هذا تشريع ما تحتاج اليه الدولة من أحكام تنظم روابطها وعلاقاتها سواء علاقة الأفراد بعضهم ببعض أم علاقتهم بالدولة أم علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول فى حال الحرب والسلم ، فجاء الوحى بأحكام كلية فى كل هذا لتتناسب مع البيئات المختلفة فى جميع الأزمنة والأمكنة التى تطبق فيها ، وكان القرآن الكريم فى مكة أكثر ما يتجه الى ناحية العقائد والوجدانيات واقامة الأدلة وقصص الأنبياء ومكذبيهم وما الى ذلك مما يتفق مع استصلاح العقيدة وتطهير القلوب من رجس الشرك وتوجيهها الى تقبل الاسلام ، وكان طابع الآيات المكية القصر والايجاز والقوة والشدة التى تتناسب مع تلك الأغراض ، بينما كان طابعه فى المدينة أقرب الى البسط والارسال ليتناسب مع التشريع وما يتطلبه من تعليل للأحكام .

ولقد كانت تلك الهجرة سبيلا الى ما ظفر به الاسلام والمسلمون من ذلك الانتشار الهائل وتلك الفتوحات الخارقة ، فقد أظل الاسلام ممالك ودولا كثيرة دخلها بنوره قبل أن يدخلها المسلمون بسيوفهم ، فقد خضعت الجزيرة العربية كلها لحكم الاسلام كما فتحت الشام ثم مصر ، وفتحت العراق ثم فارس وامتدت الفتوحات حتى أخضع المسلمون لسلطانهم السند وبخارى ووصلوا سمرقند كما فتحت بلاد المغرب وبرقة وتونس والجزائر ومراكش ، كما فتحت الأندلس ، بل توغل المسلمون فى فرنسا حتى نهر اللوار .

لقد كانت الأحكام المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله هى التى تسيطر على هذه الرقعة الواسعة الممتدة فى أرجاء الأرض وتنظم أمرها برغم ما فيها من تباين فى النزعات والميول ، ولكن الاسلام علمنا فى هجرة الرسول وسيرته بين أصحابه المختلفى البيئة أن نتخذ منها الأسوة الحسنة وجعله لنا فى تشريعاته من المرونة ما يكفل لها الصلاحية الدائمة .

تاريخنا الهجرى :

كانت هجرة الرسول فى شهر ربيع الأول ووصل المدينة فى الثانى عشر من نفس هذا الشهر ، وذلك يوافق يوم مولده ، ولله سر عجيب فى هذا التوافق فمولد الدولة الاسلامية هو يوم مولد منشئها مما يبرهن على أن الله سبحانه يرتب تلك الحوادث والكائنات ويربط بين بعضها وبعض ، فاذا أضيف الى ذلك ما يذكر فى تاريخ هذه الهجرة الكريمة من أن يوم وصول الرسول الى مهاجره كان يوم جمعة ، وأن النبى جمع المسلمين على صلاتها فى هذا اليوم ، فكان أول تشريع صلاة الجمعة ، كان ذلك أمرا يبهر العقول ويزيد المسلمين تمجيدا لذلك اليوم الذى أصبحت فيه هذه الأعياد الثلاثة : مولد نبيهم ومولد دولتهم ومولد جماعتهم المفروضة .

وأما أن السنة الهجرية لم تبدأ بذلك اليوم الذى وصل فيه النبى الى مهاجره ، أو اليوم الذى بدء فيه هجرته فان الذى منع ذلك أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما كانوا يريدون أن يغيروا وضع العرب فى ترتيب الشهور وفى بدء العام الهلالى ، وانما قصدوا أن ينسبوا الشهور العربية الى أعز مناسبة لديهم وأعظمها أثرا فى نفوسهم وتكوينهم ويجعلوها مبدأ لتأريخ حوادثهم بدلا من تلك الأحداث الأخرى التى كانت تتسم بعام الفيل ونحو ذلك .

فاذا كنا نحتفل بأول المحرم على أنه عيد الهجرة كما يفهم بعض الناس فذلك غير صحيح لما بينا من أن الهجرة كانت فى شهر ربيع الأول . والحقيقة أن احتفالنا بأول المحرم انما هو احتفال برأس السنة التى بدأ التأريخ الاسلامى منها وهى أول سنة وقعت هجرة الرسول فى أثنائها ، أما عيد مولد الدولة الاسلامية بهجرة الرسول ووصوله الى مهاجره فهو يوم الاحتفال بمولد الرسول منشىء هذه الدولة .

وبما أن التأريخ لدولة الاسلام فى الأرض يبدأ من عام هجرة الرسول فان ما قبل ذلك الحادث من تاريخ دعوة الاسلام يكون بمثابة تمهيد أو مقدمة لتاريخ الدولة الاسلامية .

وبعد . فانه ينبغى أن لا يفوتنى أن أنبه الى ذلك التوجيه الاسلامى العظيم من أن المسلم لا ينبغى له أن يقيم بأرض لا يستطيع أن يقيم فيها حقوق الله ولا أن يقوم فيها بدعوة ربه ما دام يستطيع أن يهاجر فى سبيل الله وان يجد عن مقامه فى أرض العصيان والفجور متنفسا « **ياعبادى الذين آمنوا انأرضى واسعة فاياى فاعبدون** » ، « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** » .

هذه كلمتى عن الهجرة والمعانى السامية فيها ، وما كان أحرانا فى مثل هذه الذكريات الكريمة أن ننتفع بما فيها من عبر وعظات فتقوى فينا الهمم ، ونتجه الى ما كان يتجه اليه سلفنا الأولون من جهاد وتضحية فى رفعة شأن الوطن الاسلامى وتوحيد الصفوف وجمع الشمل ومقاومة كل آثم ، فانه لن تقوم لنا قائمة الا بتلك الوحدة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ماصلح به أولها حقق الله فىعامنا هذا كل ما تصبو اليه نفوسنا ، وأعاد أمثاله علينا ونحن نرفل فى حلل الاخاء المنشود والحب الاسلامى المعهود ، ويطهر الوطن العربى من كل دخيل .

القرآن والبحث العلمى (تابع)

على أننا نعود ، ونقول : ليدأب العلم فى بحثه ، فربما كانت بحوثه فى طريق معين خطوات تمهيدية يحصل فيها على ثمرات أخرى ينتفع بها الانسان فى دنياه ، أو دينه وقد ينتهى العلم فى أوقات معينة الى الايمان بالغيب على وجه صحيح .

ومن أجل هذه الغايات المرتقبة يدعو الاسلام الى العلم لتعمر به الدنيا ، ولأنه واثق أن العلم منته الى التسليم لدعوة الدين ، اذا رافقته نفحة من الهداية .

وتكون حصيلة هذا البحث : أن القرآن وقف بنا من فجره الأول عند حقائق ثابتة نؤمن بها فى غير ريبة ، لأنها من بدايتها آكد صدقا من فروض أو نظريات يحاولها العلم من جديد ليثبتها فى مقرراته حقائق ان استطاع .

وسوف لا يثبت الا ما قرره عالم الغيب والشهادة ، فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

فنحن نسبق الى الايمان بما سيق الينا من خبر السماء ، ثم نبحث لنهتدى ـ بعد ـ الى مقتضيات الايمان .

والعلماء يبحثون ـ أولا ـ عن مقتضيات الايمان ، ثم يؤمنون بما انتهوا اليه ، ولا نكران عليهم فى ذلك مؤقتا حتى يؤمنوا عن بينة ، كما يحب الله منا أن نتعقل ولا نعيش على التقليد .

غير أن السابق الى الايمان سابق الى حظ وفير ، وهو فى ظل ايمانه يتوقى العثرات فى بحثه ويحتاط ، أما الباحث أولا فيخشى عليه أن ينبهم عليه بحثه ، فتزل قدمه ، ولو بعد ثبوتها نوعا ، ومن أجل ذلك كان من دعاء الصالحين ـ **اللهم ايمانا كايمان العجائز** ـ أى: ايمانا بريئا من الجدل ، ومن شائبة الارتياب والنقاش فى جحود ، أو تبجح .

والآن : ليس لأحدنا أن يأخذه سحر الدعاية الى البحث الطبى ، فيرتاب فى خبر القرآن ، ويؤمن بالعلم فى هذا قبل أن يؤمن العلم بنفسه ، وذلك هو الحق من عند الله .

الأول : موسى ـ عليه السلام ـ فانه نصر فيه ، وفلق البحر له ، وغرق فرعون وجنوده.

الثانى : نوح ـ عليه السلام ـ استوت سفينته على الجودى فيه .

الثالث : يونس ـ عليه السلام ـ أنجى فيه من بطن الحوت .

الرابع : تاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه على آدم عليه السلام ـ قاله عكرمة .

الخامس : يوسف ـ عليه السلام ـ فانه أخرج من الجب فيه .

السادس : عيسى ـ عليه السلام ـ فانه ولد فيه ، وفيه رفع .

السابع : داود ـ عليه السلام ـ فيه تاب الله عليه .

الثامن : ولد فيه ابراهيم ـ عليه السلام ـ

التاسع : رد فيه بصر يعقوب ـ عليه السلام ـ .

العاشر : غفر فيه لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

هكذا قالوا ، وذكروا عشرة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر بعضهم من العشرة ادريس ـ عليه السلام ـ فانه رفع الى مكان فى السماء ، وأيوب ـ عليه السلام ـ فيه كشف الله ضره ، وسليمان ـ عليه السلام ـ فيه أعطى الملك .

ويرحم الله الشيخ الرفاعى ، فقد سمعته فى الأزهر أمام القبلة الجديدة يلقى درسا عن فضل يوم عاشوراء ويذكر هذه الأشياء . أما اليوم فلم أسمع فى الأزهر من يعد يسردها .

واتفق علماء المسلمين على أن صوم يوم عاشوراء سنة وليس بواجب . واختلفوا فى حكمه أول الاسلام . فقال أبو حنيفة : كان واجبا . واختلف أصحاب الشافعى على وجهين أشهرهما أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يك قط واجبا فى هذه الأمة ولكنه كان يتأكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب . والثانى كان واجبا كقول أبى حنيفة . وقال عياض : كان بعض السلف يقول : كان فرضا وهو باق على فرضيته لم ينسخ . قال : وانقرض القائلون بهذا وحصل الاجماع على أنه ليس بفرض انما هو مستحب .

أما فضل صومه فقد ورد فيه أحاديث كثيرة : فقد روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : **ما رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحرى صيام يوم فضله على غيره الا هذا اليوم ، يوم عاشوراء وهذا الشهر ، يعنى شهر رمضان »** ، وانما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان وان كان أحدهما واجبا والآخر مندوبا لاشتراكهما فى حصول الثواب . فقد روى البخارى أيضا عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : **كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه »**. وفى هذا دليل على أن صومه قد رد الى التطوع بعد أن كان فرضا .

وقد وضع قتلة الحسين ـ رضى الله عنه ـ من الأحاديث الشىء الكثير ، منها : « من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا » ، ومن أغرب ما فى هذا اليوم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال فى الصرد انه أول طائر صام عاشوراء . وهذا من قلة الفهم وضعف العقل ، فان الطائر لا يوصف بالصوم .

واذا كان يوم عاشوراء قد استغلته الأحزاب السياسية فوضعوا فيه ما لا يقبله عقل والحقوا به أوصافا ما أنزل الله بها من سلطان فانا لنرجو من حكماء المسلمين وعقلائهم أن يعملوا ما وسعهم العمل على التقريب بين المذاهب الاسلامية وعلى توحيد الهدف فى هذا العالم المضطرب ، فقد طغت الأهواء المادية والمصالح الشخصية حتى أصبح أمر كثير من المسلمين عجبا . فلمصلحة من مثلا يرفض سعود دخول الكسوة الشريفة الى بيت الله الحرام هذا العام ..؟!

فيأيها العرب ويأيها المسلمون ، لقد أصبح دين الله تعصف به الأهواء ، فثوبوا الى رشدكم واعتصموا بحبل الله جميعا لعلكم تفلحون .

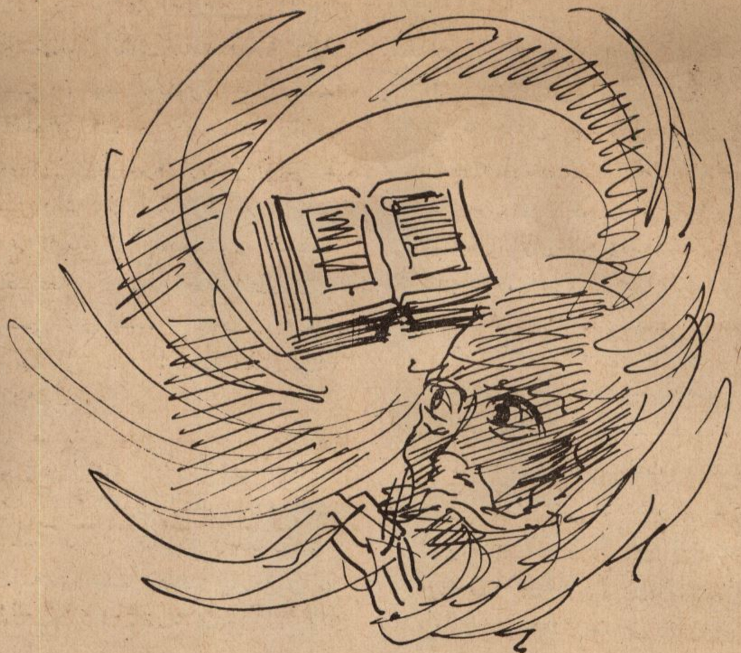

الإسلام وتطور الإنسانية

الدكتور محمد غلاب

لا توجد ثورات شرعية جديرة بالدوام ، خليقة بالثبات ، قمينة بالخلود فى ذاكرة الانسانية سوى الثورات التى تحقق تحسين حالات أوفر الطبقات عددا ، وأكثرها كدحا ، وأعظمها نشاطا ، وأشدها اكتواء بنار الظلم فى المجتمعات .

ففى الحق أن جميع الثورات التى امتازت بهذا الطابع قد أسهمت على التوالى فى اخماد لهيب الفساد وتحطيم نير الذلة والاستعباد باضعافها جريمة استغلال الانسان لأخيه الانسان وهى الرذيلة الأساسية والعقبة الكأداء التى ظلت على الدوام تعترض تطور الانسانية وتقدمها نحو المثالية المرموقة . ولقد كان الفضل لذينك الفيلسوفين العظيمين « اسبينوزا » و « هيجيل » فى تحديد مبادىء ذلك التطور واتجاهاته على صورة تدعو الى الاعجاب ، اذ أثبت «اسبينوزا» رداءة المبادىء التى تنتج الأنظمة السياسية الطغيانية أو الاقتصادية الاستغلالية التى تسود ردحا من الزمن تشيع فيه الفساد والتدهور ، ثم لا تلبث أن تزول تاركة خلفها آثارها المدمرة . ومنشأ زوالها ، اما لأن الطغيان يمعن فى الاضرار بمن يقع عليهم الى حد أن يصبحوا لا يرهبون نتائج الثورة لو فشلت وباءوا بعدها بالخسران ، لأنهم يقدرون أن تلك النتائج المشئومة ليست أسوأ من حالتهم الراهنة .

وهنا يتألبون على أولئك الطغـــاة الذين يضطهدونهم ويخنقون أنفاسهم ، واما أن الطغاة يحسون بحـرارة لهيب الثورة على بعـد ، فيشرعون فى المالأة النسبية لأولئك المظلومين فيقدمون شيئا من الترضية الى غرائزهم ثم الى حاجاتهم . واذ ذاك تشاء طبائع الأشياء أن يتنبه الوعى العام الى الحقـوق المستلبة، والكرامات الضائعة . وبهذا يعد الطغـــاة الشعب - عـلى غير قصد - للحـرية ، بل يقتادونه بأيديهم الى مبدأ طريقها الذى مهدوه بتلك المالأة الاجبارية .

ومهما يكن من الأمر ، فلا بد من اختفـاء الطغيان بسبب تأدية القوى الفطرية رسالتهـا عن طريق البشر الذين يطالبون بحقوقهـم . ومما لا ريب فيه أن هذه المطالبة بالحقوق هى أمر لا فكاك عنـــه كما يوضح هيجيــل ذلك فيقول :

« ان المقتل الأساسى لكل طغيان سـيـاسى أو اقتصادى هو أنه مضطر الى أن يعامل بنى الانسان معاملة الآلات الصـماء ، وتلك حالة لا ترتضيها البشرية لنفسها مهما انحدرت الى الحضيض . ومن ثم فان شعورها بتساويهـا مع الأدوات الميكانيكية فى عدم الاعتبار ، يثير ثائرتها ويدفعها الى الكفاح فى سبيل التخلص من تلك الأعباء الثقال المتعارضة مع الفطرة ، والتى أرهقتها أثناء عصور الظلام » .

وما دام أن البشرية تستكشف كرامتهـا شيئا فشيئا على هذا النحو ، فان ذلك يجعلنا ندرك أن جميع الحركات التقدمية الحقيقيـة التى سجلها التاريخ ، تنتج من ذلك السـير المتواصل نحو هذا الهدف المثالى ، وهو القضاء على تلك المعاملة غير الكريمة التى تصدر من الانسان نحو نظرائه ، بل اخـوته . ولا ريب أن الوصول الى تحقيق هذا الهـدف ، يتطلب نظاما اقتصاديا واجتماعيا يتجــه نحو تلك المثالية . ومن أجل ذلك نحن نشاهد الانسانية منذ أبعد عصورها تنقب - من بين الأنظمـة المختلفة - عن النظام الذى يلتئم مع تحقيـق كرامتها وعزتها أكثر من غيره ، ولذا لا يعثر الناظر فى تاريخ البشرية على تطورات آلية أو ضرورية فحسب ، بل هو يلتقى عـلى الدوام بتوجيهات متعقلة ، اذ أننا - رغم تعارض القوة الوحشية والطغيان بأنواعه المتباينة - نشاهد أن الانسانية تدرك فى وضـوح مطرد تلك العدالة الاجتماعية المثالية التى تلتئم مع كرامتها وأنها تحقق ، بوساطة ثوراتها الموفقة المتوالية، درجات رقيها مرحلة اثر مرحلة فى تمهـل واتزان .

فى هذا المجهـود الذى يبذله الضـمير الجماعى ، على حد تعبير علماء الاجتماع، والذى يطالب على الدوام بالعـــزة البشرية ، يرى الاسلام يمثل دين الفطرة الذى أودعه الله فى جميع قلوب بنى الانسان بوساطة الميثاق الأول الذى منح الانسانية تلك الكرامة العنصرية التى لا تقبل الانمحاء ولا الزوال ، والتى رأينـاها أن الفلاسفة يحاولون فى بطء أن يستخلصوهـا أو يستنتجوها من الجهود البشرية المتواصلة وأن يعبروا عنهـــا ويطالبوا بتحقيقهـــا ، مستعينين فى ذلك بضوء العقل وحده ، بينما أن الوحى المحمدى يسجل المساهمة فيها لجميع الأناسى بلا استثناء :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهـم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم عـلى كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

غير أنه يطالب بها لكل من لم يتحللوا من ذلك الميثاق التشريفى الخطير فنـــالوها ثم فقدوها بعامل من عوامل الظلم والاستبداد ، أو الجهل والانحدار . وفى هذه الناحية ، كمـا فى غيرها ، يتضح أن الاسلام هو الدين الكونى بأكمل ما فى هذه الكلمة من معان ، وأنه يمكن أن يقبل وأن يعلل بصورة مشروعة ، جميـع نتائج الجهود العقلية والتقدمية البناءة المعتدلة الصادرة عن الانســـانية. أيا كانت الأزمنـة والأمكنة التى نشأت فيها ، وأنه على أتم وئام مع العقل الفلسفى السليم فى أن الملكات البشرية العامة المشتركة هى مقر مبادىء جميع التطورات الاجتماعية المشروعة التى تمر بها الانسانية ، اذ أن تاريخ هذه التطورات - فيمـــا يتعلق بالكثرة التى تعنينا هنا - ينبئنا بأن رقى العصور الأثرية قد خلف وحشية ما قبل التاريخ ، وأن

تبعية الاقطاعية قد خلفت الرق ، وأن نظام الاستئجار الرأسمالى قد خلف التبعية ، وأن الاشتراكية هى اليوم فى طريقها الى أن تخلف نظام الاستئجار ، وذلك هو أمل الأكثرية الغالبة الكادحة التى تعمل ، والتى ترى باطراد وفى وضوح تلك الصلة الوثيقة بين العدالة والحق فى الاستمتاع بثمار أعمالها . واذن فلا ريب فى أنه يوجد اليوم تقدم أخلاقى واجتماعى فى هذا التطور الذى تحققه الانسانية ، وأن اسهامها فى المثالية هو الذى يجعلها تتخذ هذا الاتجاه العادل الكريم دون غيره .

هناك نتيجة أخرى تنبثق من دراسة التطورات الاجتماعية التى مرت بها البشرية وهى أنه لا يمكن تجريد الانسان الروحى الخلقى من علائقه الاقتصادية والاجتماعية . وفى هذا أيضا تبدو مرة أخرى تلك الحكمة التى بلغت حد الكمال فى تعاليم الاسلام والتى هى فى الوقت ذاته مجموعة جد متماسكة من الهداية الروحية والارشاد الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، وعلى الاجمال هى محيطة بكل ما يحتاج اليه الانسان فى متنوعات حياته بلا استثناء من سلوكه الفردى الى علائقه الأسرية والبيئية ، وحقوقه وواجباته بازاء المجتمع والدولة التى هو منها والدول الأخرى وما الى ذلك : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » .

« **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » .

« **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون** » .

« **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .** »

« **ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » .

« **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب** » .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)) .

« **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » .

« **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » .

« **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** » .

لذلك كله نحن على يقين من أن نجد دائما كل المبادىء الضرورية التى اقتادت الانسانية فى جميع تطوراتها التى أشرنا اليها آنفا ، والتى ستقتادها ، ونحن نعبر هنا بالمبادىء العامة ، لا بالأنظمة التفصيلية التى تحدق بالحياتين السياسية والاقتصادية احداقا ضيقا ليس من الحكمة أن يحدد نتائج العبقريات التى توجد فى الأصقاع الاسلامية على توالى العصور ، والتى تؤول هذه المبادىء وتطبقها حسبما يبدو لها تبعا لظروفها الخاصة وكفاياتها الشخصية كما وضح ذلك الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقاله القيم الذى نشر فى العدد الأول من مجلة « منبر الاسلام » الفرنسية .

وقصارى القول أن القرآن يلهم الأناسى، فى حكمة بارعة، جميع القواعد التى يؤسسون عليها الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية التى تترعرع وتنمو بمرور الزمن ، وتؤتى أكلها الخاصة التى هى ثمار جهود الأمم ، كل حسب طاقته ومؤهلاته ، والتى تتحسن تدرجيا بقدر ما يسمح نضوج العقول البشرية بالامعان فى فهم وتأويل تلك المبادىء الاسلامية الثابتة الخالدة الآتية عن طريق العناية الالهية .

على هذا النحو يشف الوحى القرآنى عن نفسه ، وينكشف عن ارشاد عملاقى فى هذه

الحقبة التى تطالب فيها الاشتراكية بالسيادة معلنة أنهـا هى المرحلة الجديدة لتطـور البشرية .

حقا ان القرآن ـ فى ايجاز معجز يسترعى الانتباه ، بل يستوجب الاعجاب ـ قد وضع الأساس المتين للاشتراكية الحقة التى تقضى على امتياز الرأسمالية ، وتضع حدا حاسما لظفرها بمرتبة الحظوة اذ يقول :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسـائل والمحروم » .

« والذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ».

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنيـاء منكم » .

ومما لا سبيل الى الشك فيه أن مرمى هـذه الآيات الكريمة قد امتد الى أهـداف لم تكن الانسانية قد واجهتها قبل اشتعال تلك المعارك المحتدمة بين الرأسمالية الجشعة المتحكمة ، والاشتراكية المعتدلة المطالبة بحق الحياة .

وكما حظر القرآن اكتناز الذهب والفضـة وحمل على أن يكون المال دولة بين الأثرياء حملة شعواء ، فقد حظر كذلك الربا ، ونظر الى هذا الحظر على أنه سد منيع فى وجه تنميـة الرأسمالية غير المشروعة . واذن فالى جانب ما يحدثه الربا من هزات متواليـة فى ثروة المقترض ، وما تنتهى اليه هـذه الثروة من التحطم والدمار ، الى جانب هـذا ينبغى أن يلتفت المصلحون والمهيمنون على تنفيـذ العدالة الاجتماعيـة الى ما فى حظر الربا من فائدة عظمى لتحقيق هذا الاصـلاح ، وهى الوقوف فى طريق الكسب بلا عمل ولا مجهود وبالتالى الغاء الامتيازات التى يستمتع بهـا الأثرياء العـاطلون على حسـاب الكادحين المضطرين الى هذه الاستدانة المرهقة ، بـل المدمرة . وفوق ذلك فان اباحة هذه الرذيلة الممقوتة ، تنتهى الى محو العدالة الاجتماعيـة نهائيا ما دام أنها تزيد على الدوام فى ثروة المقرض ، وتحطم باطراد ملكية المفترض حتى ترتفع الفئة الأولى الى القمة ، وتهوى الثـانية الى الحضيض ، فيختفى التقريب بين الطبقات من الوجود ، وهنا يسود الطغيان من جانب الأولين ، والحقد من جانب الآخرين ، فيتفكك المجتمع الى غير رجعـة حتى تزول هـذه الرذيلة من الأمة قاطبة . وتلك هى الهـوة التى حذر الاسلام معتنقيه من السقوط فيها تحذيرا قاسيا ، والتى سقط فيهـا الغـرب فريسة للرأسمالية المستغلة التى تحول تيار الثروة دائما الى اتجاه واحد لا يتغير ، بدلا من أن تشجع نظرية تكافؤ الفرص . والنتيجة الحتمية لهذا العسف هى اشـتعال ثورات جنونية لا تعرف الاعتدال ، ولا تألف الاتزان، تدعو الى الهلاك ، وتنادى بتدمير جميع المبادىء الدينية والقيم الخلقية .

وليس بعـامر بنيان قـوم
اذا أخـلاقهم كانت خرابا

ولا ريب أن المسئولية فى كل هذا واقعة على الرأسمالية المستغلة الجشعة .

بان من كل ما تقـدم أن هـذه الكبيرة المرذولة ، وهى الربا ، لها علاقة وثيقة بكارثة تطاحن الطبقات التى هى من أسوأ ما أصاب الانسانية من مهلكات ، وليس هذا عجيبـا ما دام أن الربا نوع من « الجرب » قذفت به اسرائيل البشرية الوادعة فحولت به سعادتها شقاء ، وهناءتها بلاء .

ومهما يكن من الأمر ، فانه يسرنا أن نسجل هنا تلك العبارة النزيهة التى أثبتها المستشرق الفرنسى المعاصر الأستاذ « لويس جارديه » فى كتابه « **المدينة الاسلامية** » وهى « **مما يشرف الاسلام انه حظر الربا حظرا تاما** » .

وبهذه المناسبة ينبغى أن نعيد الى الأذهان أن الغرب ـ عندما رأى هذه الرذيلة الاسرائيلية تجتاح ربوعه ـ لم يسعه الا أن يصدر قوانين مشددة يحد بها هذا التيار المؤذى ، أبان فيهـا الفرق بين الفائدة المعتدلة التى أباحهـا ، والربا الفاحش الذى يعاقب عليه القـانون ،

ولكن الى مصر العصرية المسلمة يرجع الفضل فى أن تكون هى الدولة الحديثة الأولى التى قطعت دابر الفائدة من جمعياتها التعاونية ، فكان لها ـ بفضل توجيهات رئيس جمهوريتها الرشيدة ـ قصب السبق فى هذه الخطوات الموفقة التى لم ينته غرسها بعد من انتاج أشهى الثمرات ، والتى تبرز قيمة الاتساق والانسجام بين التعاليم القرآنية ، والمذاهب التعاونية البناءة ٠

ولما كانت الفرصة تتيح لنا من حين الى آخر أن نشاهد عن قرب ، الحياة فى الريف المصرى ، وأن نعرف ما فيها من أسرار ونتتبع ما يجرى هناك من لف ودوران وتحايل على الدين والقانون ، فاننا نستطيع الآن أن نتنفس الصعداء آملين أن انتصار التعاون سيقضى على هذا التلاعب القروى المريع ، وأيا ما كان ، فاننا نقرر منذ الآن فى نزاهة أن هذا الامتداد العملاقى للجمعيات التعاونية الزراعية ، قد خطا خطوات واسعة نحو التغيير النهائى لتلك الحياة القلقة المليئة بالهموم التى كان يعيش فيها القرويون فريسة لوحوش المرابين الذين لا يعرفون للرحمة أثرا ولا ظلا ، وتحويلها الى حياة عمل هادىء مفعم بالطمأنينة والسكينة ٠

غير أنه لا يفوتنا أن نلمع فى هذه الناحية الى زاوية شديدة الأهمية وان كنا سنشير اليها اشارة خاطفة ، لأنها ليست أساسية فى مقالنا هذا ، وهى أن نسجل هنا أن الربا الفاحش لم يختف من القرية المصرية تمام الاختفاء ، وأنه يتوارى خلف ستار ، سداه الكذب ، ولحمته النفاق ، وأنه يجب انتزاع نقاب المراءاة الذى يستر وجهه الكالح المريب ، لأن الذين يستعملون هذه الرذيلة الآن فى الريف المصرى ليسوا هم اليهود ، انما هم مصريون يزعمون أنهم مسلمون ، بل يسهمون فى بناء بيوت لله يستعيضون بها عما خربوه من بيوت ضحاياهم المساكين ٠ ومن الغريب أن هؤلاء المرابين القرويين من المسلمين قد وجدوا من الأجراء من يفتون لهم باباحة بيع الأسمدة الكيماوية بالأجل بثمن يتجاوز ستين فى المائة من السعر الرسمى المتداول : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » ٠

المعنى الإنسانى فى رسالة الإسلام

الدكتور أحمد كمال أبو المجد

فى تاريخ الحضارات والمذاهب الفكرية ألفاظ شائعة يستعملها مؤرخو هذه الحضارات كما يرددها أصحاب تلك المذاهب دون أن يكون لها عند كثير منهم معنى واضح أو مدلول موحد ومن هذه الألفاظ والمصطلحات وصف « الانسانية » ..

فقد انتسبت الى هذا الوصف أخلاط شتى من المذاهب والنظم ، حتى أوشك أن يفقد عند السامع والقارىء كل دلالة محددة مفهومة

فأصحاب المذهب الوجودى يصفون مذهبهم بأنه مذهب انسانى ، لا يرى غير وجود الانسان حقيقة فى هذا الكون .

وكتاب الماركسية وفلاسفتها يصورونها على أنها مذهب انسانى لا يعرف غير الانسان وحاضره .. ويأبى لذلك أن يشغل الناس عن حاضرهم وواقعهم بغيب مؤجل لا دليل على وجوده ..

وأصحاب الديمقراطية السياسية المعروفة فى الغرب يصفون ديمقراطيتهم بأنها مذهب ونظام ديمقراطى ، يجعل الانسان الفرد محور التنظيم السياسى وغايته ، ويعتبر ارادة الانسان الحرة أساسا لنشأة الجماعات السياسية المنظمة . كما يرى فى حقوق ذلك الانسان الفرد وحرياته حقيقة مطلقة تفرض وجودها على النظام السياسى كله ، وتقيد نشاط الهيئات الحاكمة على اختلافها.

ولما كان كثير من دعاة الاسلام وكتابه ومؤرخيه والعاملين له ، يصفون رسالة الاسلام ــ بحق ــ بأنها رسالة انسانية.. فقد رأينا أن نعرض بالتحديد والتفصيل لمعانى الانسانية ومظاهرها فى رسالة الاسلام ، **بعقيدته** وشريعته ونظامه الفكرى والأخلاقى.

وصف « الانسانية » فى رسالة الاسلام يشير الى معان ثلاثة جوهرية :

المعنى الأول : معنى الشمول و «العالمية» .. فليست رسالة الاسلام وقفا على شعب دون شعب أو أمة دون أمة .. وليست حضارته حضارة مغلقة كحضارة اليهود الذين أرادوا أن يستأثروا دون الناس برحمة الله وهدايته ، فقالوا : **« نحن أبناء الله وأحباؤه»** ثم تمنوا على الله الأمانى فقالوا ــ مع آخرين من أهل الكتاب : **« لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى »**

وانما جاءت دعوة الاسلام من أول يوم دعوة عالمية موجهة الى الناس « جميعا » ، وكان شعارها على لسان النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ قول القرآن الكريم : **« قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا »** . وهو شعار أعلنه القرآن الكريم فى عبارة قاطعة حيث يقول : « **وما أرسلناك الا كافة للناس** » كما التزمته آيات القرآن الكريم التى وجهت خطابها الى « **الناس جميعا** » .. معلنة أن الانسانية كلها هى المقصودة بهذه الرسالة والمرشحة لتلك الهداية ، يقول تعالى : **« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله »**

ويقول : **« هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »** .

ويقول : « **قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها** »

ومن مدلول « **الانسانية** » أو « **العالمية** » تفرعت معان أساسية تعد من أصول الفكر والنظام الاسلامى .. فرحمة الله وهدايته ليست وقفا على شعب دون شعب أو أمة دون أمة ، أو جنس دون جنس .. وانما هى حظ من أخلص النية وأتقن العمل . والله تعالى يقول : « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

وعن هذا المعنى أيضا تفرعت التسوية بين الناس والشعوب أبيضهم وأسودهم ،وعربهم وعجمهم ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثال ذرة شرا يره »

و « لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى » .

ومن هنا لم تظهر فى المجتمع الاسلامى ظاهرة التمييز العنصرى التى تقض اليوم مضاجع شعوب وأمم تملأ الدنيا صياحا بمبادئها ومذاهبها « الانسانية » ..

ورغم أن دعوة الاسلام قد نزلت فى أرض عربية ، بوحى عربى ، على نبى عربى .. فقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم على توكيد المساواة بين العرب وغيرهم ، واضعا معنى « الانسانية » فوق كل نوازع الشعوبية ، وعصبية الجنس ، فيقول صلى الله عليه وسلم فى سلمان – وهو فارسى – : « **سلمان منا أهل البيت** » .

ويقول موجها خطابه الى المسلمين العرب : « **اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى** » ..

والى جوار سلمان الفارسى كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقربين اليه بلال الحبشى .. وصهيب الرومى .. وكأنما شاءت ارادة الله تعالى أن يلعب أولئك الثلاثة فى تاريخ الدعوة الاسلامية ذلك الدور الجليل ليكونوا حجة قائمة لمن بعدهم ، على معنى الانسانية فى الاسلام .. وعلى أن الشعوبية والعنصرية لا يمكن أن تعيشا فى رحاب رسالة سماوية تجعل دعوتها وخطابها الى «بنى آدم» والى « الناس » .

المعنى الثانى : ان رسالة الاسلام «انسانية» بمعنى أنها لا ترى فى الانسان مجرد واحد من المخلوقات الكثيرة التى يزخر بها هذا الكون ،وانما ترى فيه محور هذا الكون ، وتعتبره مخلوقا مفضلا على سائر المخلوقات ..وتكرمه التكريم الذى يتناسب مع هذا التفضيل .. وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر » كما يصف « الانسان » بأنه خليفة الله فى أرضه ، والقائم بأحكام سننه ومشيئته بين خلقه ، يقول تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ..

ثم يباهى الله تعالى ملائكته بآدم جد هؤلاء الخلفاء فيقول : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم. قال يآدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

ويلحق بهذه المنزلة الرفيعة الى أصل الاسلام منها آدم وذريته .. انه ألزمهم من القول والفعل ما يرقى الى مدارج تلك المنزلة .. ويلاحق ذرى ذلك التشريف .. فحمله أمانة التبليغ عن مشيئته والعمل وفق سننه وشريعته .. وقال فى ذلك : « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان** » .

ومعنى هذا أن تكريم الاسلام للانسان ليس تكريم مولد ولا نسب .. وانما ترتبط فيه الكرامة بمقدار حمل الأمانة .. ويدور فيه الشرف مع البذل والجهاد ، وتلك سنة العدل فى شريعة الله : « **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** » .

وعن مكانة «الانسان» الرفيعة فى هذا الكون تتفرع سلسلة من الأحكام والتوجيهات

.. فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهى فى العقوبة والتأديب عن ضرب الوجوه .. تكريما لأصحابها .. وينهى الرجل وزوجه اذا خلا بعضهم الى بعض أن يتجردوا تجرد البعير .. وينهى الساجدين فى صلواتهم أن يتخذوا وضعا يصفه الحديث بأنه كامكاء الكلب ..

ومن آداب الاسلام التى سنها عمر – رضى الله عنه – قوله لولاته على المسلمين :

« ألا لا تضربوا وجوههم وأبشارهم .. ألا لا تجلدوا العرب فتذلوها » .

ومن ثمرات هذا الوضع الخاص الذى تحتله « الانسانية » فى بناء الكون كما يصوره ويحدده الاسلام .. أن الحضارة الاسلامية ترفض كل تفسير للكون لايقر هذه المكانة .. كما ترفض كل نظام يعامل « الانسان » على غير مقتضى ذلك التكريم . ولذلك لا يسع المسلمين اليوم أن يقبلوا أى تفسير يتجاهل القوى المبدعة فى الانسان .. ويصوره تابعا للقوى المادية التى تحكم العالم وتوجه نظامه .. وكيف يقبلون ذلك وهم يقرءون فى كتاب الله أنهم « خلفاء الله » وأن الله تعالى سوى جدهم الأكبر ونفخ فيه من روحه .. وخلقه فى أحسن تقويم .. وسخر له ولذريته ما فى الأرض جميعا منه .. وجعل لهم الأرض ذلولا ليمشوا فى مناكبها ويأكلوا من رزقه ..

كذلك يرفض الاسلام كل نظام يعامل « الانسان » على غير قاعدة التشريف والتكريم فيذله ويمتهن كرامته ويهدر أى معنى من معانى العزة فيه ..

المعنى الثالث : ان رسالة الاسلام انسانية بمعنى أنها فيما وضعته من أحكام وما قررته من أوامر وتكاليف قد راعت طبيعة « الانسان » المخاطب بتلك التكاليف .. وكيف لا .. وهى من صنع الله تعالى الذى خلق ذلك الانسان فهو يعلم سره وفحواه وصدق الله العظيم : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

فتكاليف الاسلام جميعا قائمة على ادراك كامل شامل لمدى ماتشتمل عليه كل نفس من نوازع الخير والشر ، وقوى الصعود والهبوط «ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » . لذلك لم تأت أحكام التشريع الاسلامى مفرطة فى القسوة باهظة فى عبئها على النفوس .. ولم تأت – مع ذلك – مسرفة فى تجاهل قوى الخير، وطاقات السمو فى تلك النفوس .. ولهذا لا يعرض عن تلك الشريعة الا من كان ممسوخ الفطرة أو جاهلا بحقيقة نفسه .. والله تعالى يقول : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »** .

واذا كانت بعض المذاهب والفلسفات تسرف فى المشقة على الناس وتعاملهم كأنهم ملائكة من النور ، وتزعم لذلك أن الجسم بمطالباته وحاجاته شر خالص ينبغى للمتدين أن يتخلص منه .. فان الاسلام قد رد الفطرة الانسانية الى مكانها السوى ، فجعل للروح حقا .. وللجسم حقا .. ودعا الناس الى الوفاء بحقوقهما جميعا .. فقال صلى الله عليه وسلم : **« ان لبدنك عليك حقا »**

وفى الحديث أن جماعة من الصحابة سألوا عائشة رضى الله عنها عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أنبأتهم بها كأنهم تقالوها (أى وجدوها قليلة) ، فقال أحدهم :

« أما أنا فأصلى ولا أنام »

وقال الآخر :

« وأما أنا فأصوم ولا أفطر » .

وقال الثالث :

« وأنا لا أقرب النساء »

فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم غاضبا وقال :

« أما والله انى لأتقاكم لله وأخشاكم له .. ولكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء .. هذه سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى »

وبهذا التوجيه الدقيق علم الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن الخير والعصمة فى الاعتدال ، وأن شريعة الله « انسانية » لا تصادم طبيعة الانسان ، وأن دين الله يبتعد عنه بالغلو والافراط ، كما يبتعد عنه بالتقصير والتفريط .

وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا

الدكتور
محمد وصفى

قال تعالى : ٠٠ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** (٤٨:٢٥) وماذكر الله طهارة الماء فى هذا الموضع الا ليذكرنا بوجوب المحافظة على هذه الطهارة خاصة فى الماء الذى نشرب منه ،والذى ننظف به أجسامنا وملابسنا حتى لانعرض أنفسنا لمختلف العلل والأمراض التى تؤدى الى الضعف والهلاك

لو نشاء جعلناه أجاجا

وأول مايلفت النظر فى الآية الكريمة ، هو ماتشير اليه من نزول الماءمن السماء بعدصعوده اليها على صورة بخار حادث حسب ماسنه الله من خاصة التبخر فيخلص مما قد يكون مذابا فيه من قبل من أملاح معدنية تجعله غير سائغ للشاربين ، ولهذا يقول جل شأنه : **أفرأيتم الماء الذى تشربون ٠ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون** (٥٦:٦٨ـ٧٠)

أنهار من ماء غير آسن

ومما يؤيدقولنا ان اللهتعالى انما عنىطهارة ماء الشرب مأشار اليه فى قوله : **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن** (٤٧:١٥) فالماء الآسن الراكد أشد تعرضا للتلوث بشتى الجراثيم ، ومختلف الطفيليات ويعد كذلك مستودعا غنيا بالمواد العضوية وغيرها من المواد التى تساعد على انتشار العدوى ، وبيئة صالحة لحياة الجراثيمونموها وتكاثرها ، فما جاء فى قوله تعالى من وصف ماء الجنة ، يلفت أنظارنا الى وجوب الحذر من الماء الآجن المتغير الطعم واللون ، وتجنبه ومحاولة دراسة الأسباب التى تجعل هذا الماء غير صالح للشرب ، وغيرصالح للاستعمال للنظافة على وجه عام

ويعد ماء السماء أنقى أنواع المياه الطبيعية ووصفه فى الآية الكريمة بالطهارة ، ووصفه بعد جريانه فى الانهار بعدم الأجونة ، يبين حقيقة من الحقائق العلمية التى عكف على دراستها علماء الصحة العامة وغيرهم بعد

الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين فهذا من القرآن تصوير لحقيقة ذاته التى تنزلت على الرسول الأمين وانما سوغنا فى هذا الموضع صحة الاحتجاج بالقرآن للقرآن وهو أمر قد يبدو ـ لأول وهلة غريبا ـ اذ فيه جعل الشىء شاهدا لنفسه ، وهى شهادة لا تصح : نقول انما سوغنا ذلك ، استنادا لعمل المعجزة التى أثبتت أن هذا القرآن كلام الله ، فلما ثبت هذا المعنى على جهة القطع بالمعجزة الظاهرة ، وهو ثبوت عقلى ـ كان حديث القرآن عن ذات نفسه بأنه وحى يوحى ، شهادة من العقل له بذلك . فتمت الحجة ، وابتعد عن بعض الأذهان ماكان يحتمل أن يخايلها من ظل الشبهة .

فالقرآن اذن بتصوره وحيا ـ انما هو وحى من قبل السماء وليس للفواعل الأرضية من البيئة ، أو الزمان ، أو المكان أثر فى تكوينه أو صنع مادته ، نعم فى القرآن تصوير للبيئة والمكان ، والظروف التى قارنت دعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن ذلك لم يكن انعكاسا لانطباعات البيئة . كما يحاول أن يقول ذلك « جب » المستشرق ، ولكنه كان ضرورة متعينة من ضرورات الخطاب مع من يسكنون تلك الأرض ، ويعيشون فى تلك الظروف مادية كانت ، أو فكرية ، اذ يستحيل فى نظر العقل أن يتخاطب الوحى مع قوم لهم ظروفهم ، وأرضهم ، وتقاليدهم ، فلا يرد فى هذا الخطاب ذكر لأحوال المخاطبين ، وصور من حياتهم وسيطالعك بعد جمل مزيد ايضاح لهذا المعنى .

أما الذين كانوا يرون القرآن نقلا من كلام الأولين فهؤلاء لم نأخذ قولهم بمزيد عناية فى هذا البحث : وقد ذكرهم القرآن ورد عليهم مقالتهم هذه ، قال تعالى « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ثم قال فى الرد عليهم : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما »

ومدار الحجة فى هذا الرد الموجز ، أن هذا القرآن العظيم تتضمن آياته من الاعراب عن أسرار الخلق والأمر فى السموات والأرض ، والكشف عن حقائق الفطرة فى الانسان والأكوان ، مالا يحتمل أن تحوم عليه من أقصى أبعاده عقول البشر ، ولا أن تخطو الى مشارفه أوهامهم ، فيما تحتمله معارفهم فضلا عن أساطيرهم ، فذلك مالا يستقل بعلمه الا فاطر السموات والأرض ،الذى أودع فيهما أسرارهما وغرض القرآن من اختيار هذه الحجة بالذات : انما هو توجيه الأنظار الى طلب المقارنة بين حقيقة القرآن وحقيقة الأساطير التى يناظر بها المشركون معانى القرآن ويرتكبون على طريقها ، الكذب ، والجدال ، فيؤول ذلك من صنيعه الى تحكيم الواقع المعاين ، والمدرك المحسوس .

ثم نعود الى الأصل المقصود من كلامنا ، وهو النظر الى القرآن من حيث هو « وحى » : وقد أسلفنا لك القول أن الجزم بكون القرآن وحيا سماويا ـ واقع علمى مضت عليه القرون من أهل العلم : لكن ظهر فى هذه الأعصر الأخيرة جماعة المستشرقين ، من أمثال « **نولدكه** » صاحب « **تاريخ القرآن** » و « **جولد زيهر** » صاحب « **مذاهب المفسرين** » وغيرهما برأى له خطورته الأشد فاعلية . عن الوحى المحمدى ـ القرآن ـ اذ كانت خاصة الوحى عندهم أنه وعى لحقيقة فى نفس انسان يحس صاحبها أنها آتية اليه من لدن غيره .

ثم استغلوا اكتشاف « **فرويد** » عن وجود العقل الباطن ـ وان لم يسلم هذا الاكتشاف من توجيه الاعتراضات عليه ، فزعموا فى تعريف الوحى بأنه طائفة من الأفكار الدينية تختمر فى العقل الباطن عند المستعدين لذلك ثم ترتد الى وعيهم مرة أخرى على جناح التخيل المسلط بأنها هابطة من قبل الله ، وقد راج هذا القول رواجا كثيرا فى دوائر المستشرقين وأصحاب الفلسفة المادية على الاطلاق ، ووصلت عدواه الى كثير من المثقفين ثقافة ناقصة عندنا ، فخدعوا فيه وناقشوا به :

وسكت عن الرد عليهم علماء العصر عندنا فلم أر من بينهم من وضع ردا حاسما على هذه الشبهة الغليظة ماعدا المغفور له الأستاذ الشيخ رشيد رضا – فى كتابه القيم « الوحى المحمدى » فقد طوف حول الهدف وبذل ما استطاع ، رحمه الله ٠

ونحن قائلون هنا – باذن الله – فى اسقاط هذه الشبهة قولا فصلا ٠

وأول ذلك أن نسأل أصحاب هذا الرأى . هل الأفكار التى تثب الى العقل الباطن لدى مدعى النبوة لتختمر هناك وتتفاعل أفكار بشرية أم أفكار الهية ؟

ومن المستحيل أن يزعموا أنها أفكار الهية، فتعين عليهم أن يقولوا أنها أفكار بشرية ٠

ثم نسألهم مرة ثانية – وهذه الأفكار البشرية التى تختمر فى العقل الباطن حين تختمر – هل تتحول بهذا الاختمار وحده الى أفكار الهية ، وصياغة الهية ؟ ثم تفيض على ذات النبى ، كذلك ؟

محال أن يقال ان عملية اختمار الفكر البشرى تحوله فكرا الهيا ٠

أولا : لانعدام السبب الفاعل الذى يؤدى الى هذا التحول النوعى العجيب ٠

وثانيا : لأن كمون الفكر فى أى صورة من الصور لا يقتضى بذاته نقله من طبيعته البشرية الى طبيعة الهية ، وبين الجهتين تضاد معلوم ٠

وثالثا : لأن عملية الاختمار المزعومة انما كانت فى وعاء بشرى محض ، وهو عقل الانسان – فهى محدودة به ، وبهذه الحدود المغلقة – حيث توجد أفكار بشرية ، فى وعاء بشرى مغلق – يتعين بقاء هذه الأفكار على بشريتها ٠

واذن : فقد استحال على تلك الأفكار المختمرة اذا فاضت على وعى مدعى النبوة ، ولسانه الا أن تكون أفكارا بشرية ، وصياغات بشرية – كما دخلت الى العقل بمادتها البشرية، وطبيعتها البشرية ٠

فاذا حدث النقيض تماما – ورأينا الذى يفيض على قلب صاحب النبوة ، ولسانه أفكارا الهية وصياغات الهية بدلالة ثبوت اعجاز القرآن للبشر ، وانقطاع معارضيه عن الاتيان بمثله ، واستمرار هذا الاعجاز الى اليوم ، فقد استحال فى العقل أن يكون مصدر هذا الفيض المعجز مصدرا بشريا واستحال تبعا لذلك أن يكون هذا الوحى وحيا ذاتيا ، نابعا من مختمرات العقل الباطن – كمايزعمون – وتعين أن يكون وحيا الهيا متلقى من حكيم حميد : يوضحه ، أن القرآن لو كان مصدره بشريا نابعا من مكنونات العقل الباطن لماعجز البشر عن الاتيان بمثله ولما استمر عجزهم على سائر القرون حتى اليوم ، فحيث عجز البشر عن الاتيان بمثل هذا الوحى – القرآن – مع توالى العصور وقيام التحدى – فقد حصل الجزم بأن حقيقة هذا الوحى ، فوق المادة وعللها ، وفوق ذات النبى نفسه – اذ يستحيل أن يكون مدعى النبوة بشرا من جنس البشر ، ثم يفيض عليه من مختمرات عقله الباطن وتفاعلاته مايعجز البشر كلهم عن الاتيان بشىء من جنسه ٠

وسبب الاستحالة بالمعنى الفنى الدقيق – على طريقة « المتكلمين » أن مثل هذا التخيل لو افترضنا حصوله يؤول الى التسليم بامكان جعل الشىء غير نفسه : فيكون مدعى النبوة من حيث هو بشر لا يقول كلاما الهيا ، لكنه من حيث يقول كلاما الهيا لا يكون بشرا ، اذا نظرنا الى المصدر حكمنا عليه بأنه بشر واذا نظرنا الى الأثر امتنع الحكم عليه بالبشرية: فكانت صورة الوضع فى هذا التخيل أنه بشر غير بشر فى وقت واحد : وهو ماترفضه بداهات العقول ٠

وقد أوضح القرآن بطلان هذه الشبهة بطريق آخر فقال : « **ولو تقول علينا بعض**

الاقاويل لأخـــذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين »

وهذه حجة نقلية فى صياغتها عقلية فى حقيقتها : تحكى الآية عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه لو اخترع على الله شيئا من عنده لأهلكه الله بأبشـــع صور الاهلاك ، كالشخص الذى يؤخذ بيمينه عنفا ومغالبة - ثم يقطع منه الوتين - وهو عرق فى صـفحة العنق يؤدى قطعه الى موت صاحبه ، وانما آثر القرآن الاعراب عن مراده بهذه الصورة التى يرى الانسان ويسمع فيها صوت الدم ، وهو يشخب من عنق مذبوح ، قد لويت ذراعـه بقوة غالبة ، لبيان موضع المعاجلة ، والقسوة والغضب ، الذى يأخذ الله به نبيه ، لو تقول عليه زورا أو كذبا ، سواء فى ذلك أن يكون النبى قد تقول على الله عامدا أو لم يكن متعمدا للتقول بأن دخل عليه الوهم أو التخيل فيما يحكيه عن الله ، لأن مراد الآية الحقيقى • نفى صدور شىء عن النبى - صلى الله عليه وسلم - حكاية عن الله الا كان مطابقا تمام المطابقة لوحى الله اليه ، لكن جانب التهديد ينصب على حالة العمد كما هو ظاهر : ولأنه جاء ردا على الذين يزعمون أن النبى - صلى الله عليه وسلم - يفترى القرآن من عنده ، فى مثـل ما حكى القـــرآن عنهـم بقوله « **أم يقـولون افتراه** »

والمدار العقلى لهذه الحجة النقلية هى أن الله لا يقر مرسلا على الكذب عليه ، أو التخيـــل عنه - اذ هما فى النتيجة سواء - فيكون هذا الاقرار تصديقا لهم فيمـا يكذبون به عليه أو يتخيلونه عنه وتصديق الكاذب كذب ، والكذب على الله محال •

ثم ان وظيفة المرسـلين ، وأساس ظهورهم فى الناس ارادة اصلاح العالم ، وتخليصـه من الفساد ، فاقـرارهم - على أن يذيعوا فى الخلق ، من القول والنـظام - غير مايوحى اليهـم - مما يتـأكد فيـه الخلـط ، والجهـل ، والهـوى ، نشر للفسـاد فى الأرض وتحكيم لغير الله فى شئون خلقه ، ونقض لوظيفة الرسالة ، وذلك كله محال على الله - أيضا - مناقض لحكمته ، مناف لكمال صفته •

ثم اعلم - أصلحك الله - أن جميع ماقلنا فى محيط هذه المسألة من الدليل صحيح ثابت يتعين تسليمه على أساسين لابد من سـبق التسليم بهما ، والا لكان الذى أسلفنا لك من المناقشة والاستدلال عملا غير مسلم •

أولهما : الايمان بوجود الله

ثانيهما : التصديق بجواز ارسال الرسـل عليه •

فمناقشتنا السالفة انما كانت مع من يسلم هذين الأصلين

أما من ينكرهمـا من الطبائعيين والمعطلة فمناقشتنا لاتلزمهم وانما يلزمهم انكار الوحى عند سائر الأنبياء لا خصوص الوحى المحمدى بالذات ، ولسنا بسبيل العود الى اثبات هذين على منكريهما فان ذلك يجرنا الى تسلسل فى الاستدلال ، هيهات أن يعود بنا ثانيـة الى موضوعنا فلذلك موضع آخر •

فان كان أولئك المستشرقون من المعطلين الماديين الذين يقفون عند حدود عالم الشهادة، وينكرون عالم الغيب ، ويزعمـون أن الالـه والروح ، والملك ، وأشـباهها من خـرافة « المتافيزيقا » فقد بطـل الـكلام معهـم ، وأصبحت خصومتهم مع أهـل الأديان جميعا ليس مع الاسلام وحده - ويبطل تبعـا لذلك قيمة اعتراضهم على اثبات الوحى والرسـالة اذ أنه يكون حينئذ اعتراضا ممن ينكر الأديان جملة ، وهو أمر لم يصح ، ولن يصح ، والى أن يصح وهيهات اليوم أو غدا ، يصح لهم فى ضوء المنطق السليم والجدل الفنى - أن ينتقلوا فى الانـكار والنفى الى توابعـه ولوازمه من صحة الوحى والرسالة وغيرها •

فأما الذين يسلمون بهذين الأصلين، من سائر العقلاء وأهـل الديانات السماوية فما سقناه من الدليل لازم عليهـم وينير الطـريق أمام عقولهم - وهذا هو الذى قصدنا اليه •

ممالك إسلامية قديمة

مالى

بقلم

الأستاذ عبده بدوى

حين كانت دولة المرابطين قد أخـذت فى التفكك ، وأخـذ بريقها فى الانطفاء شيئا فشيئا ، نرى أن مملكة صوصو فى « كانياجا » تنتهز هذه الفرصة ، وتعمـل على تقوية نفسها ، حتى لنراها تضع يدها على جـزء كبير من أمبراطورية « غانة » فى عام ١٢٠٣ ، مما اضطر المسلمين هناك الى الرحيل عـن « غانة » ، وانشاء مركز تجارى لهم فى مدينة « ولاته » ، وقد بلغت هذه الدولة قمـة ازدهارهـا فى عهـد الملك « سمنجور » عام ١٢٠٧ .

ولما كانت الوثنية هى المسيطرة على هذه الدولة ، فانا نراها تقف دون المد الاسلامى اليها ، وكما وقفت « غانة » من قبل فى وجه المرابطين ، دون التقدم فى الجنوب الافريقى ، فانا نرى هذه الدولة كذلك تجمد الأوضـاع السابقة بالنسبة للتقدم الاسلامى ، وقد كان معنى هذا انتصار الوثنية فى هذه المنطقة .

على أن هذا لم يدم طويلا ، فقد ظهـرت قوة جديدة فى الجنوب من مملكة « كانياجا » هى قـوة الماندنجـو فى « كانجابا » الذين كانوا قد دخلوا الاسـلام فى أوائل القرن الثالث عشر ، والماندنجو هؤلاء هم ما يسمون بلغة البربر « مليت » ، وباللغة الحوصـية « وانجارا » ، وباللغة العربية « مليل » ، كما كان يسميهـم المصريون « التكرور » ، أما اللغة الفلانية فقد أطلقت عليهم اسم « مالى » ، ومن هذا الاسم عرف العالم الخارجى هـذه البلاد ، التى تزدهر الآن فى غرب افريقيـة على يد « المؤدب كيتا » .

وقد أكدت هذه المملكة نفسها حين تولى الملك سانديانا شئونهـا فى عام (٦٢٨ هـ — ١٢٣٠ م) فقد تفوق حربيـا على جيرانه ، واستطاع بفضل هذا التفوق أن يقضى على الملك « سومنجورو » ملك « كانياجـا » ، وبسقوط هذا الملك أصبحت « مالى » هى القوة الحقيقية فى غرب افريقية .

على أنا لا نرى « مالى » تقف عند حد الاستيلاء على مملكة « كانياجا » ، والبلاد التى وضعت عليها كانياجا يدها من غانة ، لأنا نراها تسرع فتسترد ما لم تضع عليه هذه المملكة يدها من غانة ، كما نراها تستولى بعد ذلك على كوكو ، وعلى التكرور ، وعلى أرض الوانجارا ، وعلى بامبول ، وعلى بندو ، وعلى ولاته ، وتمبكتو ، وجوا .

وبضم هذه الأجزاء اليها نراها تصبح أقوى مركز اقتصادى فى غرب افريقية ، فقد أصبحت تتحكم فى تجارة المنطقة ، وتضع يدها على مناجم الذهب التى كانت تفص بها وانجارا ، وبهذا تكون هذه المملكة قد توفرت لها مقومات الملك ، وأصبحت مستقرة اقتصاديا .

على أنها لا تكتفى بهذا ، وانما نراها تبحث عن نظرية تتصرف من خلالها ، وتحدد أهدافها فى ضوئها ، فقد كانت انتصاراتها السابقة يغلب عليها الطابع الحربى المتفوق ، أما الآن فهى تريد أن تحتمى ، وتتعمق حياتها فى خلال فكر جديد .

ولم يطل بحث الناس طويلا ، لأنهم سرعان ما اتخذوا الاسلام هدفا ، يعملون على أن يأخذوا أنفسهم بسلوكه ، ويتصرفوا من داخل تعاليمه ، فمع أن هذا الاسلام قد بدأ يدخل حياتهم فى أوائل القرن الثالث عشر ، الا أنهم لا يكتفون الآن بالمظهر الخارجى للاسلام ، وانما يريدونه القوة الروحية التى تحرك وجودهم ، والتى لا ينبغى أن يحيطوها بحيث تختفى على الآخرين ، لأنهم يريدون لها فى الواقع أن تمس قلوب جيرانهم فتزدهر كما ازدهر كل شىء فى بلادهم باسم هذا الدين الجديد الوافد عليهم .

وسرعان ما يضعون أنفسهم فى خدمة هذا الاسلام وفهمه وتعمقه ، وقد تم هذا بصورة تكاد تكون حاسمة فى عصر «منساعلا» الذى تولى الملك بعد موت أبيه سنديانا عام (٦٥٣ هـ — ١٢٥٥ م) ثم فى عهد سبعة ملوك تراوحوا حكم البلاد من بعده .

وقد ربط هؤلاء الملوك أنفسهم بالبلاد الاسلامية الأخرى ، وكانت مواسم الحج تشبه « بعثات » لهؤلاء الملوك ، يطلعون فيها على الجديد من أساليب الحكم والحياة فى البلاد الاسلامية ، ثم يعودون فيطبقونها فى بلادهم بحب وحماس .

وقد كانت مصر ترحب بهؤلاء الملوك ، فقد كانوا يتبادلون الرسائل مع حكامها ، ويعرضون فيها أشياء كثيرة من أساليب الحياة فى بلادهم ، وما كان أسعد « الظاهر بيبرس » حين تلقى فى القاهرة رسالة تفيد أن موكب « منساعلا » سيصل الى القاهرة فى موسم الحج ، وقد احتشدت القاهرة فى هذه الفترة لرؤية هذا الموكب الذى لم يكن لها به عهد من قبل هؤلاء الملوك الافريقيين لروعته وكثرة الناس به ، وقد رحب «الظاهر بيبرس» بمنساعلا اجمل ترحيب ، واستقبله بما يليق به ، وانزله فى قصره معززا مكرما .

أما الموكب الذى أطنب فى ذكره المؤرخون ، فهو هذا الموكب الذى قدم فيه « منساموسى » فى عهد « الناصر محمد » ، فقد تبادل فيه الحاكمان الهدايا ، وعقدا معا ما يمكن تسميته بمعاهدة ثقافية بين البلدين .

على أن الصلات لم تقف عند حد هذا اللقاء السريع الذى يتم فى طريق أهل مالى الى مكة ، لأنا نرى الرسائل تتبادل معهما قبل الحج وبعده ، ثم انهذا التبادل كان لا يقف عند حد التبادل السياسى بين الحاكمين ، وانما نراه عميقا وواعيا بين علماء هذا العصر ، مثل هذا التبادل الذى كان بين جلال الدين السيوطى فى مصر ، وشمس الدين بن محمد ابن المتولى فى مالى بصفة خاصة ، وبين علماء القاهرة وعلماء تمبكتو بصفة عامة .

وفى الوقت نفسه لم تنس « مالى » الاتصال ببلاد الحجاز والعراق والشام وبلاد المغرب ، ولعل هذا ما جدد لها شبابها ، وجعلها على وعى بنبض الحياة فى الدول الاسلامية ، ومحاولة الانتفاع بما يلائم ظروفها مما عند هذه الدول .

والصورة التى رسمها المؤرخون المسلمون تعتبر وثيقة شرف لهذه المملكة ، فالعمرى يذكر أن « منساموس » قد نزل أرض مصر فى عدد وفير من أهالى مالى يقدرون بالآلاف ،

وانه كان يمشى محروسا بخمسة رجال يحملون أسلحة من الذهب الخالص ، وأنه كان يحمل نفقات رحلته بما يقدر بثمانين حمل جمل من الذهب الخالص .

ثم يضيف ابن بطوطة جديدا الى هذه المملكة حين يصف قصر السلطان المغشى بصفائح الذهب والفضة ، ومظاهر الاحتفاء بمقدمه ، وبخاصة فى أيام الأعياد ، ثم يقدم لنا الشعب فيذكر أن العدل والامانة يسودان كل أفراده ، وأن الأمن مستتب فى كافة أجزاء المملكة ، وانه مولع بالرقص والموسيقى ، وان البلاد مليئة بالمكتبات الزاخرة ، ومضيئة بالعلماء الذين يلاقون التكريم فى كل مكان حلوا به ،وان من ولعهم بالقرآن الكريم ان من يقصر من الصغار فى حفظه ، يقيد بالحديد ، ولن ترفع عنه هذه القيود الا اذا أضاء القرآن نفسه وجرى على لسانه !.

أما القلقشندى فى صبح الأعشى ، فيذكر أن السحر منتشر فى البلاد ، وانه يكثر بها مرض النوم ، وأن الزى السائد هناك يشبه زى المغاربة ، وأنهم يتعاملون بالودع ، ويتقايضون على السلع بالذهب ، وأن عساكر السلطان يبلغون مائة الف رجل ، يلبس الفرسان منهم أساور من ذهب ، فاذا رقوا لبسوا أطواقا من الذهب ، فاذا ارتفعت رتبتهم ارتدوا ملابس فضفاضة ، منتشرة من أسفل ، وأكمامها ضيقة .

تلك هى اللمسات التى أضافها هؤلاء الرحالة الى هذه المملكة التى كانت تضىء بالاسلام فى غرب القارة الافريقية ، والتى ظلت فترة كبيرة تحمل عبء توصيل الاسلام الى البلاد المجاورة أو التى ضمتها الى مملكتها .

ولكن حماس الناس هناك فتر بعد عهد « منساموسى » ، فقد رغبوا فى الراحة ، وعدم اقتحام المخاطر من أجل دفع الاسلام الى خارج مملكتهم ، ثم قام بينهم الخلاف على الملك ، على أن الشىء الحقيقى لتدهور هذه الدولة أنه لم يعد لها « هدف » محدد تسعى اليه ، وتتحرك باسمه ،وتحافظ على البلاد باسمه ، ومن هنا كان لا بد لهذه الدولة أن تتصدع من الداخل، وأن يتخاطفها الجيران، ثم تستحيل الى امارات صغيرة متناحرة .

وقد بلغ بهم الضعف حدا جعلهم يستعينون بالبرتغاليين على اخوان لهم فى القرن السادس عشر ، وكان لا بد لهذه المملكة من أن تتعرى من أقاليمها الخمس ، ثم تستحيل فى القرن السابع عشر الى امارة صغيرة فى كانجابا .

لقد تحركت من كانجابا باسم فكرة وتحت شعار هدف – مهما كان هذا الهدف وهذا الشعار غائما فى أول الأمر – وها هى تعود ثانية الى « كانجابا » حينما لم تعد لها فكرة ولم يصبح لها هدف، بعد أن كانت امبراطورية كبيرة وصفها ابن خرداذبة فى ممالك الأبصار بأن طولها كان اربعة أشهر ، وأن عرضها كان أربعة أشهر ، ولعل ما يعزينا عن ضعفها فى الماضى أنها تأخذ الآن دورا ثوريا قياديا فى غرب القارة الافريقية بعد أن تعدلت حدودها فى العصر الحديث

يا طويل العمر..!

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

• الاشتراكية هى السبب الحقيقى لرد الكسوة ..

• لماذا لم يتمزق قماش الكسوة أو يتغير الا الآن

• الكعبة ليست ملكا شخصيا لأحد .. انها لجميع المسلمين ..

• أستار الحرم شىء يختلف عن أستار الحريم

• رئيس مصلحة الكسوة يدحض افتراءات البيان السعودى ..

وسارت كالعروس تقطع البحر فى خيلاء وزهو .. ربما كان ذلك لأنها تحس بأنها تحمل على ظهرها أثمن كنز على ظهر الوجود . الكسوة الجديدة للكعبة الشريفة .. هدية من شعب مسلم الى كعبة المسلمين .

وفجأة .. فى الصباح الباكر من يوم الأربعاء ٥ من ذى الحجة سنة ١٣٨١ ، الموافق ١٠ من مايو سنة ١٩٦٢ .. تتحول العروس الوادعة الى بركان من الهتافات المدوية .. كأنما قذفت به أمواج البحر الثائر فى وجه أعداء الله ..

وفى الساعة الثانية من مساء نفس اليوم ، تغادر السفينة «مكة» ميناء جدة عائدة الى أرض الوطن بالكسوة وبمن عليها من جميع الحجاج .

ومن عرض البحر .. عرفت القاهرة كل شئ حينما تلقى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف برقية من الأستاذ محمد توفيق عويضة ، رئيس بعثة الحج هذا نصها :

« رفضت السلطات السعودية السماح بنزول الكسوة وامتلأ الميناء بالضباط والجنود الذين يرددون الهتافات العدائية .. ثار الحجاج ورفضوا النزول الا بالكسوة .. صدرت التعليمات من مدير الميناء الى ربان الباخرة بالتحرك فورا والا أطلقوا النيران .. اضطررنا للعودة .. ستصل الباخرة ميناء السويس الساعة الخامسة مساء الجمعة ، ان شاء الله » .

وفى مساء الجمعة ١١ من مارس سنة ١٩٦٢ .. تصل الباخرة « مكة » الى ميناء السويس عائدة بسلامة الله .. بنفس الزهو والخيلاء .. معلقة أستار الكسوة فى مقدمتها .. يعوضها عما قوبلت به فى ميناء جدة ، ما استقبلت به من آلاف المواطنين الذين كانوا فى غمرة حفاوتهم القلبية يضرعون لرب البيت ان يحمى البيت من العداة والطغاة المستبدين .

وكان قد جاء فى بلاغ للسلطات السعودية بهذه المناسبة أن الحكومة قد رأت أن تعتذر عن عدم استلام كسوة الكعبة الشريفة التى صنعت بمصر ، لأن الكسوة التى أهديت الى الكعبة فى العام الماضى كانت من قماش سريع التمزق كما أن لونه يتغير ، ولهذا السبب فقد أمر جلالة الملك بعمل كسوة تليق بمقام الكعبة المشرفة ، وتهدى من جلالته لبيت الله الحرام .

ويرد مدير مصلحة الكسوة على هذا الادعاء بأن أحدا لا يتصور مقدار العناية التى تتم بها صناعة الكسوة الشريفة .. ان المصلحة قد أضافت الكثير من فنون العلم الحديث من أبحاث ودراسات فى صنعها .

ان لجنة كبيرة من خبراء ومهندسين ، وأساتذة فى علم النسيج ، هى التى تضع المواصفات الكاملة لأثواب حرير الكمخ التى تستخدم فى صنع أستار الكعبة .. وهذه المواصفات تتكون من ١٢ بندا يراعى تنفيذها جميعا .

وحتى طريقة النسج يشرف عليها فنيون من وزارة الصناعة ، فاذا ما حدث أدنى مخالفة فى عملية النسيج يقوم مندوب الوزارة بالاعتراض عليها ويطلب تصحيحها فى الحال .

ويأتى دور العلم فى الاشراف على صنع الكسوة .. فمعمل كلية العلوم يقوم كل عام بتحليل صباغة النسيج للتأكد من أن كل شئ سليم ومطابق للمواصفات .

وأكثر من هذا تقوم المصلحة بتعليق قطعة من القماش الذى تصنع منه الكسوة فوق سطحها تلفحه الشمس ويسقط عليه المطر .. ولم يحدث مرة واحدة رغم هذا أن تغير لون هذه القطعة من القماش .

ويقول مدير المصلحة ان الكسوة التى ردها سعود أنفقت عليها الجمهورية العربية ٤٠ ألف جنيه أمضى فى صنعها عمال المصلحة عشرة شهور كاملة .. **وبلغت قطعها هذا العام ٧٨٥ مترا من قماش الكمخ وهى مبطنة بالأطلس والحرير ومزركشة بـ ١٢٩٥٩ مثقالا**

من الفضة الخالصة والذهب البندقى ، ولها ٨ أحزمة و ٤ كروشيهات ، وتضم ستارة البيت الحـرام وبرقع المنبر وستارة باب التـوبة الموصل من داخل الكعبة الى سطحها ، وكيس من الحرير المنقوش يحفظ فيه مفتـاح باب الكعبة الشرقية .

كما تضم ١٢ شرابة ، ١٢ شمسية ، ٤١ حبلا من القطن لتثبيتها على أركان الكعبـة ، وأقتين من الحرير لاصـلاح ما قد يتلف منها طول العام .

وقد وضعت جميعها فى ٥ صناديق ومعها قدران من النحاس بها ماء ورد زنته ١٠٠ رطل لغسل الكعبة .

وبعد .. يا طويل العمر ..

فلماذا لم يتمزق قمـاش الكسوة أو يتغير لونه فى الأعوام السابقة ؟..

ولماذا لم تعلن هذه الأسباب الا هذا العـام فقط ؟

الحق يقال ..

ان الحديث عن القماش القـابل للتمزق وتغير اللون تعلة لا يصدقها واحد فى العـالم الاسلامى كله ..

يا طويل العمر ..

ان الرسول — صلوات الله عليه — لم يرفض الهدية .. فما بالك بما يهدى لذات الله !

والكعبة والحرم النبوى ليسا ملكا شخصيا لك حتى تمنع ما يهدى اليهما .. ان مكانتهما أقدس لدى المسلمين جميعا مما يسـتطيع ادراكك أن يصل اليه .

نحن لا يضيرنا أن ترجع الكسـوة ، ولن نعتبر رجوعها اهانة لنا ، وانما الذى سيشغل بال العالم الاسلامى أجمـع هو أن القتلة والخونة لا يعرفون دينا ولا يرعون حرمة .. وما ذلك عليهم بعزيز .

ان ردك للكسوة ليس سببه القماش — كما قلت — ومطلوب منـك وأنت « حامى حمى الحرمين » أن تقول صدقا تواجه به العـالم الاسلامى كله .

كن صادقا أمام المسـلمين وقل السبب الحقيقى ..

قل لهم انك غاضب وغير راض عن سياسة الجمهورية العربية المتحدة لأخذها بالمبـادىء الاشتراكية ، لأن فى ذلك خطرا يهز ملكك من القاعدة هزا عنيفا .

هذا هو السبب الحقيقى ..

نحن على يقين من أنك لا تعرف شيئا عن الاشتراكية التى تهاجمها ليل نهار ..

انها اقرار للمساواة ، ورفع الظلم الاجتماعى والمحافظة على الكرامة الانسانية ..

ونحن حين نطبق الاشتراكية ، لا نهدف الى الاساءة لأحد ، وانما نهدف لتحقيـق الرخاء ، ونشر العدل الاجتماعى ..

اننا ماضون فى طريقنا ..

أما أنت ..

فلن تستطيع أن توقف عجلة التاريخ ..

ويقول بيانك ..

انك ستهدى كسوة تليق بالحرم الشريف .

ونحن على يقين من أن الله لا يقبل أن تكسى الكعبة الشريفة بمال نهبه الملك من حق الشعب المغلوب .. لكن يوما قريبـا — باذن الله — ينتظر الملك الغالب ، لينتصر الشعب المغلوب .

أبو الجزيرة سـل عنـه ثمانية من الملايين ، لم يكسوا ولا انتعلوا سل الجزيرة .. هل جاعت وهل ظمئت الا ليغرق فى لذاته رجـل ..؟

يا طويل العمر ..

ان أستار الحرم الشريف .. شىء يختلف تماما عن أستار الحريم ..

وختـاما ..

يكفى أن يكون ما أقدمت عليه صدا عن بيت الله الحرام ..

فالى اليوم القريب ان شاء الله .

السخاء والأسخياء في نظر الإسلام

الأستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى

« قال بعض الحكماء : اذا مد الناس أيديهم بالجدى ، وبسطوها بالجود والندى ، فقد غرسوا فى القلوب غراس الود ، وجنوا منها ثمار الوفاء .. »

أيها القارئ الكريم :

السخاء هو مصدر العطاء الذى ينحدر من الأيدى تحدر الغيث فى مجراه ، ويتقاطر منها تقاطر الورق فى الأرض الجدباء .

فاذا أنبت الماء كل زوج بهيج ، وأخرج كل ثمر نضيج ، فان السخاء ينبت فى كل قلب محبة وصفاء ، ويملأ كل نفس مودة واخاء .

ولقد كان المسلمون الأولون يسيرون على هذا النهج الكريم فى معاملة ذوى الحاجات ، واسعاف أهل الفاقة ، واغاثة أصحاب المسغبة .

كان الغنى منهم يرسل للمعوز فضل ماله ، ويوجه اليه العفو من ملكه ، وهو طيب النفس بما فعل ، قرير العين بما بذل، منشرح الصدر بما أدى ، وكان بذلك يملك قلبه ، ويأسر نفسه ، ويكتسب وده .

ويرحم الله القائل :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهمو
فطالما استعبد الانسان احسان

وقد فرض الله الزكاة على الأغنياء ، لهذه الحكمة السامية وغيرها .. فهى مع كونها تخفف بؤس البائس ، تملك قلب العانى ، وتصون منه عرض الباذل ، وتدفع حسد الحاسد ، وترد شرور البغاة .

ويرحم الله القائل :

أصون عرضى بمالى لا أضيعه
لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال ان أودى فأجمعه
ولست للعرض ان أودى بمحتال

ولا يظن السخى الباذل أنه فقد بعض ماله بما أعطى ، فالشأن غير ما يظن ، والأمر غير ما يجول بخاطره ، فان الله تعالى قد تعهد له

بالخلف ، وضمن له الزيادة والنمـــاء .. قال تعالى :

« وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » .

وقال تعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشـــاء ، والله واسع عليم » .

وان شرع الزكاة مثـــل رائع من أمثلـــة الاشتراكية فى الاسلام ، يعلن أن للفقراء حقا فى مال الأغنياء يجب أن ينالوه ، ونصيبا يجب أن يتملكوه .

ولقد حفلت به آيات الكتاب فى جـــلاء ، ونادت به السنة فى وضوح . من ذلك قول الله تعالى :

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » .

وقوله – جل شأنه – :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للســـائل والمحروم » .

وقول النبى – صلى الله عليه وسلم – :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة .. »

وان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أخبر عن منزلة السخى ، الذى ينفق مع الرضا والسماحة ، كما أخبر عـــن منزلة البخيل ، الذى يمسك مع الشح والحرص ، فقال :

« السخى قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار .. والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة قريب من النار » .

ولم يقتصر الاسلام على ايجاب الزكاة فى مال الأغنياء ، ولكنه رغب كل النـــاس فى الصدقة المندوبة ، وحببهـــا الى القلوب بذكر فضلها وآثارها . فقال تعالى :

« ان المصدقين والمصدقات ، وأقرضوا الله قرضا حسنا ، يضـــاعف لهم ، ولهم أجـــر كريم » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النـــار ، وانما يستظل المؤمن يوم القيـــامة تحت ظل صدقته » .

وان هذا التصدق على المتكففين المحـــاويج مثل ثان من أمثلة الاشتراكية فى الاســـلام ، تلك الاشتراكية التى ترد اعتبار النفـــوس ، وتصون ماء الوجوه .

« وان الثورة ما نفـــــذت الاشتراكية الا استجابة لداعى الديـــن ، وتنفيذا لمقاصـــده الشريفة ، حين رأت الأمة أعرضت عن ذلك الواجب المقـــدس ، وتراخت عن ذلك المطلب الأسنى : وأدى كل هذا الى وجود الفـــوارق الشاسعة بين أبناء الوطن الواحد ، حتى صار أغلب الشعب خدما لطائفة قليلة من الأغنيـــاء المياسير . »

لقد مضى على الأمة زمان طويل ، كان فيـــه الفقير يشقى ، وينعم غيره ، ويكد وينتفـــع سواه ، ولا يجنى من شقائه وكده ســـوى لقيمات لا تقيم الأود ، ولا تحفظ الجسد .. ولا ترد المسغبة .

فاذا كان للثورة بعد جهـــاد الأعداء حسنة موفورة الأجر ، فانها الحسنة التى بدلت فيها حال غالبية الأمة من البؤس الى الغنى ، ومن الذل الى العز ، ومن الموت الى الحياة .

ولقد صدق رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – فى قوله :

« ان الله ليبعث على رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها » .

وان للأسخياء فى رسول الله أسوة حسنة، وفى السلف الصالح قدوة طيبة ، فقد كان فى

عطائه وسخائه كالبحر الزاخر اذا طم ، والغيث الهاطل اذا عم .

كان يعطى عطاء من لا يخشى من ذى العرش اقلالا ، ولا يخاف على النعمة زوالا .

روى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :

« كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة . »

ونقول : ان هذا الجود هو الذى يجرى الماء فى العود الجديب ، ويبعث القوة فى الجسد العليل ، ويجعل فيه روحا طيبة ، ونفسا كريمة - وانه شأن كل رئيس يعيش لأمته ، ويكافح من أجلها ، ويعمل لانهاضها ، واحيائها حياة كريمة .

وان الرئيس الذى يسير على هذا النهج يمسك القلوب بأسباب الود ، وتتلفت نحوه الأبصار تلفت الاجلال ، وتسير الأمة فى ركابه بدافع الاخلاص ، وتحوطه بسياج التقدير .

ولقد كان كثير من السلف محط رحال العفاة ، وكان جودهم وسخاؤهم حديث الدنيا ومضرب الأمثال، وقد ملكوا به ناصية الأرض، ودانت لهم الرقاب .

ونذكر على سبيل المثال ما روى أن اعرابية دخلت على عبد الله بن أبى بكرة ، وكان يومئذ واليا بالبصرة ، فوقفت بين السماطين وقالت: أصلح الله الأمير وأمتع به ، حدرتنا اليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها ، وأنا أعول صبية صغارا ، وآخرين كبارا فى بلقع شاسعة ، تخفضنا خافضة ، وترفعنا رافعة ، لملمات من الدهر برين عظمى ، وأذهبن لحمى، وتركننى والهة أدور بالحضيض ، وقد ضاق بى البلد العريض ، فسألت فى أحياء العرب : من الكاملة صفاته ، المعطى سائله ، الكافى نائله ، فدللت عليك أصلحك الله ، وأنا امرأة من هوازن ، قد غاب عنى الوالد، ومات الرافد، وأنت بعد الله غياثى ومنتهى أملى ، فاصنع معى احدى ثلاث : اما أن تردنى الى بلدى ، أو تحسن صفدى ، أو تقيم أودى ، فقال : بل أجمعهن لك . ولم يزل يجرى عليها العطاء حتى مات .

على هذا النحو كان يسير الكثير من الأسلاف وكانوا يرون الجود موضع اعتزازهم ، ومناط افتخارهم ، فكانوا اليه يتسابقون ، وعليه يدرجون .

ونذكر من ذلك ما قاله بعضهم :

وطريد ليل ساقه سغب
وهنا الى وقاده رفد

أوسعت جهد بشاشة وقرى
وعلى الكريم لضيفه جهد

فتصرم المشتى ، ومربعه
رحب لدى وعيشه رغد

ثم انثنى ورداؤه نعم
أسديتها وردائى الحمد

وبعد فان المال عصب الحياة ، فاذا وجدت الأمة منه كفايتها ، فانها تشعر بالعزة تتمشى فى دمائها ، وتحس بالكرامة تنعقد فوق رءوسها .

واذا امتلأت الأمة بالعزة، وشعرت بالكرامة فانها تبنى مجدها فوق السها ، وتنافس النيرات فى أبراجها ، وتتخذ لها بين الكواكب مدارا .

هدانا الله الى الخير ، وسلك بنا أقوم السبل ، والله ولى التوفيق .

فى المحيط الصوفى

الموسيقى والغناء والرقص

ربما يعجب بعض القراء من علاقة هذه الفنون الجميلة بالتصوف الذى هو كما عرفوه : الانقطاع الى الله وطرح ما سواه أو أن تكون مع الله – تعالى – بلا علاقة . وقد يزول العجب حين ندرك أن هذه الفنون لها أثر كبير فى صفاء الوجدان واثارة الحب الالهى اللذين هما من أهم المراحل الصوفية للوصول الى الخالق العظيم .

وبذلك يصدق على الصوفى الخصال الثلاثة التى قال عنها رويم بن أحمد البغدادى: التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل ، وترك الفرض والاختيار .

ولا بأس من أن نلم قليلا بأثر هذه الفنون فى حياتنا الواقعية ومن ثم انتقلت الى طريق التصوف .

أ – أثر الموسيقى وتاريخها :

فالموسيقى طبيعة البشر ، والانسان يرغب فى الموسيقى يطرب منها وترتاح نفسه اليها وهى لغة العواطف وقد تكون هى الوحيدة من بين الفنون التى يطرب لها الحيوان . وهى كالشعر قد تبعث فى الاغنية الهزيلة روحا

فضيلة الشيخ محمد امين هلال

جديدة ، فاذا هى كأنها مستها عصا سحرية حافلة بالايحاء والظلال ، وقد تتجاوز تأثيرها الى صميم النفس فتثير فيها احساسات خاصة تلائم الطبيعة الانسانية الكريمة .

وتاريخها قديم يسير جنبا الى جنب مع الميل الفريزى فى الانسان : اهتم بها المصريون من قديم الزمان وبلغوا فيها شأوا بعيدا كما تنطق بها تلك الصور المنقوشة فى معابدهم فى منف وطيبة وسواهما . وأبدع فيها الاغريق تلاميذ الحضارة المصرية وأحلوها محلها من الاعتناء والاهتمام . وكذلك الرومان فانهم اعتنوا بها وأخذوا عن اليونان وزادوا عليها تمشيا مع مقتضيات الحضارة الرومانية العتيدة .

وفى الشرق اهتم لها الصينيون واليابانيون وبرعوا فيها واخترعوا آلات كثيرة من ذوات الأوتار ، وألف الفرس أنغاما بديعة التوقيع واخذ عنهم العرب كثيرا ، كما ترجموا كتب الموسيقى لليونان والهند ودرسوها وبعد أن نقحوها زادوا عليها . فالفوا فى ذلك المؤلفات الفنية وجمعوا بين ألحانهم وألحان اليونان والفرس والهنود ، واستنبطوا الحانا جديدة لم تكن معروفة من قبل فضلا عما اخترعوه من الآلات .

والمطلع على كتاب الأغانى لأبى الفرج يقرأ عن المطربين والعازفين والألحان من أمثال معبد وابن سريج وذات الخال وابراهيم بن المهدى واسحاق الموصلى ، وسواهم مالا يترك زيادة لمستزيد .

والموسيقى حددها أهلها بأنها تأليف الألحان وهى علم يعلم به النغم والايقاع وكيفية تأليف اللحون وايجاد الأصوات الموسيقية .

ب ــ موقف الشرع من الغناء

والغناء ويسميه الغزالى (السماع) مما فاض الكثير من كتب الفقة ببيان حكم الشرع فيه اسماعا وسماعا .. فهذا فيلسوف الاسلام وحجته أبو حامد الغزالى يفرد للسماع وللغناء وللموسيقى بابا طويلا فى الجزء الثانى من الاحياء ص ٢٢٠ وما بعدها .

يتعرض لكلام المخالفين ويفند حججهم وينتصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة .

ومما يقول فى هذا :

أن مفهوم الآية (أن أنكر الأصوات لصوت الحمير) يدل على استحسان الصوت الحسن وان قوله تعالى (يزيد فى الخلق ما يشاء)هو الصوت الجميل ويعزو هذا الى بعض المفسرين .

ونرى ابن القيم الجوزيه فى كتابه زاد المعاد يوافق الغزالى . ولا ريب فى أن كلا منهما معروف بفقهه وتدينه ومنافحته عن الدين وتعاليمه .

كذلك فى كثير من كتب الصوفية وفى الكتب التى عرضت لتاريخ التصوف نجد فيضا دافقا من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع .

واتصال الموسيقى بالدين أمر قديم ، فقد رووا أن نبى الله داود كانت له معزفة يتغنى عليها فيبكى ويستبكى ، وكان يقرأ الزبور ب ٧٠ لحنا .

وفى المعابد اليهودية والمسيحية والبوذية يقيمون التراتيل على أصوات الآلات الموسيقية ولهم فى الحانها وايقاعها براعة مدهشة .

وكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب الصوت الحسن واختار بلالا مؤذنا له لأنه أندى صوتا ، ووصف أبا موسى بأنه أوتى مزمارا من مزامير داود ، ويجيبه أبو موسى بأنه لو عرف أن الرسول كان يسمعه لحبره تحبيرا ((أى حسنه تحسينا)) . وقدسمع الغناء كثير من الصحابة كعمر ومعاوية وعمرو بن العاص فلم ينكروه بل بعضهم استزاد من سماعه .

وليرجع الى الأحياء وغيره من شاء .

ج ــ نسب وشيج

ونستطيع بعد هذا أن نفهم العلاقة بين التصوف والموسيقى والغناء ، واقرأ قول الغزالى « **ان من أحب الله وعشقه واشتاق**

الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ـ سبحانه ـ ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من الكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ، وينكرها من كل حسه عن ذوقها » وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية « **وجدا** » مأخوذ من الوجد والمصادفة ، أى صادف من نفسه أحوالا لم تكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها ، تحرق القلب بنيرانها ، وتنقيه من الكدرات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات هى غاية مطلب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها ، فالمفضى اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى والمباحات !!

وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ، وتسخير هذه الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ثم يقول الغزالى :

« ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات ، والبليد الجامد القاسى القلب المحروم من لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزنج ، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه . ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع ادراك ، والادراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة ، فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التذاذ ، فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ، وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ، ولذة المعقولات من فقد العقل ، وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت للسمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته . والمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فما معنى العشق الا محبة مؤكدة مفرطة . ولذلك قالت العرب ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عشق ربه وذلك لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء » .

فالغزالى يشير باثارة الوجدان بالغناء والموسيقى ، وان مقام الفناء أو الوجد يتحول اليه بالذكر والموسيقى والفناء . ولقد كتب بعضهم ان احد هؤلاء المستفرقين فى الوجد كان يغشى عليه لدن سماع الهاتف السماوى فى آية قرآنية ترتل أو شعر ينشد أو موسيقى تصدح ، وقال ان كثيرين ماتوا وهم فى هذه الحالة . ولذلك اعتقدوا أن الله تعالى قد أوحى الى مخلوقاته أن تسبحه بلسان الحال أو المقال . فالانسان والطير والحيوان والشجر والجبال كلها تردد نشيدا عاما به تسبح إله .

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض) .

« وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم »

ويجد الباحث (على رأى نيكلسون) فى هذه النظرية آراء أفلاطون وفيثاغورث من ان الموسيقى تثير فى النفس ذكرى الأناشيد السماوية التى كانت تسمعها الروح قبل نفيها فى هذا الجسد يوم كانت متصلة مع الخالق .

د ـ رأى مخالف :

هذه الموسيقى وهذا السماع الذى ارتضاه الفزالى وابن القيم وغالب الصوفية وجعلوه مثيرا للشعور المقرب الى الله ، كان موضع جدال طويل . وقال عنه ذو النون المصرى : ان السماع ليس بجيد ولا برديء ، وانما تتوقف قيمته على نتائجه ، والموسيقى دافع سماوى يحدو بالمرء للسعى نحو الله ، فمن أعارها سمعه وهو راغب فى الله كان له ما اراد ، ومن أعارها سمعه وهو راغب فى الشهوات وقع فى الخطيئة ، ويذهب البعض الى تحريم ذلك اطلاقا ، ويقولون اننا نسلم بأنه انتشرت قبل الاسلام وبعده الى اليوم طرائق التعبد بالموسيقى ، فاختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله بينما أن الأحاسيس الفنية والعبادة هما امران متباينان ، فاذا أصبحت العبادة موسيقى وأنغاما ، حق للفاسق أن يعد نفسه متعبدا بالنشوة والاحساس الفنى من الموسيقى التى يسمعها فى الملهى كما يسمعها فى المعبد ، وهكذا ربأ الاسلام بالعبادة عن مستوى

المراسم العمياء والطقوس الشكلية المحضة التى يقصد بها السيطرة على أوهام الناس دون معنى عقلى ، كما ربأ بالعبادة عن النشوة والطرب الناشئين عن المعنى الفنى كالموسيقى . وهذا سمو بالعبادة الى مستوى رفيع يليق بالانسان العاقل المتميز بعقله وتفكيره عن سائر المخلوقات . **ولذا نجد العبادات فى الاسلام تشتمل كلها على عنصرين : التفكير والعزيمة الانشائية وبذا لا يقبل الاسلام أن تصحب العبادة موسيقى خارجية** ، لأن العمل العقلى فى العبادة عندئذ يضيع تحت رواء النشوة الفنية فتخرج من حيز العبادة والفكر السامى الى حيز الطرب الذى يكون حظ الحس فيه اكبر من حظ العقل ، كما يكون حظ غير المتعبد فيه أوفى من حظ المتعبد فيضيع معنى العبادة ، ولذا نعى القرآن على الجاهلين أن صلاتهم عند البيت لم تكن الا مكاء وتصدية أى مراسم من تصويت وتصفير .

هـ ـ ورأينا أن المقطع فى هذا هو ماذهب اليه ذو النون والغزالى من أن قيمة هذا متوقفة على نتائجه ، فمن أعارها سمعه وهو راغب فى الله وحصل له بسببها مزيد من محبة الله وعزوف عن حطام الدنيا كانت نعم الواسطة الى هذه الغاية ونعم المقرب الى سمو النهاية ، وكثيرا ما تباح المحظورات فى بعض الأوقات ، ومع أن الله أمر بأخذ الزينة عند كل صلاة نجد بعض الحنفية يذهبون الى استحباب الصلاة مع كشف الرأس اذا ترتب على ذلك مزيد من الخشوع .

واذا كان الاسلام ميز بين الأحاسيس النفسية والأمور العقلية وجعل العقيدة عملا عقليا محررا من الأوهام والخرافات ، فان الاسلام ذاته وهو دين الفطرة أعطى الفريزة حقها فى الحدود التى لا تصادم العقل ولاتجافى الطبع السليم .

ولعل الصوفية الذين أدخلوا الموسيقى والغناء فى أورادهم ومزجوه بشعورهم وحرصوا على ذلك فى خلواتهم وجلواتهم ، ورأوا أن هذا من عوامل تنشيط الوجدان والفناء فى محبة الله ، لعلهم أخذوه من بعض النظم فى العبادات غير الاسلامية كما أشرنا الى هذا من قبل ، ولا حرج فى اقتباس بعض العادات التى لا تناهض نصا ولا تقبح حسنا .

و ـ مغزى هذا الرقص

أما الرقص ويسميه الصوفية ((الذكر)) تحرجا من هذه الكلمة التى شاعت فى مواطن اللهو والخلاعة وربما كان المعنى واحدا واللفظ مختلفا ، اذا لاحظنا انه عبارة عن حركات وتثن وصعود وهبوط وميل نحو اليمين ونحو اليسار وتقدم وتأخر وضرب بالأرجل وبسط بالأيدى وامالة للعنق وهمهمة للنفس وصحك وسرور أو اكتئاب وعبوس .

وتحدثوا عن هذا الرقص الصوفى بأنه الحد الأعلى فى المراحل الموصلة الى الله ، اذ يذهب عن الصوفى المتبتل وعيه ويفقد شعوره ويرقص حتى انه لو ضرب من هو فى هذه الحال بسيف على وجهه لما شعر به . وكان أبو حمزة المتصوف فى بغداد فوافاه هذا الوجد فما أفاق الا وهو فى وسط الصحراء .

وقد أورد بعض متأخرى الصوفية أحاديث تؤيد هذا الرقص أو الذكر كما زعموا ، وان النبى أمر به حتى يخيل لمن يرى الذاكر وقتئذ أنه مجنون وتخيلوا هذا الذاكر المتمايل يمينا وشمالا ، المتثنى خلف وقدام والمنفض رأسه أحيانا المقنعها أحيانا . انما يعبر بهذا كله عن معان روحانية وان كانت فى مظاهرها حركات مادية لا جمال فيها ولا سحر ولا غناء ، بلى ان هذا التمايل يشير الى صور وأخيلة وعواطف يلمسها الذوق العارف : فكأن هذا الذاكر يتناول الهدايا من ربه الكريم ، يتناولها عن يمين وعن شمال ويطلب الفيوضات اذا مال ، ويمتثل الأدب اذا تأخر قليلا وينظر فوق فى ملكوت الله ويخفض الرأس سجودا لعظمته حياء من كبريائه ، فهو فى كل حالاته عابد لله منصرف عن كل ما سواه ومن سواه : وكأنه يصور أشياء مع هذا كما قال (سقراط) كما تظهر فى مشهد من مشاهد النحلة التى تتنقل بين الزهرات فيختلف رحيقها وكأن لديها تفكيرا تركزه فوق جماعة الزهر فتنصرف عن هذه الى تلك الى وردة بعيدة تمسها أو تتركها أو تمعن فيها : هى تنأى فجأة عن الزهرة التى

فرغت من حبها ثم تعود اليها اذا احست الندم لأنها تركت فيها بعض الرحيق الذى ما تزال ذكراه تتبعها وما تزال لذته الماضية تنغص عليها طيرانها : حقا ان هذا الرقص بدقة معالمه وبجمال وثباته وبرقة وقفاته ، هذا الكائن الكلى الذى ليس له جسم ولا وجه لكن له منحى ومصاير وما منحاه الا الغناء فى محبة الله وما مصايره الا اظهار السرور بارضاء الله .

ز - تاريخ الرقص :

ويذهب بعض مؤرخى الصوفية أن ايجاد حلقات الرقص واقامة الذكر انما أدخلها فى التصوف جلال الدين الرومى المتوفى فى قونية فى أسيا الصغرى فى القرن السابع الهجرى وذلك حين قدم اليها شمس الدين تبريز وكان له تأثير عميق فى نفس جلال الدين حيث انقطع هذا عن التدريس وانصرف عن زخرف الدنيا فنقم طلابه على شمس الدين وهموا بضربه ففر الى حيث لا يدرى جلال الدين ولكنه علم بعدئذ بمكان اقامته وأقنعه بالرجوع فرجع ولكن اضطهاد الطلبة لم يقف تياره ففر شمس الدين الى سوريا ، ومن هذا أوجد جلال الدين حلقات الرقص واقامة الذكر تخفيفا لألم أستاذه شمس الدين ، وكان هذا بداية المولوية المعروفة . وأخيرا عاد شمس الدين الى قونية ومات فيها . ومن ثم انتقل التعبد بالرقص الى بعض طرق الصوفية الأخرى ، ولو أن صوره تختلف بين طريق وأخرى .

المولوية :

طريقة المولوية معروفة فى مصر وقد كانت منتشرة بين الأتراك اتخذوا لها فى درب الجماميز وقبة المفاورى وسواهما مستقرا ومقاما وقد عرف عن صاحب هذه الطريقة أنه يذهب فى كثير من آرائه مذهب الاشراقيين، ويرى أن هذه العوالم البادية لنا ما هى الا صورة الله تعالى وأن هذه الصور ليست حقيقة لأنها غير موجودة وأما الموجود الذى لا يفنى والحقيقة التى لاتبلى فالله وحده وكل ذرة فى الوجود تظهر صفة من صفات الله لأن هذه الصفات كانت قد تجلت ثم حلت فى هذه الذرات بمقادير مختلفة وهى كمرآة عنها تنعكس صفات الله ، وأما الانسان فهو الذى تظهر فيه تلك الصفات جميعها : فيه يجتمع عوامل النور والظلام والخير والشر . ونظرا لهذه الطبيعة المزدوجة التى أمن الله عليها الانسان فالانسان مسئول عن أفعاله لأنه يستطيع الاختيار « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفق منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** » .

هذا وكان المعارضون لهذا الرقص الصوفى أضعاف المعارضين للسماع وأنكروا ما نسب للنبى - صلى الله عليه وسلم - من أحاديث عن الذكر بوصفها أو تأويلها وقالوا ومعهم الحق انه لم يعرف عن النبى وصحابته أو السلف الصالح الا الوقار والسكينة وأن ذكر الله يعتبر أهم العبادات وأعمقها تفكيرا عن حياة العابد وقنوته وأقدرها على توجيه طاقاته وقدراته الى خلق عظيم يستقيم عليه شأن المجتمع وتنهض به مختلف القيم الى المستوى اللائق بمن يتقى الله حق تقاته . وعندما يعمد الزاهد الى ذكر الله لا يتجاوز اطار المأثور الى (هرجلة) تخرج به عن الحشمة وعما رسم القرآن (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) .

دراسات في التاريخ الإسلامي

الدور المدني في حياة الرسول
الصراع بين مكة والمدينة

بدر الآخرة واتساع سلطان المسلمين

الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

اطمأن المسلمون بعد اجلاء بنى النضير وتحسنت حالتهم الاقتصادية بما صار الى أيديهم من أراضى اليهود التى اقتسمها النبى – صلى الله عليه وسلم – بين المهاجرين فاستغنوا بها عن معونة الأنصار ، وكذلك ضعف أمر النفاق ، فلم يعد المسلمون يخشون المنافقين فى المدينة . وبدأ سلطان النبى – صلى الله عليه وسلم – يقوى ويتسع خارج المدينة ، وخصوصا من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية ، وبدأت هيبته والخوف منه يملأ صدور القبائل الضاربة فى هذه الناحية .

واستدار العام من أحد وذكر النبى – صلى الله عليه وسلم – قول أبى سفيان فى نهاية المعركة : « يوم بيوم بدر والموعد العام المقبل » ودعوته محمدا للقائه مرة أخرى ببدر . وكان العام عام جدب، وكان أبو سفيان يود لو يؤجل اللقاء لعام آخر لعله يكون أيسر خصبا فيساعد على أن تخرج قريش فى جموعها للقاء المسلمين والظفر بهم فى بدر فتعوض هزيمتها فى المعركة الأولى فان عار هذه الموقعة لا زال يركبها ، وبخاصة بعد ماقام به النبى – صلى الله عليه وسلم – من أعمال فوتت عليها ثمرة النصر الذى أحرزته فى أحد ، لكن أبا سفيان لا يريد أن يأتى التأجيل من جانبه وبخاصة وأنه صاحب الوعد بالقتال ، لذلك بعث نعيم ابن مسعود الى المدينة يقول للمسلمين : ان قريشا قد جمعت جيشا لا قبل لأحد من العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضى عليهم قضاء لا يعتبر ما حدث بأحد الى جانبه شيئا . ورجا أبو سفيان أن يفت تهديده هذا فى عضد المسلمين فلا يخرجون الى بدر وبذلك يؤجل اللقاء ويحتفظ لقريش بكرامتها . وكادت هذه الدعاية تؤتى ثمارها ، فقد تأثر المسلمون بها . وبدا لهم أن يتجنبوا هذا الخطر ، وأظهر الكثيرون منهم الرغبة عن النهوض والسير الى بدر . لكن النبى – صلى الله عليه وسلم – أدرك ما وراء هذا التخلف من اضعاف لهيبة المسلمين واتهام لهم بالجبن ، وفى ذلك ما فيه من اسقاط لسمعتهم وجرأة عليهم ، لذلك غضب لهذا الضعف والتراجع ، وصاح

بأصحابه مقسما أنه ذاهب لبـدر ولو ذهب وحده .

وأمام هذه الصيحة ذاب كل تردد ، وزال **كل خوف ، ونشط المسلمون يحملون سلاحهم ويستعدون ليوم آخر فى بدر يعيدون فيه الى الأذهان ذكرى بطشتهم الكبـرى بقريش فى يومها الأول .**

نزل المسلمون بدرا ينتظرون قريشـا مستعدين لقتالها معتزمين تحطيم البقيـة الباقية من صلفها وكبريائها . وخرجت قريش مع أبى سفيان من مكة فى أكثر من ألفى مقاتل، لكن أبا سفيان خشى مغبة القتال فى مثل هذا العام الجدب ، ولعل ذكرى هزيمة قريش فى بدر الأولى قد ملأت مسالك نفسه ، وأخذ عليه الجبن أقطار قلبه أن يلقى فى هذا اليوم ما لقى أبو جهل وصناديد قريش من قبل ، فما كاد يسير يومين حتى نادى فى الناس : يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وان عامكم هذا عام جدب ، وانى راجع فارجعوا ، فرجـع الناس ، وأقام محمد - صلى الله عليه وسلم - فى جيش المسلمين ينتظرهم ثمانيـة أيام استغلها المسلمون فى المتاجرة - ذلك أن بدرا كانت موسما من مواسـم العرب ، ومتجرا يتجرون فيه ويتبادلون - وقد تاجر المسلمون فربحت تجارتهـم ، ثم عادوا الى المدينـة مستبشرين بنعمة من الله وفضل ، فلقد أكدوا شجاعتهم وربحوا مالا ، وفى هذا الموقف نزل قوله تعالى :

« الذين قال لهـم الناس ان النـاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقـالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشـيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

وكذلك محت غزوة بدر الآخرة أثر أحـد محـوا تاما ، وكان على قريش أن تنتظر عاما آخر رازحة تحت عار جبنها لا يقل وطأة عن العار الذى حل بها يوم هزيمتهـا فى بدر الأولى .

أقرت هذه الغزوة سلطان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى هذه المنطقة ودعمت هيبته ، فقد فكرت بعض القبائل الضاربة فى هذه الأنحاء أن تنتهـز هذه الفرصة فتنـال من المسلمين ، فقد كان لهذه القبائل مصـالح مرتبطة بتجارة قريش وقوافلها ، وقد هـدد المسلمون هذه التجارة تهـديدا خطيرا ، واضطروا قريشا أن توقف تسيير قوافلهـا ، ولم تدرك هذه القبائل البدوية الاتجاه العظيم الذى يتجه اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - والفكرة العليا التى يريد تحقيقهـا ، وهى توحيد العرب، وخلق أمة عربية موحدة تحكمها المثل العليا التى جاء بها الاسلام والتى من شأنها حين تتحقق أن تفيض على العرب جميعا العـزة والرخاء فى ظل دولة قـوية ترعى مصالحهم جميعا وتنظم حياتهم تنظيما يكفل لهم الرخاء ويبعد عنهم شبح الخوف الذى يملأ حياتهم نتيجة التدابر والتربص القائم بينهم ، ويحل بينهم التكافل والتعاون الاجتمـاعى والاقتصادى فى ظل الوحدة والسلام .

لم تدرك هذه القبائل المبتدية هذه الأهداف العليا وجرت لذلك وراء مصالحها الذاتيـة العاجلة فتربص بعضها يريد انتهاز الفرصة فتعين قريشا فى قتال المسلمين ، وفاتها أن انتصار قريش انما يحقق مصالح الرأسمالية القرشية وحدها وأن نصيب القبائل ما هـو الا فتات مائدة هذه الطغمة الغنيـة من رجال مكة . وفكر بعض القبـائل التى كانت قد وادعت النبى- صلى الله عليه وسلم - وعاهدته من قبل ، فى اعادة النظر فى هذه الموادعة . جاء مخشى بن عمرو الضمرى - وهو الذى كان وادع النبى - صلى الله عليه وسلم - من قبل على بنى ضمرة - الى النبى - صلى الله عليـه وسلم - وهو منتظر قدوم قريش ، فقال :

« يا محمد ، أجئت للقاء قريش على هـذا الماء ؟ » ، **وأدرك النبى - صلى الله عليه وسلم- ما وراء هذا التساؤل فقال : « نعم يا أخا بنى ضمرة، وان شئت مع ذلك رددنا اليك ما كان**

بيننا وبينـك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك » . وأعاد هذا القول الى الرجل صوابه ، ورأى ما فى هذا الانذار من تصميم من النبى - صلى الله عليه وسلم - على اقرار هيبة المسلمين ، فقال : لا ، والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة .

كذلك اتصل بالنبى - صلى الله عليه وسلم - بعد عودته الى المدينة أن جماعة من غطفان بنجد يجمعون له يريدون حربه ، وكانت خطته - صلى الله عليه وسلم - أن يبغت عدوه قبل أن يكمل استعداده لمهاجمته ، لذلك خرج فى أربعمائة من المسلمين حتى نزل فى موضع يقال له ذات الرقاع ، وهو موضع فى وادى القرى فى طريق تبوك ، حيث اجتمع بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان ، فلما رأوه طلع عليهم فى عدة حربه مهاجما تركوا مساكنهم وفروا ، فاحتمل المسلمون ما استطاعوا وعادوا الى المدينة ، على أن النبى - صلى الله عليه وسلم - خشى رجعة العدو وهو فى طريق عودته فرتب الحراسة على الجيش ليل نهار ، كما جعل يصلى بالمسلمين أثناء ذلك كله صلاة الخوف . فكان جماعة يظلون مستقبلين العدو مخافة لحاقه بهم على حين يصلى الآخرون مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ركعتين ، ثم يحلون مكان الآخرين فى استقبال العدو ، ويحل هؤلاء مكانهم فى الصلاة ، وهكذا لم يكن النبى - صلى الله عليه وسلم - يهمل فرض الحذر ، كما لم يهمل فرض الصلاة لله .

عاد المسلمون الى المدينة بعد غياب خمسة عشر يوما مظفرين غانمين ، لكنهم ما كادوا يستقرون حتى علم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن القبائل الضاربة على تخوم الشام تتحرك ، وأنها تتحرش بتجارة المسلمين التى أخذت تتجه نحو الشمال ، بعد أن أصبحت تجارة قريش نحو هذه الجهة فى حكم المتوقفة ، لذلك خرج بقواته يريد دومة الجندل ، وهى واحة على الحدود بين الحجاز والشام ، وتقع على الطريق بين البحر الأحمر وخليج فارس ، وبينها وبين دمشق ثمانية مراحل (حوالى مائة ميل) ، ولم يقابل النبى - صلى الله عليه وسلم - القبائل التى خرج لقتالها لأنها ما كادت تسمع باقترابه حتى أخذها الفزع وولت مدبرة وتركت للمسلمين غنائم حملوها وعادوا الى المدينة .

من كل ذلك ترى مقدار ما وصل اليه نفوذ المسلمين وما بلغ اليه سلطانهم وخوف القبائل اياهم ، كما ترى مقدار ما كان المسلمون يحتملون من المتاعب فى غزواتهم للدفاع عن كيانهم ، وفى سبيل الأهداف العليا التى كانوا يبغون اقرارها ، مستهينين بالقيظ ، والجدب ، وقلة الماء فى صحراء نفاذ الماء فيها مهلكة ، وما الموت وما خشيته فى سبيل تحقيق حياة فاضلة واقرار مثل كريمة أرادها الله للانسان يوم خلقه وحمله أمانة تحقيق الفضيلة والسير بالحياة الى غاية الكمال ؟!

وآن لمحمد - صلى الله عليه وسلم - بعد كل ذلك أن يستقر بالمدينة عدة أشهر متتابعة ، وجد فيها فسحة ليقوم باتمام التنظيم الاجتماعى لهذه الجماعة الاسلامية الناشئة ، فى دقة وحسن سياسة يوحى اليه ربه منه ما يوحى ؛ ويقر هو ما يتفق وتعاليم الوحى وأمره ، ويضع من تفاصيل ذلك ما كان موضع التقديس من أصحابه ، وما أشربته نفوسهم لتحمله بعد ذلك للدنيا فيكون منارها وهاديها عدة قرون متتالية تستقر به حضارة لم يعرفها العالم من قبل ، وهو لا يزال يهتدى بهديها حتى الآن يجد فى منابعها وفى كتابها هديا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ترى أكان أعداء محمد - صلى الله عليه وسلم - تاركيه آمنا فى جماعته يضع لها هذا التنظيم دون أن يدخلوا معه فى جولة فاصلة يحشدون لها كل قوتهم وما يستطيع أن يصل اليه مكرهم وكيدهم ليقرروا مصيره ومصيرهم بعد هذا الصراع الدامى الذى أوشك أن يدمر كل قوتهم المادية والمعنوية والذى رأوا نتائجه تتجه الى مصلحة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتوشك أن تقر سلطانه فى هذه المنطقة الحيوية من الجزيرة العربية ؟!

كان محمد - صلى الله عليه وسلم - على طمأنينته حذرا دائما غدرة العدو به ، باثا عيونه

وأرصاده فى أنحاء شبه الجزيرة ينقلون اليه من اخبار العرب وما يأتمرون به مايجعل فى يده موقف المبادأة لتحطيم كل تجميع واحباط كل مؤامرة ، وكان – صلى الله عليه وسلم – سريع النهضة لا يترك لعدوه فرصة استكمال استعداده وتأهبه . وكان أعداؤه يحيطــون به من كل جانب ، وكلهم حريص على النكاية به والثـأر منه . فكانت قريش ، وكان يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير ، وكان عرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام ، كل هؤلاء كـــان يتربص بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبالمسلمين الدوائر ، ويترقب الفرصة ليدرك ثأره من هذا الرجل الذى عارض ما تواضعوا عليه من نظم ، وما ألفوه من حياة وان كان ما أتى به ، وما يدعو اليه أفضل من نظمهم ، واجمل من مألوف حياتهم ، ولكنها شــهوة النفس وحب العاجلة وطمع الحياة .

ولقد ظهر عليهم جميعا بحذره ونفــاذ بصيرته وسرعته ودقة تنظيمه ، وهم بعد لم يخوضوا معه جولة متحدين ، بل قابلوه فرادى متفرقين فتغلب على كل واحد منهم على حدة ، أفلا يجربون معه موقفا جماعيا هذه المرة ؟!

وكان اليهود أبصر خصوم محمد – صلى الله عليه وسلم – بتعاليمه وبمصير دعوته ، وكانوا أكثر تقديرا لما يصيبهم من انتصاره فلقد قام بين اليهودية والمسيحية صراع فى شبه الجزيرة العربية ، وكان اليهود يأملون الانتصار فيه على خصومهم ، فتصفو الجزيرة العربية لهم فيجعلون منها ميدانا لنشــاطهم الاقتصادى ، وليس النصر الدينى هو الذى يبتغون ، وانما هو المال الذى اختلط حبـه بدماء اليهود وطبعهم بما استقر فى أخلاقهم من الشح والجشع ، وهو الذى حكم دائمـا تصرفاتهم فورطهم فى مواقف لم يعارضوا فيها تعاليم دينهم فحسب ، وانما عارضوا بهـا عواطف المجتمع الانسانى واكتسبوا عـداوة الشعوب .

لقد كانت فرصة اليهـود فى بلاد العرب أكبر من فرصة خصومهم ، فان العقل العربى لم يقبل مبدأ التثليث الذى تقول به المسيحية وما فيه من تعقيد ، وكان اليهود دعاة توحيد ،

وفكرة الوحدانية موجودة عند العرب منــذ ابراهيم – عليه السلام – ، وان كانت الوثنية قد غطت عليها الا أنه قد بقى لها ذكر يتردد فى النفوس ، على أن العقل السامى بوجه عام ينفر من التعقيد ويميل الى البساطة والوضوح ، لذلك كان تصور اليهود للظفر بالمسيحية أمر له ما يبرره ، وكان قمينا أن يتحقق ، لولا أن اليهود ربطوا بين دينهم وبين مصالحهم المادية ، بل كثيرا ما فضلوا تحقيق المنفعة المادية على تعاليم التوراة نفسها ، ولولا ما ركب فى طباعهم من الجبن والشح والخديعــة والغش وهى أمور يمقتها العربى لأنها تخالف ما طبع عليه من كرم وشجاعة ووضوح .

ثم ها هم يفاجأون بعدو جديد ، ولكنه ليس من طراز رهبان النصارى ومبشريهم ، انمـا هو نبى يدعو الى التوحيد فى حجة دامغـة وبعبارات تهز المشاعر وتأخذ بمجامع القلوب وتسمو بالانسان فوق أعراض الحياة ، بل فوق نفسه وفوق الحياة . وهو مع ذلك من صميم العرب يعرف طباعهم ومآتى نفوسهم .

ولقد ظن اليهود بادىء الأمر أنهم يستطيعون ضـمه الى صفوفهم والافادة منه ، ولكنهم ما لبثوا أن أدركوا أنه يسير فى غير الطريق الذى يسلكون ويعمل لغير ما يبتغون ، وأنهم ان كانوا طلاب دنيا وأصحاب أطماع ، فانه طالب مثل أعلى وصاحب ايثار ، وهم يريدون المال لأنفسهم ، وهو يريدها اشتراكية يتكافل فيها الناس جميعا فى ظل العدالة والمساواة .

لذلك عارضوه بعد أن عاهـدوه وجادلوه فانتصر عليهم ، وحاجـوه فحجهم وناظروه فغلبهم ، وماروه فدمغهم وفضحهم ، فمكروا به وكادوه فانتصر عليهم وأخرجهم . أفيقنعـون بهذه الهزيمة فيخلون الميدان ويعودون الى بيت المقدس ينوحون عند مبكاهم أملا ضـائعا ، أضاعه شح النفس وفساد الضـمير . أم يستخدمون مكرهم فى تأليب العرب وتجميع الخصوم لتكون الجولة الفاصلة مع هذا الرجل .. هذا ما عقدوا عليه العزم وأخـذوا على عاتقهم تدبيره واعداده ليكون يوم الأحزاب :
« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

بطولات إسلامية

المقدم محمد فرج

"حبسها حابس الفيل"

بعد ست سنوات من الهجرة خرج الرسول وأتباعه من المدينة الى مكة ينشدون الزيارة والحج ، وساقوا معهم الهدى سبعين بدنة ٠٠ ولكن قريشا وقفت أمامهم ورفضت أن تسمح لهم بدخول مكة ٠٠ ودارت مفاوضات ومحادثات بين محمد وقريش انتهت بعقد صلح الحديبية، الذى يعتبر نصرا كبيرا للاسلام والمسلمين ، فقد اعترفت بهم قريش كدولة لها كيانها ووجودها ، وكدين معترف به ، حين أقرت للمسلمين بحق زيارة البيت واقامة شعائر الحج ٠٠ ولقد منح هذا الصلح المسلمين الطمأنينة من ناحية قريش ومهد للاسلام أن يزداد انتشارا وذيوعا واستطاع المسلمون أن يجلوا اليهود عن شبه الجزيرة اجلاء تاما بعد غزوة خيبر

---

(١)

جاء الاسلام عقيدة تعبدية وقانونا تشريعيا ونظاما اقتصاديا وفلسفة للحكم ورسالة للأخلاق ٠٠ جاء يدعو الى تحرير الفرد ضميرا ووجدانا وقولا وعملا وعقيدة ، والى تحرير المجتمع فلا خوف من طاغية ولا رعب من ظالم ولا نفاق لزلفى ولا خديعة لربح ولا جزع لمصاب ولا تمرد لشهوة ، وأنزل القرآن الكريم دستورا للاسلام ، يربط بين الحياة والصالح العام فى غير ضيق ولا حرج ولا تعنت ولا جمود .

وكانت أهداف الرسالة المحمدية جديدة على مجتمع منحل تسود فيه الفوضى ، لارابط فيه ولا ضابط ، ولا مكان فيه للضمير الانسانى ، ولا وجود فيه للقيم الأخلاقية ، ولهذا اصطدمت الدعوة الجديدة بعقائد سائدة فى هذا المجتمع المنحل ووجهت بمعارضة قوية شديدة من قريش دفاعا منها عن دين الآباء والأجداد وايمانا منها بأن انتشار الدين الجديد هو هدم لدينها ، وبأن قيام الاسلام يعنى فناء معتقداتهم ٠٠

ولجأت قريش فى معارضتها الى وسائل شتى ٠٠ أغروا شعراءهم ليسفهوا تعاليم الدين

الجديد .. اتجهوا الى أبى طالب يعرضون عليه أن يأخذوا منه محمدا فيقتلوه ، ويأخذ هو عمارة بن الوليد بدلا منه ، فلما رفض هددوه وتوعدوه .. حاولوا اغراء الرسول بالمال والجاه والسلطان حتى يقلع عن دعوته ، ولكنه رفض وعودهم التى حملها نيابة عنهم عتبة بن ربيعة .. حرروا اتفاق الصحيفة فأكلتها الأرضة وانفرط هذا العقد .. طلبوا أن يعبد محمد وأتباعه آلهتهم ويعبدوا هم الهه ، فأبى محمد ورفض .. عذبوا أصحابه وعذبوه وحاولوا قتله مرات وهو وهم صابرون متمسكون بدينهم .. وأخيرا قرروا أن يوزعوا دمه على القبائل كلها ، وليلة اجتمعوا لقتله خرج الرسول من مكة الى المدينة .. وبدأت منذ الهجرة فترة طويلة من الكفاح والجهاد والغزو .. تارة بين المسلمين وقريش كغزوة بدر وأحد والخندق ، وتارة بينهم وبين اليهود كقتالهم لبنى قينقاع وبنى قريظة

والاسلام خلال هذه الفترة كان يزداد انتشارا ويقوى أمره ويكثر عدد الرجال المؤمنين به

(٢)

ترك المسلمون المهاجرون فى مكة المسجد الحرام ، وقد كانت عادتهم أن يحجوا اليه سنة وراء أخرى خلال الأشهر الحرم ، أما بعد أن انضموا الى الاسلام فقد منعتهم قريش من أداء هذه الفريضة .. وعاشوا فى المدينة يتحرقون شوقا الى بيت الله الذى بنى ابراهيم بمكة .. واشتد حنينهم الى أداء فريضة الزيارة والحج والعمرة .. وأحس الرسول برغبتهم وأدرك مدى شوقهم لأداء هذا الواجب ولمس حنينهم الزائد الى الطواف بالبيت ، فبات يفكر فى هذا الأمر حتى ألهم فى رؤياه الصادقة أن أتباعه سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين لا يخافون ، وحمد المسلمون الله وهم يتلقون هذا النبأ العظيم الذى هو أملهم فى يومهم وأمنيتهم فى غدهم

وفى شهر ذى القعدة أذن الرسول فى الناس بالحج .

وخرج ألف وأربعمائة من المسلمين من المدينة الى مكة محرمين لا سلاح معهم الا سيوفهم فى غمودها يتقدمهم الهدى الذى ينحرون ... هم اذن خرجوا حاجين لا غازين وفى مقدمتهم رسول الله على ناقته القصواء وعندما بلغوا ذا الحليفة عقصوا الرءوس ولبوا بالعمرة وعزلوا الهدى .

(٣)

عرفت قريش بمسير محمد وأتباعه فقررت أن تسد عليهم الطريق ، وأن تحرمهم من أداء هذا الواجب الدينى الذى فرضه الاسلام كما فرضته أديان العرب من قبل ، وأن تحول بينهم وبين تحقيق رغبتهم .

لقد ظنت قريش أول الأمر أن الرسول يدبر حيلة يحتال بها على دخول مكة ، بعد أن صدهم والأحزاب عن دخول المدينة ، ولكنها — رغم علمها أنه ورجاله قد أحرموا بالعمرة — صممت أن تمنعهم من دخول مكة وكلفت اثنين من رجالها الأشداء هما خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل بالتحرك على رأس قوة عسكرية ، لصد محمد وليحولوا بينه وبين أم القرى .

وفى قرية عسفان — وهى على مرحلتين من مكة — التقى الرسول برجل من بنى كعب نقل اليه أخبار قريش وقال له : « لقد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا .. وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع القيم » .

اذن فقريش تريدها حربا ، والرسول الكريم لم يخرج غازيا ، ولم يتخذ للحرب عدتها ، ولم يفكر أصلا فى دخول مكة عنوة ، ورغم أن سيوف رجاله كانت تكفى اذا جردت لدفع العدوان ولاحراز النصر ، الا أن الرسول الكريم قرر أن يجنح للسلم فنادى فى الناس « **من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها** » وسلك المسلمون طريقا وعرا بين شعاب مضنية شاقة أوصلهم الى الحديبية من أسفل مكة حيث بركت القصواء ، وتساءل المسلمون عن سبب البقاء فى هذا المكان فقال لهم الرسول : « **انما حبسها حابس الفيل عند مكة .. لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الا أعطيتهم اياها** » ودعا الناس الى النزول فأوضحوا أن المكان لا ماء به ، فدعا الرسول رجلا وأعطاه سهما وأمره بالنزول الى بئر فى المنطقة فيفرز السهم فى قاعة فلما فعل جاش الماء .

(٤)

كانت قريش تخشى لقاء محمد فى معركة خوفا من أن ينتصر عليها فيكون انتصاره قضاء تاما عليها فتفقد بذلك مكانتها بين العرب فوق فقدانها سدانة الكعبة وسقاية الحج وكل ما تفاخر به العرب من مناسك دينهم ..

وأرادت قريش قبل أن تخوض غمار معركة غير معروفة نتائجها أن تقف على حقيقة قوة محمد ، فبعثت بديل بن ورقاء الى الرسول ليتعرف على قوته وليستطلع نواياه وليحاول صده عن دخول مكة ، ولما التقى بديل بالرسول أدرك صدق نواياه وعرف أنه جاء زائرا للبيت فعاد الى قريش يطلب منها أن تخلى بينه وبين البيت العتيق وعادت قريش فأرسلت الحليس سيد الأحابيش ـ وكان حليفالهم ـ الى الرسول، فلما رآه الرسول مقبلا أمر بأن تطلق الهدى أمامه ، ووقع بصر الحليس على سبعين بدنة تسيل عليه فى عرض الوادى وقد تآكلت أوبارها ، فأدرك بهذا الدليل المادى الملموس أن المسلمين جاءوا حاجين وليسوا بغازين وأنهم لايريدون حربا ولا عدوانا ، فعاد ينقل الى قريش هذه الصورة الواضحة المعالم .

ومرة ثالثة أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى ، فعاد اليها يؤكد ما قاله المبعوثان الأولان قال لهم « **ان محمدا جاء معظما للبيت مؤديا فرض ربه . ثم قال انى جئت كسرى فى ملكه وقيصرا فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله مارايت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابة .. لايتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه وانهم لن يسلموه لشىء أبدا** » .

(٥)

فى هذه الأثناء بعث الرسول رجلا من أصحابه الى قريش يوضح لهم الموقف على حقيقته، ويبين لهم الصورة كاملة الملامح ، الا أنهم عقروا جمله وأرادوا قتله ، لولا أن منعتهم الأحابيش من قتله وهددت بالانسحاب من الحلف اذا قتل الرجل

وحدث أيضا أن بعضا من سفهاء قريش هاجموا عسكر الرسول ليلا بالحجارة وخرج منهم اربعون أو خمسون رجلا ليصيبوا من أصحاب النبى فوقعوا فى أيدى المسلمين ، وجاءوا بهم الى الرسول فأفرج عنهم وأخلى سبيلهم احتراما منه للشهر الحرام من جهة وتمسكا منه بمبدأ السلام الذى أعلنه ، ورغبة واضحة فى أن تشعر قريش انه جاء حاجا غير هادف الى القتال

وخطى الرسول خطوة جديدة فبعث بعثمان ابن عفان الى قريش ينقل اليهم وجهة النظر الاسلامية فلما التقى بهم عثمان قال لهم : (**اننا جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمته ولنؤدى فرض العبادة عنده وقد جئنا بالهدى معنا فاذا نحرناه رجعنا بسلام**) وجاءه رد قريش .. أنهم قد أقسموا ألا يدخل محمد وأصحابه مكة هذا العام وتأخر وصول عثمان الى مواقع المسلمين فظنوا أن قريشا قد غدرت به فى الشهر الحرام فاجتمعوا الى الرسول وقالوا (**لا نبرح حتى نناجز القوم**) واجتمع المسلمون تحت شجرة فى الوادى وبايعوا الرسول بيعة الرضوان على ألا يفروا حتى الموت ، ونزل قول الله تبارك وتعالى « **لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما** » .

ولكن عثمان عاد الى قومه سالما آمنا

(٦)

ودارت المفاوضات بين الطرفين من جديد

ودعت قريش سهيل بن عمرو وقالت له « ايت محمدا فصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لاتحدث العرب عنا، انه دخلها علينا عنوة أبدا » .

وجرت محادثات طويلة .. ولاحظ المسلمون أن سهيل بن عمرو يتشدد فيما يطلب وأن الرسول الكريم يتساهل ويجيبه الى طلبه .. وغضب بعضهم لذلك ، وكان عمر هو أكثرهم غضبا ، فتحدث فى ذلك الى بعض الصحابة ،ثم اتجه الى الرسول وهو مغيظ محنق غاضب وقال : « **يارسول الله .. علام نعطى الدنية فى ديننا**» فقال له الرسول « **أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى** »

وانتهت المفاوضات الى كتابة عهـــد بين المسلمين وقريش نص على :

١) مدة العهد عشر سنين لا اعتداء فيها من أحد الطرفين على الطرف الآخر (جاء فى بعض الروايات أن مدة العهد سنتان) .

٢) من أتى محمدا من قريش دون اذن وليه رده اليهم ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه اليه .

٣) من أحب محالفة محمد من العرب فـلا جناح عليه ومن أحب محالفة قريش فلا جناح عليه .

٤) يرجع محمد وأصحابه من مكة عامهم هذا وأن يعودوا اليها فى العام التالى فيبقون فيها ثلاثة أيام .

وبعد أن وقع العهد وأصبح نافذ المفعـول حالفت خزاعة الرسول وحالفت بنو بـكر قريشا ..

(٧)

لم يبق أمام المسلمين الا أن يعودوا أدراجهم الى المدينة ..

كانوا يحسون بالضيق لأنهـم لم يحققوا أملهم فى الزيارة ، وأدرك الرسول حقيقـة مشاعرهم ، فصلى ثم نحر هدية وحلق رأسـه ايذانا بالعمرة ، فلما رأى اتباعه فعله وأحسوا بسكينته وهدوئه أسرعوا ينحرون ويحلقون ، الا أن بعضا منهم قصر دون أن يحلق ولاحظ ذلك الرسول فقال « **يـرحم الله المحلقين** » فلما سئل عليه السلام « والمقصرين يارسول الله : قال « **يرحم الله المحلقين** » فعاد النـاس يسألونه : « والمقصرين يارسول الله » فقال : « **والمقصرين** » فلما سئل « لما ظاهرت يارسول الله الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ » قال « لأنهم لم يشكوا .. »

واتجه المسلمون الى المدينة وخلفوا وراءهم مكة ..

وبينما هم فى الطريق نزل الوحى على النبى الكريم فتلى الرسول على أصحابه قول الله تعالى **« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما)**

الأندلس الإسلامية

في شعر المهجريين

الأستاذ علي الجمبلاطي

ان أدباء المهجر وشعراءهم عرب أحرار يحبون قومهم ويحنون الى امجادهم ، ولذا كان شعورهم بأن الأندلس العربية هى جزء من وطنهم الكبير ومسرح لأخلادهم جعلهم يحنون اليها ويستوحون أمجادها لكى يبنى قومهم أمجادا جديدة مثلها فى الحاضر ، وهذا الحنين له أصول قوية فى الشعر العربى منذ ايام الجاهلية ، وقد ظل يحتفظ به فى عصوره المختلفة الى عصرنا، فشوقى له قصائد يبكى فيها المعاهد والديار ، ولعلنا نذكر حنين « عبد الرحمن الداخل » حين رأى نخلة بالأندلس فى حديقة قصر الرصافة فقال :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهى فى التغرب والنوى
وطول التنائى عن بنى وعن أهلى

نشأت بأرض أنت فيه غريبة
فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى

سقتك غوادي المزن فى المنتأى الذى
يسح ويستمرى السماكين بالوبل

يؤكد هذا الحنين من شعرائنا المهجريين شعورهم بأن هناك شبها بينهم وبين العرب القدامى الذين انطلقوا من مشرقهم البعيد الى بلاد الأندلس القاصية ، واستطاعوا أن يجعلوا هناك دولة للأدب الرفيع المتجدد فهم كذلك فى أرض « كولومبس » مفتربون فى أقاصى الأرض ولكنهم استطاعوا أن يقيموا للأدب العربى مملكة عظيمة ، وأن يدهشوا المشرق العربى بأدبهم الجديد الباهر فى أندلسهم الجديد كما أدهشه من قبل أسلافهم العرب الأندلسيون بموشحاتهم الجميلة فى أندلسهم القديم ، وهذا هو الشاعر المهجرى نسيب عريضة يقول « **اننا معشر المهاجرين وان كنا نعيش فى عالم غربى ونتأثر بمؤثرات غربية الا أن هذا لا ينسينا مجد آبائنا العرب وذكريات أسلافنا العظام فى الأندلس ممن تركوا آثارا فى التاريخ والأدب** » **ولذا كان أدب المهجريين استكمالا للوثبة التحريرية للشعر العربى التى بدأها الأندلسيون واستيحاء أمجاد العرب فى فردوسهم الذى أضاعوه ، وهذا هو** الشاعر المهجرى « الياس طعمه » الذى أسلم فى البرازيل وسمى نفسه « أبا الفضل الوليد » وهو أكثر شعراء المهجر تغنيا بأمجاد العرب فى الأندلس وحنينا الى عهودهم بها يقول فى قصيدته « النونية » وعنوانها « رثاء الاندلس » :

يا أرض أندلس الخضراء حيينا
لعل روحا من الحمراء تحيينا
عادت الى أهلها تشتاق فتيتها
فأسمعت من غناء الحب تلحينا
كانت لنا فعنت تحت السيوف لهم
لكن حاضرها رسم لماضينا

وفيها يقول :

فى البرتغال واسبانية ازدهرت
آدابنا وسمت دهرا مبانينا
وفى صقلية الآثار ما برحت
تبكى التمدن حينا والعلا حينا
كم من قصور وجنات مزخرفة
فيها الفنون جمعناها أفانينا
وكم صروح وأبراج ممردة
زدنا بها الملك توطيدا وتمكينا
وكم مساجد أعلينا مآذنها
فأطلعت أنجما منها معالينا
تلك البلاد استمدت من حضارتنا
ما أبدعته وأولته أيادينا
فيها النفائس جاءت من صناعتنا
ومن زراعتنا صارت بساتينا
فأجدبت بعدنا واستوحشت زمنا
تصبو الينا وتبكى من تنائينا

وهذه القصيدة الملأى بالذكريات الموجعة واللهفة على استرداد المجد المضاع تذكرنا بما قاله « الأسود بن يعفر » فى الجاهلية وهو يبكى آل محرق الذين حكموا الحيرة وأقاموا فيها الخورنق والسدير الشامخين ، وسينية « البحترى » فى ايوان كسرى الذى طاف بأطلاله فراعته وفيها يبكى الفرس ، وكذلك تفجع « ابن اللبانة » على بنى عباد بعد سقوط أشبيلية ، « وابن عبدون » فى رثاء بنى الأفطس بعد سقوط طليطلة فى يد الفونس السادس ، وفى هذه القصيدة نزعة دينية واضحة المعالم نجتزىء منها بقوله :

طليطلة أباح الكفر منها
حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى
ولا منها الخورنق والسدير
ألم تكن معقلا للدين صعبا
فذلله كما شاء القدير

وأكثر ما نجد ذلك التأثير الاستيحائى فى أدب المهجر الجنوبى ، وذلك لأن شعراء المهجر الجنوبى يعيشون بين أقوام ذوى وشائج وثيقة بالأسبان — أهل الأندلس — وهذه الصلة كافية للتأثير المباشر العميق يضاف الى ذلك أنهم قد اتصلوا ببعض شعراء الأسبان الذين كانوا يذكرونهم بعهود الأندلس الغابرة مثل الشاعر الاسبانى « فرنسسكو فيلا سبازا » الذى قضى شطرا من حياته بينهم فى البرازيل واتصل به عدد من شعراء العرب هناك ومن بينهم « فوزى المعلوف » وقد وضع « فيلا سبازا » مقدمة الملحمة الشعرية التى

نظمها فوزى المعلوف المسماة « على بساط الريح » وترجم الملحمة شعرا الى الأسبانية ، ويقال عن « فيلا سبازا » انه كان يحب العرب كثيرا ،بل كان يباهى بأنه من أصل عربى اندلسى وقد رثى أيامهم فى الأندلس بقصائد رائعة وله قصائد عصماء فى وصف الحمراء والزهراء واشبيلية وغرناطة وما كان للعرب فى هذه المواطن من حضارة وسؤدد ، وقد ترجم فوزى المعلوف احداها شعرا عن الأسبانية وهى بعنوان « غرناطة » ومنها :

غرناطة أواه غرناطة
لم يبق شىء لك من صولتك
هل نهرك الجارى سوى أدمع
تجرى على ما دال من دولتك
والنسمة الغادية الرائحة
هل هى الا زفرة نائحة
ما عدت فى النهر كسلطانة
جبهتها فى مائه ساطعة
للقبة الحمراء فى تاجها
وهج وللمئذنة اللامعة
آه على أمجادك الضائعة
شيعتها بالنظرة الدامعة

وما دمنا قد ذكرنا شاعر أسبانيا « فيلا سبازا » فلنذكر أثر خطبته البليغة التى ألقاها فى مسرح « سرفنتى » بمدينة «بولس أيرس» من بلاد الجمهورية الفضية بأمريكا فقد تحدث فيها عن الروح العربى ،وما كان له من تأثير فى حضارة أوربا الحاضرة وتمدح بأخلاق الشعب العربى وسجاياه النبيلة وسليقته الشعرية المفطورة فيه وما تركت من أثر خالد فى أسبانيا الى هذا اليوم حتى أن الروح العربية تكاد تكون ملموسة بنغماتها ومعانيها فى شعر الشعب الذى تعرب به الأمة الأسبانية عن مشاعرها الحقيقية، وقد انتقلت الروح العربية من أسبانيا الى أمريكا اللاتينية مع هذا الشعر الشعبى الذى حمله اليها الأسبانيون ولا سيما مهاجرو مقاطعة الأندلس الذين كانوا فى طليعة مستعمرى أمريكا الجنوبية ، وهكذا قال « فيلا سبازا » فى محاضرته القيمة التى ألقاها فى « سان باولو » وأطال فيها الحديث عن أمجاد العرب فى الأندلس فأهاج ذلك شاعرية « فرحات والقروى » فنظم كل منهما موشحا جميلا فى ذكرى الأندلس منتهجين آثار الأندلسيين فى نظم هذا اللون من الشعر الأندلسى الذى يسمى « موشحة » والذى ابتكروه منذ أواخر القرن الثالث للهجرة واستمر ينمو عندهم على مر العصور حتى نقلته البيئات ، والأقاليم العربية الأخرى بحيث أصبح فنا عاما بين العرب ، وموشحة « فرحات » بعنوان « تحية الأندلس » يستهلها بقوله :

أيقظت ذكراك آمالا جساما
كن فى أرجوحة الصدر نياما
وشجانا بلبل حولك حاما
فسقانا من أغانيه مداما
قد رأى منك دلالا واحتشاما
فانثنى حيران صبا مستهاما
ليس يدرى كيف يقريك السلاما

ويختتم ذلك الموشح الطريف بقوله :

يا ابنة الزهراء يا أندلسية
ان من أجدادك العرب بقية
لم تزل شامخة الرأس أبيه
لم تفرقها مساع أجنبيه
لم تفتتها دواع مذهبية
كلما مرت بها بها ريح الخزامى
أرسلت معها لأهليك السلاما

وجاءت موشحة « القروى » على نسق موشحة « فرحات » حتى لتكاد تتلاقى فيهما بعض التعابير والأبيات . وكان موشح الشاعر القروى بعنوان « تحية الأندلس » كذلك ويستهله بقوله :

خبرينا كيف نقريك السلاما
طيب النشر كأنفاس الخزامى
والشذا المحيى بسوريا العظاما
غادر الشام وبيروت وهاما
فى بلاد حرة لم تحن هاما
وأنوف لم يقبلن الرغاما
خبرينا كيف نقريك السلاما

وفيها يقول :

يا ابنة الزهراء يا أندلسية
لم تزل فيك من المجد بقيه

لمعت فيهـا السيوف المشرفيه
ضـاربات بزنود عربيــه
فعلى مثلك لا تلقى التحية
باكف لم يجـردن حساما
خبرينا كيف نقريك السلاما

وحينما القى الشاعر الأسبانى « فيـلا سبازا » محاضرته هذه وتبارى أدباء العرب هناك فى تكريمه ومن بينهم « فرحـات والقروى » كما قدمنا القى كذلك الشاعـر المهجرى « شكر الله الجر » قصيدة بعنوان « الأندلسية » يقول فيها :

أسرح فى محاسنهـا العيونا
وأذرى فى معالمهـا الشؤونا
بلاد كيف جال الطرف فيهـا
يرى أثر الجـدود الغـابرينا
كسـوا جنباتهـا جندا وخيلا
كما ملأوا شواطئهـا سـفينا
فسل عنهـم طليطلة حديثـا
ودونك عندها الخبر اليقينا
وسـل غرناطة فى أى ترب
ثوى من روعوا الدنيا مئينـا
تقلص ظلهم عنهـا وكانت
أعز بمن حوت منهم عرينـا
وسل كم معهد للعلم شادوا
بقرطبـة فكانوا السابقينا
فحسبك أرض أندلس فخارا
بانك كنت مهد الخالدينـا
ترعرع فى حماك المجـد طفلا
وشب علـى ثراك النابغونا

وللشاعر المهجـرى « شفيق المعلوف » قصيدة بعنوان « غرناطة » هى امتداد لهذا البكاء على المدن الزائلة فى الأدب العربى فمنذ سقوط طليطلة فى القرن الخامس للهجـرة اخذ الشعراء يرثون المدن حين تجتاحهـا الثورات وخير مثال لذلك قصـيدة « ابن الرومى » فى رثاء البصرة حين قام الزنج فيها بثورة عنيفة ويقول شفيق فى « غرناطة » :

لا عـين غـرناطة ولا أثر
دلت فهيهات تنفع الذكـر

أهكذا النسر بعـد رفعتـه
الى حضيض الهوان ينحـدر
يا سائل البدو عن حضارتهم
ينبيك عنها الصوان والحجر
فاستنب أشبيلية وقرطبـة
تجبك تلك المعاهد الزهر
لهم حديث لدى طليطلة
وعند غرناطة لهم خبـر

ولم يكتف شعراؤنا الأندلسيون الجدد « المهجريون » بأن استوحوا أمجاد الأندلس فى شعرهم ونثرهم بل سميت رابطة أدباء المهجر الجنوبى فى البرازيل باسم « العصبة الأندلسية » واليها ينسب أكثر الشعراء عددا وشهرة هناك وكذلك أصدر الشاعر شكر الله الجر مجلة دعاها «الأندلس الجديدة» واحتفى فيها بكل ما يتصل بأمجاد الأندلس بسبب ونشر فيها قصيدته هذه التى عنوانها « على شاطىء الأندلس » وفيها يقول :

لك الله فى الغرب من شاطىء
الى الشرق فى مجـده يرجع
تمر فتخشع فيـك النفوس
ومن ذا لماضيك لا يخشـع

وفيها يقول :

وقفت بشاطيك أذرى الـدموع
وأنـدب بالأمس ما ضـيعوا
فأين معاهـدك النـيرات
وأين مآذنك اللمـع ؟
وأين قصور كساها الفناء
وشاحا من الخلد لا يقشع
وأين جداولك الجـاريات
وأين خمائلك الضـوع
ملوك القـريض وأربابـه
تغمدهم تربك الممـرع

واذا كان أكثر تصوير الأندلسيين لشعر الطبيعة انما هو تجديد لتراث المشارقة وكان القرن الرابع للهجرة هو أهم القرون فى الشرق التى أثرت فى الشعر الأندلسى فان شعراءنا المهجريين قد تأثروا بما كان فى تراث الأندلس ولكنهم ما زالوا يغورون فى أعماق أذهانهـم وخيالهم منقبين فى طبقات أعمق من مشاعرهم

حتى يستخرجوا الصور والأخيلة التى ينفثون فيها من روحهم فتتحول فى كثير من جوانبها الى لوحات حية رائعة .

وهذه قصور الحمراء رمز لعمارة بازخة نماها العرب فى الأندلس منذ عصر بنى أمية حتى عصر بنى الأحمر ولا تزال آثار هذه القصور واطلالها منبثة فى مدن الأندلس وهى رمز حضارة عربية اسلامية رائعة استطاع العرب ان ينهضوا بها فى الأندلس تؤازرها نهضة كبيرة فى العلم والمعرفة والفقه والفلسفة والشعر والنثر واستمرت حتى فارق العرب هذا الفردوس الأرضى وهذا الشاعر « أبو الفضل الوليد » يقول من قصيدته فى « حمراء غرناطة »

أمعاهد الحمراء هل تدرينا
ماذا لقيت من العدا ولقينا
نزعوك منا بعد تكسير الظبى
فبتعس من فقدوك تفتخرينا
هذا جلالك عن جمالك مخبر
فلأنت رسم المجد من ماضينا

وحين يقول الأديب يعقوب صروف « ان كانت الأندلس قد عطرت الشعر العربى بأريج رياضها فأمريكا قد ألبسته حللا من الحياة والنور وجسمت صوره الخيالية حتى تكاد تلمسها باليد ولو أنها ألطف من الأثير » نجد ما يؤيده فى القصيدة الشامخة التى نظمها الشاعر « أبو الفضل الوليد » وعنوانها « الى فتاة الأندلس » من ديوانه ! الأنفاس الملهبة » وفيها يقول :

هذا المحيا خليط اللون والنسب
فيه تلاقى دم الأسبان والعرب
فى الحرب والحب قد كان امتزاجهما
فانزل الحسن منه آية العجب
على جبينك تاريخ صحائفه
مكتوبة بحروف النور والذهب

اذا الفراسة صحت قلت مفتخرا
يابنت عمى : حباك الحسن خير أب
فحدثينى عن الأطلال دارسة
ففى حديثك شىء ليس فى الكتب
يا قرطبية هل شاقتك قرطبة
مثلى فهزتك نوبات من الطرب ؟
ليس الجمال الذى أشتاق بهجته
من حمرة الروم بل من سمرة العرب

وخير ما نختتم به هذا المقال ما قاله الأديب المهجرى الكبير « أمين الريحانى » فى مقاله الطويل « نور الأندلس » فى الجزء الثالث من « الريحانيات » ولم نعرف احدا من أدباء المهجر الشمالى استلهم الأندلس غيره لأنه زارها ووقف على ما فيها من آيات الفن العربى الرائع فى بقايا قصورها ومعابدها « لله عزك يا ابن أمية ومجدك يا ابن عباد .. أى عبد الرحمن والمنصور والمعتمد من شادوا معاهد العلم والدين . لقد طالما اهتزت النفس لذكر مآثركم ، وطالما وقفت العين شغفا عند اسمائكم فى التاريخ ، ولقد طالما تاقت النفس منى والعين الى مشاهدة ما تبقى من تلك الآثار المجيدة ، وها قد استجيب طلبتى وتحقق أكبر آمالى فقد وطئت أرضا عطرتها شمائل العرب وجلت بلادا عمرتها همم العرب ووقفت أمام عروش هدمها تفرق العرب » .

وبعد فهؤلاء هم الشعراء المهجريون يتحدثون عن الأندلس العربية الاسلامية ويستوحى كل منهم تاريخها وأمجادها من عمرانها ومن اطلالها ويمجد أيامها وحضارتها وعلومها وفنونها فنرى فى كل ما قالوا الروح العربى المخلص المؤمن بالعروبة وماضيها المجيد .

دور الشباب في الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد فتحى محمود

"ذو الجناحين"

جعفر بن أبى طالب

اذا كان لبيت من بيوت قريش أن يفخر بما قدم للاسلام والمسلمين ، فان لبيت أبى طالب الفخر كل الفخر . فلقد شاء الله أن يجعل من هذا البيت المأوى الكريم والدرع الحصين .

فأبو طالب : هو الذى كفل النبى صغيرا بعد أن فقد أمه فى السادسة من عمره وفقد جده فى الثامنة ومن قبلهما كان قد ولد يتيما. وكان أبو طالب بارا بابن أخيه محمد ، عطوفا عليه يفضله على بنيه ، وترعاه زوجه خير الرعاية حتى ليحس الطفل اليتيم أنه لم يفقد اباه ولم يفقد أمه وقامت بين الفتى محمد وعمه الشيخ أبى طالب .. عاطفة من الحب والاعجاب ظلت تقوى على مر الزمن ، حتى اذا ما بعث الله محمدا رسولا وقام يدعو الى ربه ووقفت قريش كلها تحاده : وقف عمه أبو طالب : يرد عنه الأذى وجعل من نفسه الدرع الذى يحميه واحتمل فى سبيل الدفاع عنه والمحافظة عليه عداء قومه جميعا ومقاطعتهم له وحصرهم اياه وبنى هاشم ثلاث سنين كادت تهلكهم جوعا، ولم يقبل فيه مساومة ولا مفاوضة ، ولولاهذه الحماية وهذه الرعاية ما كان أحد يستطيع أن يتصور ما اذا كان يحدث لهذا الرجل

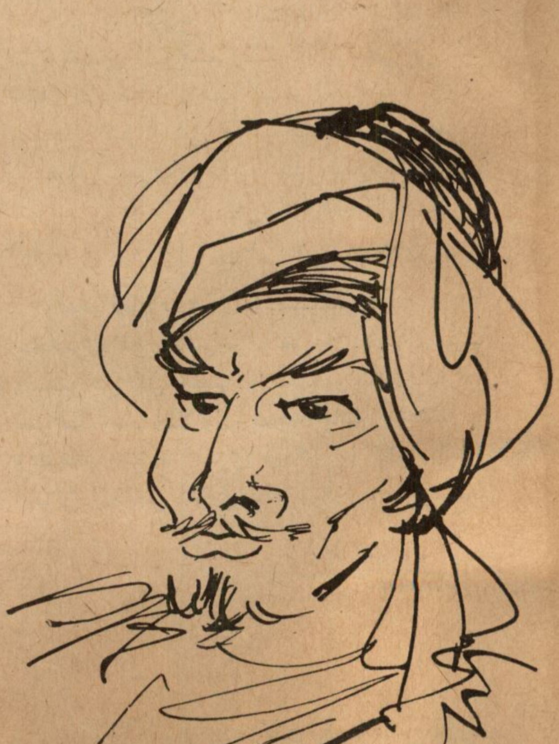

الوحيد الذى قام يدعو الى رسالة ربه ، ولا ماذا كان مصير هذه الرسالة التى كتب الله لها أن تغير مصير العالم وتحول مجرى التاريخ .

واذا كانت التقاليد قد حالت دون أبى طالب واعتناق الاسلام دينا فانها لم تجعل منه انسانا قاسى القلب مغلق الوجدان ، جامد التفكير ، وهو وان أحس سطوة التقاليد على شيخ كبير مثله ، لم يرد لهذه التقاليد أن تتحكم فيه من كل ناحية فتجعله يحول بين بنيه وبين الهدى الذى لعله كان يألم فى نفسه أنه لا يستطيع أن يسير فى ركابه .

درعا يتلقى عن محمد طعنات الطاغين، وحصنا صبى وتابع ابن عمه محمدا بل لعله اغتبط لذلك وفرحت به نفسه ، فلقد رأى النبى مرة يصلى والى يمينه ابنه على فقال لابنه جعفر « صل جناح ابن عمك وصل عن يساره »

وهكذا وجه أبو طالب ابنيه للاسلام وأراد لهما أن يكونا جناحين لابن أخيه ، فى الوقت الذى جعل فيه من نفسه — برغم عدم اسلامه — درعا يتلقى عن محمد طعنات الطاغين ، وحصنا يحميه هجوم المحنقين الثائرين

وليس موضوع حديثنا أن نتكلم عن أبى طالب فى هذا المقال ، ولا عن ابنه على فارس رسول الله وسيفه وختنه ، وانما نفرد الكلام هذه المرة عن ابنه الثانى « جعفر بن أبى طالب » الذى شاء له ابوه أن يصل — الجناح الأيسر من رسول الله .

وجعفر بن أبى طالب يكبر أخاه عليا بعشر سنوات ، وكان حين أسلم الثانى والثلاثين من تعداد — المسلمين . واذا كان على قد أسلم وهو صبى فى الساعة أو فى التاسعة فان جعفرا بذلك يكون قد أسلم دون العشرين من عمره .

كان جعفر شابا وسيما جميلا حسن الأخلاق هو أشبه الناس برسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلقا وخلقا . واشتدت مساءات قريش بالمسلمين ، وزاد اعناتها لهم وارهاقها اياهم وبلغت قسوتها حتى قتلت من قتلت من المستضعفين وكان أول من استشهد فى سبيل الله آل عمار بن ياسر ، ماتت أمه سمية بطعنة من يد أبى جهل ، ومات أبوه ياسر تحت العذاب ، ولم يسلم من الأذى حتى من كان من أقوى العشائر وأعز البيوت فقد تواصت قريش جميعا بتعذيب المسلمين . ولم يجد رسول الله مخرجا لهؤلاء المظلومين الا الهجرة بدينهم الى الله ، وأذن لهم بالذهاب الى الحبشة فان عليها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهاجر الى الحبشة عدد من المسلمين لقوا فى جوار ملكها الأمن والرعاية ، لكنهم بلغهم بعد ذهابهم أن قريشا قد تابعت النبى واهتدت الى الاسلام — وكانت قريش قد هدأت من شدتها بعد أن دخلت الاسلام شخصيات قوية البأس يخشى من شدتها ويخاف من أن تحول الصراع الى حرب من أمثال حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب . ولكنهم حين عادوا وجدوا قريشا قد أفاقت الى نفسها ونظمت قوتها وبدأت تتخذ موقفا جماعيا أقسى من المواقف الفردية .

فعاد بعض المسلمين الى هجرتهم وتبعهم عدد كبير ، وفى هذه المرة كانت الهجرة على شكل بعثة منظمة عليها رئيس ، ذلك هو الفتى جعفر بن أبى طالب ولقيهم النجاشى أكرم اللقاء وأكرم مثواهم .

خشيت قريش مغبة الأمر ، وقدرت عواقب هذه الهجرة ، فلقد وجد المسلمون لهم مأوى يأوون اليه اذا حزب الأمر ، كما وجدوا لهم سواعد قوية فيمن أسلم من الرجال الأشداء ، ولعلهم ان يئسوا من قريش أن يستعينوا بالحبشة فتمدهم بقوة يعود بها جعفر ومن معه ، فتصطلى قريش بحرب من الداخل والخارج ، فأرادت قريش أن تسد الباب وأن تقضى على أحلام المسلمين ان كانت هذه الاحلام راودت نفوسهم . لذلك اختارت رجلين من أدهى رجالها ومن أحسنهم خلقا ، الداهية عمرو بن العاص والرجل الوسيم — الجميل عمارة بن الوليد ، وحملتهما بالهدايا والتحف الى النجاشى ، وبطارقته ليرد اليها هؤلاء الفارين اليه ، الخارجين عليها .

وصل عمرو ورفيقه الى الحبشة فدفعا الى النجاشى ، والى بطارقته ما حملا من هدايا كى يردوا المهاجرين من أهل مكة اليها . ثم قالا

« أيها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثتنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه » وكان الرجلان قد اتفقا مع بطارقة النجاشى بعد أن اتحفاهم بالهدايا أن يعاونوهما على رد المسلمين دون أن يسمع النجاشى كلامهم ، فلقد كان عمرو بن العاص يقدر ما لجعفر من فصاحة لسان ورجاحة عقل وقوة ايمان مع حسن سمت وكمال شخصية تأخذ بمجامع القلوب . وأبى النجاشى أن يفعل حتى يسمع للمهاجرين ، — وبعث فى طلبهم فلما جاءوا سألهم : —

ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ .

وتولى الرد جعفر فقال :

« أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الجنائب فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك » .

فقال النجاشى : هل معك شىء مما جاء به عن الله تقرؤه على ؟

قال جعفر : نعم ، وتلا عليه سورة مريم حتى قوله تعالى **« فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ، قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا » .**

فلما سمع البطارقة هذا القول اعجبوا به ان رأوه مصدقا لما بين يديهم من الانجيل وقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .

ثم رد هدايا القوم وقال للسفيرين اذهبا والله لا أسلمهم اليكما . وأدار عمرو مكره ، وأعمل فكره وقال لصاحبه والله لآتينهم غدا بداهية تأكل خضراء هم . وفى الغد ذهب الى النجاشى ، وقال ان القوم يقولون فى المسيح قولا عظيما ، يقولون : انه عبد مملوك ، ودعا النجاشى جعفرا والمسلمين ، فقال ما تقولون فى عيسى ، فقال جعفر : نقول فيه الذى جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشى عودا وخط به على الأرض ، وقال وقد بلغت به المسرة كل مبلغ : ليس بين ديننا ودينكم اكثر من هذا الخط .

وهكذا فشل مكر ابن العاص أمام شجاعة وايمان ابن أبى طالب . وظل المسلمون بالحبشة فى اكرم جوار تحت رعاية النجاشى الذى أعلن على يدى جعفر اسلامه بعد أن وصله كتاب من رسول الله يدعوه الى الاسلام، وان يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان والتى مات عنها زوجها ، وقد زوجها النجاشى لرسول الله وحمل عنه مهرها .

وهاجر النبى الى يثرب واتخذها له مقاما واشتد ساعد الاسلام وأعزه الله بنصره فى بدر وغيرها من المعارك حتى كان صلح الحديبية سنة ٦ هـ ثم فتح خيبر ، وفى أثناء الفتح عاد المسلمون من الحبشة برئاسة جعفر ولقيهم الرسول عند خيبر بعد فتحها ، فاعتنق جعفرا وقبله بين عينيه وقال : **« ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر**

والواقع أن الظروف كانت تؤيد وجهة نظر عقيل .. أفلم تكن زوجا لأمير مترف من آل مروان ؟ ثم هى معه فى ربوع الشام لا فى فيافى الحجاز ونجد . ولم يكن أمراء البيت المالك حينئذ يتأثمون ، بل لعل شرب الخمر كان قليلا من كثير مما يقترفون .

وهل تستطيع المرأة — ولو كانت بنت شيخ العرب عقيل — أن تتأبى اذا أرادها زوجها على أن تنادمه وتعافيه الكأس الروية ..؟

ولكنه على كل حال ظن ورجم بالغيب . والشريعة الاسلامية فى مثل هذه الأمور تتطلب البينة التى لا شبهة فيها . من أجل هذا قال جثامة مدافعا عن أخته :

— وهل أساءت ؟ .. انما أجازت وليس غيرى وغيرك ..

ويريد عقيل أن ينهى هنا الحديث على طريقة شيوخ العرب الذين لا يسألون عما يفعلون والعياذ بالله ، فهو وحده — جل وعلا — الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ذلك بأنه لا يفعل — سبحانه — الا بمقتضى حكمته وعدله ورحمته ، فهو الحكم الحكيم العدل الرحيم ، فى حين أنهم ليسوا الا متحكمين مستبدين جائرين جاهلين .. ويسدد عقيل ويرمى ابنه بسهم فيصيب الساق وينفذ منها ومن الرحل ثم يشد على الجرباء فيعقر ناقتها ويحملها على ناقة جثامة ويتركه عقيرا مع ناقة الجرباء ، ويقول لها :

— لولا أن تسبنى بنو مرة ما ذقت الحياة .. أما والله لو خبرت بنو مرة خبر جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون لقتلتك ولا أبالى .

فلما قدموا على قوم يقال لهم **(أهل أبير)**

ندم عقيل على فعلته بابنه فقال للقوم :

— هل لكم فى جزور انكسرت ؟

قالوا : نعم .

قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور . فخرجوا حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، يكاد يكون مائتا فاقتسموا الجزور واحتملوه وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برىء . فحملوه على راحلة وارتحلوا معه ليبلغوه مأمنه عند أهله . فلما كانوا قريبين منهم تغنى جثامة :

أيعذر لاهينا ويلحين فى الصبا
وما هن والفتيان الا شقائق

قالوا : ويلك .. لقد نجوت ، وما كدت تنجو من الجراحة التى أصابتك من جراء هذا الذى يكره أبوك . فاذا أنت عاودته فانه لابد يلحقك منه شر وعر . أمسك ويحك وانج بنفسك .

قال : انما هى خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى .

لقد كان عقيل بن علفة مسلما جاهلى النزعة

أشرب قلبه العجرفية والجفاء على خلاف بنيه الذين نشأوا فى الاسلام فأشربت قلوبهم سماحة ورقة ومشاعر جديدة تأباها شعائر العهد البائد . فلم يكن طبيعيا أن يقر قرارهم جميعا على ما بينهم من خلاف أصيل . فكان أن تفرق بنوه فى البلاد وبقى وحده .

وكان يجاوره رجل من بنى صرمة **يقال له بجيل** ، كثير المال والماشية . فحطم بيوت عقيل بماشيته ولم يكن أحد من قبل يقرب من بيوت عقيل الا لقى شرا . فطردت أمه له الماشية فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجها فخرج اليه عقيل وحده . وكان قد هرم وكبرت سنه فزجر بجيلا . فلم يكن من هذا الا أن ضربه بالعصا واحتقره ..

فجعل عقيل يصيح : ياعلفة ياعملس يافلان يافلان .. يعنى بنيه .. وكانوا كثيرين يستغيث بهم ناسيا أنه شتتهم وانه أصبح ((بيضة البلد)) وحيدا ليس ثم من يحمى حماه . فقال له أرطاه بن سهبة :

أكلت بنيك أكل الضب حتى
وجدت مرارة الكلأ الوبيل

ولو كان الألى غابوا شهودا
منعت فناء بيتك من بجيل

ولم يكن أمر عقيل بالهين فتحدث به الركبان ، وبلغ الخبر ابنه العملس وهو بالشام فكر راجعا الى أبيه حتى نزل اليه وعمد الى بجيل فضربه ضربا مبرحا وعقر عدة من ابله وأوثقه بحبل وجره حتى جاء به يقوده الى أبيه وألقاه بين يديه .. ثم عاد الى راحلته فارتحلها قافلا الى الشام لم يطعم لأبيه طعاما ولم يشرب شرابا .

أما علفة ابنه الأكبر - صاحب قصة (دير سعد) فقد بقى فى الشام جنـديا غازيا فى سبيل الله حتى استشهد فى احدى غـزوات المسلمين . فنعاه مضرس بن سواده لعقيـل فلم يصدقه

ولكن الخبر لم يلبث أن تحقق ، فقال عقيل:

لعمرى لقد جاءت قوافـل خبـرت
بأمر من الدنيا على ثقيـــل
وقالوا ألا تبـــكى لمصرع فارس
نعته جنود الشام غير ضئيل
فأقسمت لا أبكى على هلك هالك
أصاب سبيل الله خير سبيـل
كأن المنـايا تبتغى فى خيـارنا
لها نســبا أو تهتدى بدليـل
نحل المنايا حيث شـاءت فانهـا
محللة بعد الفتى ابن عقيــل
فتى كان مولاه يحــل بربوة
محــل الموالى بعـده بمسيل

فها أنت ذا تراه رجلا مسلما يأبى عـلى ثقل الكارثة أن يبكى ابنـه ما دام قد مات شهيداً فى خير سبيل .. سبيل الله .

قال الزهرى : ان عقيلا كان أجهل الناس وهو لا يعنى بالجهل عدم المعرفة ، وانمـا يعنى تلك العجرفية وذلك الجفاء البـدوى الجاهلى الذى ما كان عقيل بن علفة ليتخلص منه أبد الدهر .

فقد كان نمى الى الزهرى أن عقيـلا قال لرجل من قريش :

- بالرفاء والبنين والطائر المحمود .

فقيل له :

- يا ابن علفة انه يكره أن يقال هذا .

فقال : ياابن أخى ماتريد الى ما أحدث .. ان هذا قول أخوالك فى الجاهلية الى اليوم لا يعرفون غيره .

أن الرجل متمسك بسنن الجاهلية ، وله فقهه فى أنها لا تنافى الاسلام ..

كان مرة عند عمر بن العزيز ، فجرى بينه وبين يعقوب بن سلمة واخيه عبد الله كلام فأغلظ يعقوب لعمر فى الكلام ، فقال عمر :

- اسكت فانك ابن اعرابية حافية - وانما جاءته الأعرابية من خؤولة عقيل - فقال عقيل لعمر :

- لعن الله شر الثلاثة منى ومنك ومنه . فغضب عمر

فقال صخر بن أبى الجهم :

- آمين ، فهو والله يا أمير المؤمنين شر الثلاثة .

فقال عمر :

- والله انى لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها .

فقال عقيل : بلى والله انى لقـارىء لآية وآيات .

قال : فاقرأ .

فقرأ ((**انا بعثنا نوحا الى قومه ...**))

فقال عمر : قد أعلمتك انك لا تحسن . ليس هكذا قال الله .

قال : فكيف قال ؟

قال : ((**انا أرسلنا نوحا ..**))

قال عقيل : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا ؟

هذا جنب هــرش أو قفاها فانما
كلا جانبى هــرش لهن طــريق

يريد أى جانبى (هــرش) سلكت فانت واصل .. أو كما يقال الآن : كل الطرق مؤدية الى روما ، ويروى من طريق آخـر انه قرأ .

((**اذا زلزلت الأرض زلزالها**))

فلما انتهى الى آخرها قال ((فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن يعمل مثقـال ذرة خيرا يره)) فلما نبه الى أن نظم الآيات قدم الخير ، أجاب بجانبى هرش المؤديين كليهمـا اليهن .

ولعل أقرب بنى عقيل خلقا من أبيه ابنـه المقشعر ، يروى صاحب الأغانى انه نزل اعرابى على المقشعر بن عقيل بن علفة المرى . فشربا حتى سكرا وناما فانتبه الأعـرابى مروعا فى الليل وهو يهذى . فقال له المقشعر : مالك؟

قال : هذا ملك الموت يقبض روحى .

فوثب ابن عقيل قائلا : لا والله ولا كرامـة ولا نعمة عين .. يقبض روحك وأنت ضـيفى وجارى ؟

فقال الأعرابى : بأبى أنتم وأمى طال والله ما منعتم الضيم .. وتلفف ونام .

وأخشى أن أثقل عليك ، فان الحـديث عن عقيل بن علفة وبنيه يطول .

الإسلام عدو التعصب

محمود أبو الفيض المنوفى

لقد جاء الاسلام مصرحا بأن عباد الله كلهم متساوون فى أصل الخليقة لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود ولا فرق بين غنى وفقير ولا تفاضل بين الصعلوك والأمير ماداموا يعبدون الها واحدا لا يشركون به شيئا ويؤدون الحقوق فيما بينهم على شريطة العدل والاحسان ويقول الله تعالى : « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » وترى أن الله سبحانه وتعالى قدصدر هذه الآية الكريمة بقوله « يأيها الناس » ويريد بذلك النوع الانسانى كله ولم يقل يأيها المسلمون فقط وما ذلك الا لكون الاسلام جاء بالهدى والنور للناس كافة وقد دلت الآية فى عجزها على أن أكرم عباد الله عنده هم الأتقياء الخيرون ولا فرق بين أمة وأمة ولا تمييز بين فريق من الناس وفريق لأن الاسلام جاء للجميع ورسوله أرسل الى العالمين كافة هاديا ومبشرا ونذيرا « **وماأرسلناك الا كافة للناس** » « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » ولذا يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » ويقول الله عز وجل « **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » ، وقال رسول الله – صلى عليه وسلم – « **المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم** » وبكل هذا يتبين المتأمل أن التسامح الدينى فى الاسلام يحمل المسلم على احترام مخالفه فى الدين ويحرم عليه ماله ودمه الا بالحق .

والذى يحمل المسلم على اسداء المعروف لمخالفيه واكرامهم والاحسان اليهم والوفاء لهم والتأدب بآداب الكتاب والسنة ، والتأسى بصفات الرسول واتباع الخلفاء الراشدين فى أخلاقهم الكريمة فى الاحسان والرحمة بجميع الداخلين فى حكمهم وذمتهم .

وكان رسول الله – صلى عليه وسلم – يكرم رهبان النصرانية وأحبار اليهود ويجاملهم

ويحاسنهم ويصبر على أذاهم ، وقد أمنهم على أموالهم ودمائهم وصوامعهم ومعابدهم ، وكان يقول - صلى الله عليه وسلم - « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » وكان أحد اليهود من جيران الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثير الأذى له ، حتى أنه كان يضع الأقذار فى طريقه اذا خرج الى المسجد فمرض ذلك اليهودى وافتقده النبى وسأل عنه، فقيل له انه مريض ، فذهب - صلى الله عليه وسلم - لعيادته ، فلما رأى اليهودى كرم أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعطفه على جميع الناس قال له : تالله ان من كان مثلك لا ينبغى أن يأتى الا بحق ، وانى أشهد ألا اله الا الله - ، وأنك رسول الله حقا وصدقا .

ويروى أن يهوديا جاء الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يشكو عليا رضى الله عنه ، مدعيا دينا عليه ، ولما أراد أمير المؤمنين عمر أن يحكم بينهما ورأى عليا جالسا واليهودى واقفا ، فقال له قم يا على فساو خصمك فقام على مبتسما وشاكرا لعمر حيث نبهه الى وجوب المساواة ، ويروى أيضا أن ابن عمرو بن العاص كان يتسابق مع بعض القبط فسبقه القبطى ، فأخذته العزة فلطمه قائلا : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ الخبر عمر رضى الله عنه ، فكتب الى عمرو : ياعمرو « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ثم استقدم الخصمين الى المدينة ، فأوقفهما أمامه وأمر القبطى أن يضرب خصمه قائلا : اضرب ابن الأكرمين .

هذا وقد كان المسلمون فى كل عصورهم حبا فى نشر العلم وخدمة الانسانية ، وعملا بمبدأ التسامح الدينى الذى نص عليه كتابهم وأوصت به سنتهم ، يحاسنون عباد الله جميعا ، ويعاملونهم باحسان وكرم بصرف النظر عن مللهم ونحلهم وأنسابهم ، وكان فيهم النصرانى واليهودى ، والصابئى والسامرى والمجوسى ، وكان الخلفاء يعاملونهم بالرفق والاكرام ، مما يصح أن يكون مثالا صالحا فى المساواة والحرية ، وقدوة حسنة لجميع أهل الأديان ، ويقول الله تعالى فى حق المسيحيين خاصة « **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون** » ويقول الله تعالى للمسلمين « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** » ومن أمثال تسامح المسلمين وسماحتهم مع غيرهم أنه وفد فى عصر العباسيين كثير من علماء النصارى واليهود والبراهمة والهنود وغيرهم على بغداد، واختلطوا بالمسلمين ودخلوا فى خدمتهم لما أنسوه من عدلهم فى دولتهم واطلاق حرية الأديان لرعاياهم، والمساواة بين الناس ، حتى أنهم كثيرا ماكانوا يوسطون أمراء المسلمين فى فض الخلافات بين طوائفهم وأساقفتهم وملوكهم ورعاياهم ، ومن هؤلاء جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور وابنه بختيشوع بن جورجيس الذى استخدمه الرشيد ، ومنهم حنين بن اسحاق العبادى ، وهو من نصارى الحيرة وابنه اسحاق بن حنين ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى ، وهو من نصارى الشام ومنهم ماسرجويه وابنه عيسى وثابت بن قره الحرانى ، وهو من الصابئة ، وكان فى خدمة المعتضد العباسى وابنه سنان والحجاج بن مطر وكان من تراجمة المأمون ، وعبد المسيح بن عبد الله الحمصى ، واصطفان بن باسيلى ، وموسى بن خالد ، وابن البطريك، وكان فى أيام الحسن بن سهل ، وأبو بشر متى ابن يونس ، ويحيى بن عدى ، وغيرهم وغيرهم « لأن ذلك قليل من كثير .

واليك بعض ما جاء فى رسالة النبى - صلى الله عليه وسلم - وعهده الى رهبان دير القديسة كاترينا « هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشيرا ونذيرا وأمين الخلق أجمعين ، ووديعة الله فى خلقه ، كى لا تكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما كتبه عهدا فى ذمة من هم على دينه ، لأولئك القوم الذين هم على دين النصرانية فى مشارق الأرض ومغاربها بعيدهم وقريبهم مجهولهم ومعلومهم ، هذا كتاب ما عهده اليهم ، فمن خالف مافيه من العهد يكون مخالفا ومفسدا

لعهد الله وميثاقه ، ومستحقا للعنته ان يكن سلطانا أو كان غيره من المسلمين المؤمنين ، فمتى كان راهب أو سائح فى جبل أوواد أو مغارة أو معمور أو سهل أو كنيسة أو معبد، فنحن من ورائهم وهم فى ذمتنا ، وانى لأذب عنهم بنفسى وأعوانى وأنصارى هم وأموالهم ومعابدهم اذ أنهم من رعيتى وأهل ذمتى فلا يسلب أحد سياحهم ولا يهدم بيتا من بيوت كنائسهم ولا يتلفه ، ولا يدخل شيئا منه الى بيوت المسلمين ، وكل من أخذ شيئا من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله وخالف رسوله • ولا يطرح خراج على قضاتهم ولا رهبانهم ولا من كان مشتغلا بالعبادة منهم ، ولاشىء آخر غرامة كان أو خراجا أو مظلمة ، فانى أحفظ ذمتهم فى البر والبحر ، والمشرق والمغرب ، والشمال والجنوب ، أينما كانوا وهم فى ذمتهم وميثاقهم وأمانيهم من جميع مايكرهون الى أن قال : ولا يكلفهم أحد بسفر أو يلزمهم بحرب أو نقل سلاح ، انما المسلمون يحاربون عنهم ولا يجادلونهم الا على أحسن وجه اتباعا للآية « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** » فيعيشوا مرحومين ويمنع عنهم مايكدرهم أو يضيع عليهم أينما كانوا وفى أى محل نزلوا ، واذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك الا برضاء تلك المرأة ، ولا تمنع من الذهاب الى كنيستها لأجل الصلاة • وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ولا من ترميم أديريتها ، ولايلزمون بشىء مما يجب على المسلمين ، وانما المسلمون يذبون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا العهد الى يوم القيامة وانقضاء الدنيا • هذاالعهد الذى كتبه محمد بن عبد الله الى جميع ملة النصارى ، واشترط جميع ذلك ليفى به ومعه أيضا الذين أثبتوا أسماءهم وشهادتهم ،وقد أشهدالصحابة العظام عليه ، فى آخره وهم : أبوالدرداء ، أبوهريرة، عبد الله بن مسعود ، العباس بن عبد المطلب، الفضل بن عباس ، الزبير بن العوام ، طلحة بن عبيد الله ، سعد بن معاذ ، سعيد بن عبيد ، معظم بن قريش ، الحارث بن ثابت ، عبد العظيم بن حسن ، عبد الله بن عمرو بن العاص، عمار بن ياسر • « وكتبه على بن أبى طالب بخطه فى مسجد النبى صلى عليه وسلم »

مع مبعوثات الفيليبين فى دار الضيافة

فى يناير سـنة ١٩٦٢ .. استقبلت دار الضيافة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ثمانى طالبات من الفيلبين .. جئن للدراسة فى القاهرة على نفقة المجلس وتحت اشرافه ورعايته ..

وكانت هذه أول مرة تستضيف فيها دار الضيافة مبعوثات من الفيلبين . عندما التقيت بهن لأول مرة كن يتحدثن باللغة الانجليزية فقط .. ثم التقيت بهن بعد شهرين .. فتحدثن معى باللغة العربية والعامية بطلاقة أدهشتنى .. فكيف استطعن خلال هذه الفترة الوجيزة أن يكتسبن اللغة العربية .. ويتحدثن بها ..!

ومن خلال ساعة أمضيتها معهن فى دار الضيافة .. حدثتنى كل واحدة عن دراستها وآمالها .. وانتقل بنا الحديث الى المرأة فى الفيلبين .. ثقافتها .. مركزها الاجتماعى .. التقاليد التى يمتاز بها شعب الفيلبين فى الأعياد والمناسبات الدينية ..
والطالبات الثمانية هن :

من ولاية كوتاباتو :

١ ـ فريدة أوكا : وتقول : « كنت أدرس الطب .. ودراسة الطب هناك عشرة أعوام وقد أمضيت سبعة أعوام فى كلية الطب .. ثم تركتها وجئت للقاهرة لدراسة الطب فى جامعة القاهرة .. »

٢ ـ حسنة باجنيد : وتقول : « كان أملى أن التحق بكلية التمريض بالاسكندرية .. وذلك لأن التمريض فى الفليبين له شأن كبير .. وتقبل عليه الفتاة هناك بكثرة .. ولكن عندما علمت انه يدرس هنا باللغة العربية .. غيرت رأيى وخشيت الفشل .. وقررت دخول كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية .. »

٣ ـ نظيمة جامبونج : وجاءت لتلتحق بكلية الطب ..

من ولاية هولو ـ سولو :

٤ ـ ليجايا الباد : تقول انها « حصلت على بكالوريوس الصيدلة من الفليبين .. وقد جاءت الى القاهرة لدراسة الماجستير فى الكيمياء .. »

٥ ـ أدبيرة أملىء : بعد أن حصلت على الثانوية . مكثت عامين بمعهد السكرتارية . ثم عاما بمعهد لتصفيف الشعر .. ثم قدمت الى القاهرة لدراسة الطب ..

٦ ـ علويه أبو بكر .

٧ ـ اندا جميل .

٨ ـ ارلندا فسنتى .

سوف يلتحقن بكلية الطب ..

قالت لى فريدة أوكا .. من ولاية كوتاباتو : « .. منذ جئنا الى القاهرة لم نشعر ابدا بالغربة .. وكأننا فى بيتنا ومع أسرتنا .. وفى وطننا .. وقد أدهشتنا

مبعوثة من الفلبين تكتب اللغة العربية

القاهرة الحديثة بمعالمها وتقدمها الصناعى والفنى والثقافى ..

وقد قام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بعدة رحلات داخل الجمهورية العربية لكى نتعرف على معالم البلاد .. فزرنا المنصورة وبور سعيد والسويس والاسماعيلية والقناطر الخيرية وانشاص والفيوم والمحلة الكبرى .. ولم يمر بنا يوما خميس وجمعة الا وكنا فى احدى هذه البلاد .. وسوف نزور فى الأيام القادمة حلوان والمتحف المصرى والهرم وحديقة الحيوانات ..

ونحن سعداء جدا بهذه الزيارات التى اكسبتنا معلومات كثيرة عن بلاد الجمهورية العربية واطلعتنا على التقدم والازدهار الذى تتمتع به البلاد هنا ..

وقالت حسنة باجنيد :

الكبرى .. اعجبنا القطن المصرى وقد تعلمنا منهم ٣ مليون مسلم فقط ..

الخياطة واصبحنا نصنع ملابسنا بأنفسنا الآن ومن المنسوجات القطنية المصرية .. »

- اما ارلندا فسنتى : فانها تجيد العزف على البيانو .. وقد أسعدها وجود بيانو فى دار الضيافة .

هذا .. وهن يتلقين دروسا خاصة فى اللغة العربية يوميا الى جانب القراءة والاطلاع ..

وتقول ليجايا الباد : « لقد اعجبتنا الأكلات المصرية .. وتعودنا عليها بسرعة »

أما الأكلة الوطنية عندنا فهى « فراخ وأرز مسلوق وزبد » .

وقالت نظيمة : « ان الفليبين عبارة عن ٧٠٠٠ جزيرة .. وجزيرتى ميندانا وسولو كل سكانهما مسلمون .. أما باقى الجزر فأغلب سكانها مسيحيون ..

وعدد سكان الفليبين ٢٧ مليون نسمة منهم ٣ مليون مسلم فقط

وسألت نظيمة عن مظاهر الاحتفال برمضان هناك .. فقالت :

« ان ولاية كوتاباتو التى نشأت فيها نظرا لأن الاقلية فيها مسلمون لذلك ليس لرمضان البهجة التى توجد فى جزيرة منداناد مثلا .. وتمر علينا أيام رمضان عادية لانحس ببهجتها .. وفى العيد تقام حفلات عائلية تذبح فيها الخراف » .

وسألت أرلندا عن مظاهر الاحتفال بالحج فى ولاية هولوسولو . فقالت :

« كل فرد عندنا يحمل اسمين .. اسما اسلاميا واسما أجنبيا .. فاذا أدى فريضة الحج يلغى اسمه الأجنبى ويصبح له اسم اسلامى فقط يدعى به ..

فأنا مثلا اسمى الاجنبى أرلندا .. واسمى الاسلامى هو « حاريجا » ..

والحجاج تنقلهم سفينة خاصة الى بور سعيد ثم الى جدة .. وبعد أداء فريضة الحج يعامل الحجاج معاملة خاصة تتسم بالاحترام والاكبار والتقدير ..

وعن مظاهر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف قالت ليجايا : « فى احتفالات المولد النبوى تقام الحفلات لتعميد الأطفال .. فيتولى الامام أو الشيخ قراءة القرآن باللغة العربية بنغمة خاصة «وأسمعتنى جزءا منها» .. وهذا الحفل يعنى الاحتفال بميلاد الاطفال المسلمين بمناسبة الاحتفال بمولد النبى ..

كما ان الأطفال الذين يتمون حفظ القرآن الكريم كله يحتفل بهم فى هذا اليوم وتقدم لهم الشهادة فى الحفل .. فهناك يهتمون جدا بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال .. ويتعلمونه قبل ذهابهم للمدرسة .. وتوجد مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى

وعن تعليم الفتاة المسلمة تقول أديرة : ما زالت نسبة تعليم الفتاة المسلمة ضئيلة .. فهى تفضل أعمال المنزل .. أو التدريس .. أو حفظ القرآن .. وهذا يرجع الى ايمانها العميق بأن الأسرة هى أساس المجتمع وكيانه وأن خير ما تؤديه المرأة هو ادارة البيت وتربية الجيل الجديد ..

وتوجد جمعية نسائية اسمها « جمعية نساء الفليبين المسلمات » لتوجيه المرأة والنهوض بها اجتماعيا وثقافيا ودينيا ..

وعن عادات وتقاليد الزواج تقول ارلندا :

« .. كانت الفتاة فى الماضى لا تقوم بدور ايجابى فى حياتها .. تحصل على قسط متوسط من التعليم .. ولا يسمح لها بالخروج الا مع والديها .. وتظل فى البيت لتحفظ القرآن وتتعلم الطهو .. حتى تتزوج ..

أما الآن .. فقد أصبح لها نفس حقوق الرجل فى التعليم والعمل .. وحرية الرأى .. وأصبح التعليم فى المدارس مختلطا .. فوجدناها مدرسة .. وطبيبة .. ومحامية .. ولها الحق فى أن تبدى رأيها فى زوج المستقبل وتعلن موافقتها أو رفضها .

والفتاة هناك لا تتزوج ابن العم أو ابن الخال أطلاقا .. لاعتقادنا أنه أقرب الى الاخاء .. وحفلات الزواج نوعان : حفلة دينية .. وحفلة رسمية .. والعائلات المتوسطة الحال تقتصر على الحفلات الدينية فقط .. اما العائلات الكبيرة الغنية فتجمع بين الحفلين الدينى والرسمى .. والزواج الذى يتم فى حفل دينى فقط .. يمكن ان يحل فيه الطلاق .. أما اذا تم بحفل رسمى فلا يجوز فيه الطلاق أبدا ..

وعندما يقترب موعد الحفل تحتجب العروس عن العريس .. وتظل حبيسة فى حجرتها خمسة أيام لا ترى الشمس حتى تحافظ على بشرتها البيضاء من حرارة الشمس ..

ويوم الحفل .. يتوجه العريس لمنزل أسرة العروس .. وبعد وصوله تبدأ فى ارتداء ملابس الزفاف الوطنية التى لا ترتديها الا بعد حضوره .. وبعد عقد القران يسمح له برؤية العروس .. ويمر حولها ثلاث مرات وهى جالسة منكسة الرأس .. ثم يلمس جبينها بيده .. ثم يجلس الى جوارها ..

الرقصة الشعبية اسمها التنكلى .. تؤدى فى الحفلات والمناسبات المختلفة ..

ثم انتهى لقائى مع مبعوثات الفليبين عندما بدأ موعد درس اللغة العربية وقبل مغادرتى لدار الضيافة .. عبرت عن شكرهن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية الذى أتاح لهن فرصة الحضور للقاهرة للدراسة على نفقته وتحت رعايته واشرافه ..

مبعوثة من الفلبين تقرأ القرآن الكريم

شاعر الحبّ الإلهى أو سلطان العاشقين

الأستاذ عامر العقاد

حفل تاريخ التصوف الاسلامى فى مختلف مراحله بشهداء كثيرين ، عرفوا بشعراء العشق الالهى ، أو « الهيام فى حب الله » . وحب الله نزعة روحية سبقت الاسلام فى ظهورها بأزمان وأزمان ، وحفلت بها كتب الأقدمين فى أكثر من مجال ، فقد جاءفى أخبار داود أنه قال : « اللهم انى أسألك حبك ،وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك . اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى .. »

بهذه الاشراقة ترنم داود قبل الاسلام ، وبغيرها ترنم الكثير بعد العقيدة المحمدية ، التى شملت الانسانية فى مختلف ميادينها وعقائدها .

فلم تكن حصة الهيام فى حب الله بعد الاسلام تقل عن أخوات لها تردد ذكرها فى آيات الكتاب الكريم : يقول الله جل وعلا : « **يحبهم ويحبونه** » وفى موضع آخر يقول « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** » .

وكذلك لم تخل أحاديث رسوله ـ صلوات الله عليه ـ ، أو لم تخل كلماته الخالدات من ذكر حب الله ، ودعوة الناس اليه ، فقد روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « **من أحب الله فليحبنى ، ومن أحبنى فليحب أصحابى ، ومن أحب أصحابى فليحب القرآن، ومن أحب القرآن فليحب المساجد فانها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهى ميمون أهلها** » .

وعرفت الانسانية عقب ذلك الصوفية الاسلامية ، التى تمثلت فى رجال ونساء كثيرين ، فأعلنت عن نفسها بجوار تصوف الأمم والممالك الأخرى ، وعرفت طائفة منهم بأصحاب العشق الالهى ، أو الهيام فى حبه لا رجاء فى ثوابه ، ولا خوفا من عقابه ، وذلك لأن الزهد فى صميمه مجرد من كل رغبة ، وهدف أصحابه الى الانطلاق والانفساح ، والاشراق بايمان ملء بالفيض والالهام ، والفناء فى المثل الأعلى . فأصبحت بذلك اللذة والألم ، والفقر والغنى فى نظرهم سواء .. خرجوا من فلسفاتهم الروحية بأن الكون الكبير كله بما حوى ، عابد مسبح محب .. كل من فيه قد ألهم صلاته وتسبيحه وحبه .. كون منغم منعم بموسيقى الحب الربانى ، أو كما يقول أحد أئمة هذا المذهب ، ونعنى به محيى الدين بن عربى « **الايقاع الالهى** » الذى تسبح له السموات السبع ، والأرضون ، ومن فيهن .

وسط هذا الاشراق النفسانى ظهر رجال حملوا مشاعل التصوف الخالص ، فتركوا لنا زادا لا ينفد ، وعطرا من الولاية لن يتبخر ، ولن يزول ، وبرز منهم ذو النون ، وابن عربى ، ورابعة العدوية ، والحسن البصرى ، وغيرهم ..

أولئك الذين استطاعوا أن يحيلوا زهد الناس الى محبة ، ورهبتهم الى رغبة ، وتعقيدهم الى بساطة ، وفلسفاتهم الى ايمان ، وجدلهم الى عمل ، وفقههم الى تعبد وأخلاق ، وحياتهم الى خفقة قلب ، ووثبة روح ، ورفرفة أجنحة ، تتسابق فى التحليق والتصعيد ، نحو المثل الأعلى .. نحو مولاها وخالقها ومقدر

أقواتها ، ونور آفاقها فشادوا في الاسلام مدرسة للتصوف الحق ، بكل مافيه من الهام وفيض ، وكشف ومعارف ، فوضعوا على مائدة الفكر الانساني ذلك الزاد الحبيب .. زاد الاستهواء الوجداني ، بما أضفوه على العبادات من أضواء جميلة ساحرة ، وبما فجروه في الذكر ، والمناجاة والمحبة من ينابيع حلوة عذبة جياشة ، فأرشدت الحيارى والمتعبين ، وألهمت العابدين العاملين .

ونحن بكتابتنا في هذا العدد عن شعراء العشق الالهي نقصر مقالنا عن امام من حملة ذلك المشعل الوضاء ، ونعني به الشاعر المحب ، والصوفي الكبير ، شرف الدين عمر بن الفارض .. فقد كان من أعظم شعراء العرب المتصوفة ، وأفردهم موهبة .

ينحدر نسبه من أسرة سورية ، عاشت في « حماة » قبل ألف سنة أو يزيد ، وكان أبوه من وجهاء قومه المشهورين بالعلم ، فقد شغل في يوم من الأيام منصب خليفة الحكم في مصر فترة من الزمان ، وفي غضون تلك الفترة من حكمه وفي سنة ٥٧٦ هجرية ، ولد له عمر بن الفارض .

ويبدو أن صحبة عمر لأبيه – في ابان نشأته بمصر – لمجالس الفقه ، وطبيعة العزلة ، التي لوحظت عليه في تلك الفترة من حياته ، كانا لهما الأثر الملحوظ في تكوين شاعريته الصوفية ، التي جعلت منه شيخا لشعراء العشق الالهي فيمابعد .

تلقى ابن الفارض دروسه في شبابه المبكر بالقاهرة ، فدرس الفقه الشافعي ، والحديث مع ابن عساكر ، ثم اعتنق اذ ذاك مذهب الصوفية ، ويحكى عن نفسه أنه في صباه قضى فترات طويلة من التجريد ، والتأمل في تلال المقطم ، وأنه أقام هنالك مرارا عديدة .

لم تكن حياته في ظاهرها مليئة بالأحداث ، ويروى أنه كان أنيس العشرة ، وأنه كان رجلا جميل الطلعة ، كريما ، فصيح العبارة ، دقيق الاشارة ، ذا قدرة على ارشاد غيره ، وقد اشتهر أيضا بقداسة حياته ، وبكلفه بانكار الذات .

وقد كان لوفاة أبيه دافع الى انعكافه على العزلة ، والتعبد المنفرد ، فبدأت الرؤيات تتجسم له في منامه . ومما يروى عنه أنه رأى مكة أمامه في نومه ، فشد رحاله اليها ، عقب ذلك ومكث هناك في واد قريب من البيت الحرام فترة دامت خمسة عشر عاما « عاد بعدها الى القاهرة ، وسكن في الجامع الأزهر بقاعة الخطابة ، ثم جاءه الحنين الى اعادة الزيارة للبلد الأمين ، فتوجه اليه .. وهناك التقى بشهاب الدين السهروردي أثناء الحج .

ويعد شعر ابن الفارض من أقوى ما عرف الأدب العربي متانة ، وقوة ، واصالة ، فأبياته تفيض بالحماسة والعاطفة ، كما تتميز بالرونق والجمال .

ونظرة يسيرة في ديوانه تغني الباحث المدقق عن القيل والقال في موضوع شعره ، وقوة صياغته ، وتتألق أمام العين قصيدتان صوفيتان خالصتان ، وهما « الخمرية » التي تصف النشوة ، التي تحدثها خمر المحبة الالهية و « نظم السلوك » وتشتهر « بالتائية الكبرى » وهي سبعمائة وستون بيتا ، ذاع صيتها ولا يزال . ولا يقتصر صيتها على كونها شعرا عربيا بالغ الجمال والابداع فحسب ، وانما تعتبر عظيمة القيمة ، كدراسة في المذهب الصوفي .

ويروى أنه قد أملى هذه القصيدة ، حين أفاق من نشوة روحية عميقة . وكثيرا ماتغنى بالتلال والأودية التي في جوار مكة المكرمة ، وفي احداها يقول :

وجباله لي مربع ورماله
لي مرتع وطلاله أفيائي

وترابه ندى الذكي وماؤه
وردي الروي وفي ثراه ثرائي

وشعابه لي جنة وقبابه
لي جنة وعلى صفاه صفائي

وأينما نقلب النظر في شعره نجده يتفانى في حب الله ، فيجده في جميع الأشياء ، التي تبدو أمامه كالدمى المتحركة ، ويؤمن بأن علتها الوحيدة تفانية في الذات العليا ، وأن كل

● **الصد عن المسجد الحرام مرتبط باعمال الكافرين ..**

صرح فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر بأن منع السلطات السعودية الحجاج من أداء فريضة الحج يعد تعطيلا لشعائر الله ..

.. وقال ان الحجاج الذين اضطروا الى العودة لهم ثواب الحج لأنهم خرجوا بنية ادائه .. وأضاف فضيلته قائلا ان ما حدث من السلطات السعودية يعتبر من الصد عن المسجد الحرام وقد جاء الصد مرتبطا بأعمال الكافرين .. وما كان يجب على مسلم ان يسلك مسالك الصادين عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ولا أن يسلك خطواتهم .. وبيت الله لجميع المسلمين وليس لواحد منهم .. فلا يصح لمسلم مهما يكن أن يرد القاصدين اليه ، ولا أن يرد هدية المؤمنين الى بيت الله ..

* * *

المسجد وحدة اجتماعية

افتتح السيد / حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف مسجد عزو بجوار نادى الصيد بالدقى حيث أدى فيه فريضة الجمعة يوم ١١ من مايو سنة ١٩٦٢ .. كما زار سيادته بهذه المناسبة جمعية أولاد علام للرعاية الاسلامية بجوار المسجد ..

وقد ألقى السيد نائب الرئيس كلمة أعلن فيها أن المسجد هو الوسيلة لحل المشاكل الاجتماعية .. ولن يتيسر حل هذه المشاكل حلا كاملا الا اذا ارتبطت بالمسجد ..

وقال انه يمكن أن نخلق من المسجد وحدة اجتماعية تؤدى الرسالة الاجتماعية بدون الالتزامات التى تتطلبها الوحدة الاجتماعية .. كما قال انه سيخطر مناطق الشئون الاجتماعية لتعمل على انشاء جمعيات اجتماعية بالمساجد وتسجيلها ومدها بالاعانات اللازمة ..

وأعلن السيد / نائب الرئيس أن المساجد بوضعها الجديد ستتمكن من الاشتراك فى صرف حصيلة التبرعات التى يجمعها فى الأغراض الاجتماعية لخدمة البيئة المحيطة بالمسجد مثل انشاء وادارة المستوصفات العلاجية .. وتقديم المساعدات للأسر المحتاجة .. الى غير ذلك من وسائل الرعاية الاجتماعية .

* * *

جولة تفتيشية

قام السيد / المهندس على زاهر وكيل وزارة الأوقاف بجولة تفتيشية فى أيام العيد على أعمال المقاومة ببعض الادارات التابعة للوزارة بالوجهين القبلى والبحرى وأمر بتنظيم فرق المقاومة من أسر المستأجرين وتوفير المبيدات والرشاشات .. هذا ويوالى سيادته المرور على الادارات الأخرى .

* * *

البعثة الطبية للعمل فى الجزائر

استقبل السيد / حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى مكتبه صباح يوم ٥ من مايو الماضى البعثة الطبية للهلال الأحمر التى ستعمل بالجزائر ..

وقد سافرت البعثة الى جنيف يوم ٧ من مايو حيث انضمت الى جميع البعثات الطبية من البلاد الأخرى .

* * *

المصحف هدية الاسلام

اهدى السيد / حسين الشافعى نسخة من المصحف المرتل لكل من :

● **الأمير عبد الله المبارك الصباح**

● **الأمير محمد عبد الكريم الخطابى**

● **عبد الله فندكيرا وزير العدل بتنجانيقا**

● **خاجا شهاب الدين سفير الباكستان السابق**

● **نوح بامالى وزير الشئون الخارجية بنيجيريا**

أزهار قرآنية

فى حديقة الأدب

الدكتور أحمد الحوفى

- ١ -

اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد كل رسول بمعجزة أو معجزات تصدق دعواه ، وتثبت لقومه أنه مبعوث من الله ، ليؤمنوا به عن بينة واقتناع .

واقتضت حكمته أن تكون المعجزات ملائمة لما يلائم البيئات ، ليتحقق بها التحدى والاعجاز .

لهذا لما اجتبى الله محمدا - عليه الصلاة والسلام - للرسالة ، وتطلع قومه الى معجزات مادية صرفهم عن التحدى المادى ، لأنه صار غير ملائم للبشرية بعد أن تقدمت وتطورت وصارت جديرة باعجاز فكرى عقلى بيانى : **« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا » .**

هذه المعجزة الفكرية البيانية هى القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعجزة الخالدة على الدهر مهما تتعاقب الأجيال ، وتتباين الأجناس ، وتتبدل الأحوال •

ولقد كان العرب يخايلون بروعة بيانهم ، ويحسبون أنهم بلغوا الذروة من الاقتدار على فن المقال ، فنزل القرآن الكريم ، ففاجأهم ببيان لا طاقة لهم على مثله ، وتحداهم فعجزوا أشنع عجز ، عجزوا عن الاتيان بمثله ، وعجزوا عن الاتيان بعشر سور من مثله وان كانت مفتراة ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بسورة واحدة على نهجه ، بل انهم عجزوا عن انشاء حديث يضاهيه ويماثله • قال تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

وقال : **« أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » •**

وقال : أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله » •

وقال : وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » •

وقال : « أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » •

عجزوا عن الثبات أمام التحدى القارع المحرج ، على ما فيه من تيسير عليهم وتسهيل ولو استطاعوا ما ترددوا ، لأنهم كانوا حراصا أشد الحرص على تكذيب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعارضته ، فسلكوا ما يسلكه العاجز المكابر ، فاتهموا النبى بأنه ساحر ، وبأنه شاعر ، وبأنه كاهن •• وفى هذا الاتهام اقرار بعجزهم عن المعارضة ، واعتراف صريح بأنه فوق قدرهم ، وأسمى من بيانهم ، ولو انهم انصفوا لعلموا انه من عند الله :

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » •

بل لقد كانوا يلجون فى ضلالهم ، فيتهمون مبعوثيهم الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا ما عادوا اليهم فقصوا عليهم ما أحدثه القرآن الكريم فى نفوسهم من جلال ورهبة وشعور بعلائه •

ثم شرح الله صدورهم للاسلام ، فاقبلوا عليه اقبالا ، وطاروا بلوائه الى الآفاق ، وكان للقرآن الكريم الفضل الأول فى نشأة علوم شتى ، وكانت له آثار عظيمة فى اللغة والأدب •

وهذه لمحة الى تأثيره فى ألوان الأدب على مر الأعصار ، ليس الغرض منها الاستيعاب بل التمثيل •

- ٢ -

يتبين تأثير القرآن فى الشعر منذ صدر الاسلام الى اليوم •

قال حسان بن ثابت فى رثاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

وهو من قوله تعالى : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم** » •

وقال معن بن أوس فى الشكوى من ابن عمه ، وصبره على معاندته وشره :

فما زلت فى لينى له وتعطفى
عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفضى له منى الجناح تألفا
لتدنيه منى القرابة والرحم

وهو من قوله تعالى : « **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** » •

وقال النجاشى فى الهجاء بالضعف فى عرف الجاهلية :

اذا الله جازى أهل لؤم ورقة
فجازى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

من قوله تعالى : **« وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »** .

وقال النابغة الجعدى :

الحمد لله الذى لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل فى النهار وفى الليـ
ـل نهارا يفرج الظلما

من قوله تعالى : **« يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل »** .

وقال جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز :

نال الخلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربه موسى على قدر

من قوله تعالى : **« ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى »** .

وقال الفرزدق فى هجاء جرير :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

يريد قوله تعالى : **« وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »** .

وقال الكميت :

هم الآخذون من ثقة الأمر
بتقواهم عرى لا انفصام

من قوله تعالى : **« فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها »** .

وقال أبو العتاهية فى مدح المهدى :

أتته الخلافة منقادة
اليه تجرر أذيالها
ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الأرض زلزالها

من قوله تعالى : **« اذا زلزلت الأرض زلزالها »** .

وقال البحترى فى مدح المتوكل :

الله مكن للخليفة جعفر
ملكا يحسنه الخليفة جعفر
نعمى من الله اصطفاه بفضلها
والله يرزق من يشاء ويقدر

من قوله تعالى : **« والله يرزق من يشاء بغير حساب » أو « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »** .

وقال يحيى البرمكى فى استعطاف الرشيد :

ان البرامكة الذيـ
ـن رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم
خلع المذلة باديه
فكأنهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه

من قوله تعالى : **« فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية »** .

وقال ابن الرومى :

لا يرون الجروح الا قصاصا
ورعا منهم وعدل قضاء

من قوله تعالى : **« والجروح قصاص »** .

وقال ابن المعتز :

خف الله ان الله ليس بغافل
ولا بد من يسر اذا ما انتهى العسر

من قوله تعالى : **« فان مع العسر يسرا »**

وقال على بن الجهم :

لا أدعى القدرة من دونه
بالله حولى وبه أقدر
أشكره ان كنت فى نعمة
منه وان أذنبت أستغفر
فليس توفيقى الا به
يعلم ما أخفى وما أظهر

من قوله تعالى : **« وما بكم من نعمة فمن الله » ، و « وما توفيقى الا بالله »** .

ولما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقوله:

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلف أحنف فى ذكاء اياس

عابه الكندى بقوله ان الأمير أعظم من هؤلاء ففكر أبو تمام ، ثم قال :

لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا من المشكاة والنبراس

فالله قد ضرب الأقل لنـــوره
مثـلا من المشكاة والنبراس

يشير الى قوله تعالى : « **الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيهـا مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنهـا كوكب درى** » .

وقال عبد الله فكرى فى اعتذاره :

لئـن كان أقوام على تقـــولوا
بأمر فقد جاءوا بمـــا زوروا نكرا
وان سعاة الســوء أنزل فيهـم
علينا اله العـرش فى ذكره ذكرا
وعلمنا أن نستبين مقالهـــم
ونأخذ منهم فى مساعيهم الحذرا

وهذا من قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة** » .

وقال البارودى :

كل امرىء ســائر لمنزلة
ليس له عن فنائهـا هرب
وساكن بين جيـــرة قذف
لا نسب بينهــم ولا قرب
فاربأ يفاعا أو اتخـذ سربا
ان كان يغنى اليفـاع والسرب

وهذا من قوله تعـــالى : « **أينمـــا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** » ، و « **ان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية** » .

وقال حافظ ابراهيم فى وصف الشمس :

نظر ابراهـام فيها نظــرة
فأرى الشك وما ضل اليقين
قال : ذا ربى ، فلمـا أفلت
قال : انى لا أحب الآفليـن
ودعـــا القوم الى خالقهـــا
وأتى القوم بســلطان مبين

من قوله تعالى على لسان ابراهيم : « **فلما أفل قال لا أحب الآفلين** » و « **فأتونا بسلطان مبين** »

وقال شوقى :

بحمد الله رب العـــالمينا
وحمدك يا أمير المؤمنينـــا
لقينا فى عـــدوك ما لقينـــا
لقينـــا الفتـح والنصر المبينا

من قوله تعالى : « **الحمد لله رب العـالمين** » و « **انا فتحنا لك فتحا مبينا** » .

وقال شوقى :

أسرى بك الله ليـــلا اذ ملائكه
والرسل فى المسجدالأقصى على قدم

من قوله تعـــالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســـجد الأقصى** » .

وقال :

الذكر آيـــة ربك الكبرى التى
فيها لباغى المعجزات غنـــاء

من قوله تعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » .

وقال :

ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة
وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتـم

من قوله تعالى : « **ألم يجدك يتيمافآوى** » .

والأمثلةعلى الاقتباس من القرآن الكريم كثيرة لا يكاد يخلو منها شـعر شـاعر فى كل عصر ، فحسبنا هذه الأزهار اليانعة التى تجمل حديقة الشعر .

أنت تسأل ؟ .. والمفتي يجيب !

فضيلة الشيخ حسن مأمون

س : من السيد حسين محمد المحلى بشارع السيد محمد كريم ١١٣ بالاسكندرية :

سيدة لها بنتان شقيقتان متزوجتان احداهما خلفت ولدا والأخرى خلفت بنتا فأصبح الولد والبنت أبناء خالة .. ويريد الولد الزواج من بنت خالته . فوجدنا أن الولد أرضعته جدته لأمه وأن البنت لم ترضع من جدتها ولا من خالتها مطلقا . فما حكم الشرع فى ذلك ، وهل يجوز لهما الزواج أم لا . علما بأن الجدة أرضعته مع ابن لها فى مثل سنه . أرجو افادتى برجوع البريد وعلى صفحات منبر الاسلام .

ج : برضاع الولد المسئول عنه من جدته لأمه يصبح ابنا لها رضاعا . وخالا لأم البنت التى يريد الزواج منها . وبما أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب . يحرم على الولد المذكور أن يتزوج من بنت خالته نسبا لأنه خال أمها رضاعا . والتحريم بسبب الرضاع يكفى فيه المصة والمصتان على ماذهب اليه الامام أبوحنيفة . ولابد للتحريم عند الامام الشافعى واحدى الروايتين عند الامام أحمد من أن يكون خمس رضعات مشبعات وقد أخذنا للفتوى ماذهب اليه الامام الشافعى والامام أحمد .. فى مسألة تعم فيها البلوى .

فان كان الولد المسئول عنه لم يرضع من جدته لأمه خمس رضعات مشبعات جاز له الزواج من بنت خالته التى لم ترضع من جدتها ولا من خالتها والا لم يجز والله أعلم .

س : من السيد سعد الدين السردى من سلامون القماش :

قابلتنى مشكلة واخترت مجلة منبر الاسلام لتحلها لى بصفتها مجلتى الدينية المفضلة وهى : أريدالزواج من ابنة عمة والدتى .. وهى راضعة من والدتى وعلى أخى الأصغر منى سنا وقد سمعت أن هذه البنت يجوز الزواج لى منها .

وقد قال لى أحد الناس انه يجوز للأخ الأكبر من الذىرضعت عليهالبنتولايجوز للشخصالذى رضعتعليه البنتولاللأصغرمنه . وبصفتى الأخ الأكبر فهى تجوز لى . وهلهذا كلام صحيح أم هى لا تجوز لى ؟ أرجو الرد على مشكلتى هذه فىالعدد القادم فورا .. لأنه يمر عليها الآن خطيب والا فاننى سأنهى زواجى منها وأحملكم المسئولية أمام الله فى اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ج : برضاع بنت عمة والدة السائل من والدته تصبح بنتا لها من الرضاع وأختا لجميع أولادها من الرضاع ويستوى فى ذلك من رضعت معه ومن كان موجودا قبل الرضاع . أو بعده . أى لا فرق فى ذلك بين الأخ الاكبر والأخ الاصغر . لان الجميع أخوة لها من الرضاع وقد حرم الله الزواج من الأخت رضاعا كالأخت نسبا .

والتحريم بسبب الرضاع تكفى فيه رضعة أو أكثر فيما ذهب اليه الامام أبوحنيفة وقد ذهب الشافعىواحدى الروايتين عن الامام أحمد . لا تكفى الرضعة للتحريم . بل لا بد من خمس رضعات مشبعات . وهو ماأخذناه للفتوى فى مسألة تعم فيها البلوى . فان كانت بنت عمة السائل ، قد رضعت على أمه خمس رضعات مشبعات لم يجز له الزواج منها والا جاز له الزواج منها عملا بمذهب الامام الشافعى وباحدى الروايتين المنقولتين عن الامام أحمد والله أعلم .

وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف بالإسلام

المسابقة الصيفية الثانية

لطلاب الجامعات والمعاهد العليا

ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..
بوزارة الأوقاف .

● رغبة منه فى توجيه الشباب الى ثقافة الاسلام والعروبة فى عصورها المزدهرة وألوانها المختلفة .

● وجريا منه على الخطة الحميدة الناجحة التى اختطها فى العام الماضى بانشاء هذه المسابقة تعويدا للشباب على البحث العلمى المنظم المثمر وتشجيعا لهم على شغل أوقات فراغهم فى أثناء العطلة الصيفية بما ينفعهم ويدرأ عنهم عواقب الفراغ والقراءات الضارة .

● وحرصا على مواصلة السعى فى تربية جيل يجمع الى دراساته الحديثة الواعية معرفة عميقة بثرواتنا الفكرية المختلفة تقوم على كشف كنوزها واستجلاء روائعها ودراسة علمها وفقهها وأدبها وفنها وتاريخها ومراحل تطورها ومالها من آثار بعيدة المدى فى عالمنا الحاضر وارتباط وثيق الصلة بمجتمعنا الذى نعيش فيه فى ظلال ثورتنا المجيدة القائمة على الايمان بالله والثقة بالنفس والاعتزاز بالعروبة والاحتفاظ بالكرامة الوطنية .

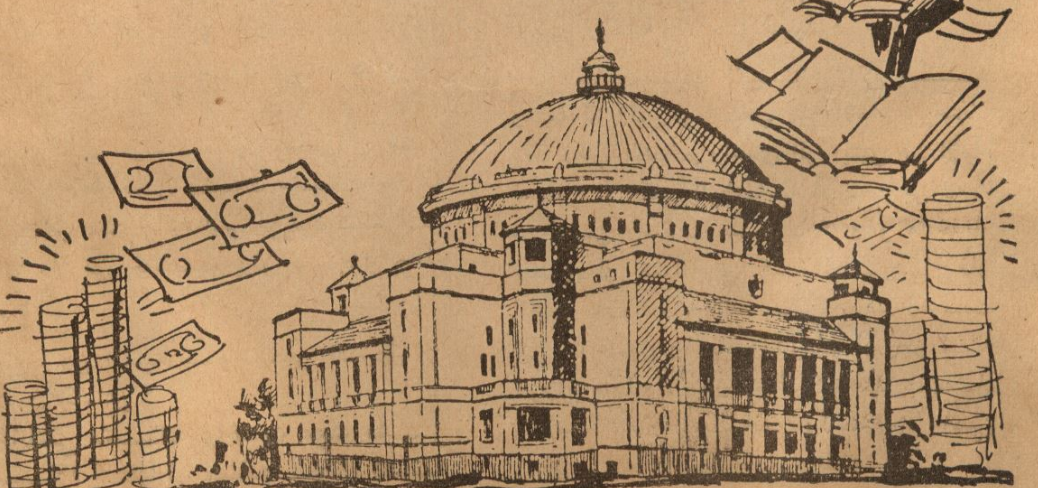

لذا قرر اجراء مسابقة جديدة لطلاب الجامعات والمعاهد العليا وأقسام الدراسات العليا وطلاب البعوث الاسلامية بالجمهورية العربية المتحدة فى الموضوعات الآتية :

* * *

١ ـ الامام أبو حنيفة
٢ ـ الامام مالك
٣ ـ الامام الشافعى
٤ ـ الامام أحمد بن حنبل
٥ ـ الامام جعفر الصادق
٦ ـ السيدة عائشة
٧ ـ عبد الرحمن الداخل
٨ ـ صلح الحديبية وأثره فى نجاح الدعوة الاسلامية
٩ ـ غزوة أحد والعبر التى أفادها المسلمون منها
١٠ ـ الحضارة الاسلامية فى الأندلس
١١ ـ القضاء والقضاة فى الاسلام
١٢ ـ البيت الاسلامى كما ينبغى أن يكون
١٣ ـ الحقوق الزوجية فى الاسلام
١٤ ـ الاسلام والرق
١٥ ـ الكسب المشروع وغير المشروع فى نظر الاسلام
١٦ ـ الجانب الأخلاقى فى القرآن والسنة وأثره فى المجتمع
١٧ ـ ابن سينا
١٨ ـ جابر بن حيان
١٩ ـ ابو قاسم الزهراوى
٢٠ ـ فضل المسلمين الأول على العلم
٢١ ـ الأدلة العلمية على وجود الله ووحدانيته
٢٢ ـ الاعجاز العلمى للقرآن الكريم
٢٣ ـ ثورة ٢٣ يوليو وأثرها فى بناء المجتمع
٢٤ ـ الاسلام يناهض الاستعمار
٢٥ ـ الاسلام والعلاقات الدولية

٢٦ ـ الأمومة والطفولة فى الاسلام

٢٧ ـ اشتراكيتناهى روح الاسلام

٢٨ ـ العدل والرحمة فى الاسلام

٢٩ ـ وسائل انتشار الاسلام

٣٠ ـ حقوق الانسان بين الاسلام والنظم العالمية

شروط المسابقة

١ ـ يختار كل طالب موضوعا واحدا من موضوعات المسابقة .

٢ ـ لا يزيد عدد صفحات البحث على خمسين صفحة من الفولسكاب ولا يقل عن ثلاثين بشرط أن تكون الكتابة على وجه واحد وبخط واضح أو على الآلة الكاتبة .

٣ ـ يجوز لكل من سبق له الاشتراك فى المسابقة الماضية أن يشترك فى هذه المسابقة .

٤ ـ آخر موعد لتقديم البحوث يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م وترسل بعنوان السكرتيرية العامة للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية (٣ شارع الأمير قدادار بميدان التحرير) ويكتب على الظرف « مسابقة لجنة التعريف بالاسلام لطلاب الجامعات والمعاهد العليا » .

٥ ـ الرسائل التى تنال التقدير يجرى لأصحابها اختبار شخصى فى موضوع البحث لترتيبهم .

٦ ـ ستوزع جوائز على الفائزين للموضوع الواحد قدرها :

جنيه ٥٠	خمسون جنيها	للفائز	الأول
٣٠	ثلاثون	« «	الثانى
٢٠	عشرون	« «	الثالث
١٠	عشرة جنيهات	« «	الرابع
١٠	« «	« «	الخامس
٥	خمسة جنيهات	« «	السادس
٥	« «	« «	السابع
٥	« «	« «	الثامن
٥	« «	« «	التاسع
٥	« «	« «	العاشر

مع القراء

عزيزى القارىء :

تلبية لرغبتك الصادقة وتحقيقا للأهداف السامية التى نعمل من أجلها تجدنا دائما جادين فى توكيد العلاقة بيننا وبينك .. حريصين على نشر ما ينفعك ويسمو بك ، ويجعلك فى مأمن من الدس والتخمين .. وبهذا نكون قد أدينا الأمانة العلمية .. وكشفنا الغطاء عن حقائق الأمور .

كسوة الكعبة الشريفة :

وصلتنا مئات الرسائل من مختلف القراء فى البلاد الاسلامية .. كلها تقطر ألما وتبكى حسرة على ذلك الموقف المشين الذى وقفه سعود .. والجميع ينكرون عليه هذا التصرف الأحمق فى رده لكسوة الكعبة الشريفة ، فالبيت بيت الله ، والمسلمون جميعا يحجون اليه من سائر البقاع ، وليس لانسان مهما كان شأنه أن يتصرف فى ملك الله .. فكيف يستبيح سعود لنفسه هذا العمل الاجرامى ؟ لا شك انها وصمة فى جبينه على مر الأيام .

جبال البرانس :

السيد/أنور حسن سيد ــ بورسعيد :

حقا لقد اتسعت الفتوحات الاسلامية فى العهد الأول للاسلام حتى وصلت الى جبال البرانس فى أوربا فدانت للعرب تلك الأماكن النائية ، وأصبحت ترفرف على هاماتهم أعلام العزة والفخار .. وذلك بقوة العقيدة واصالة الايمان فما أحوجنا الى التحلى بأخلاقهم والسير على منوالهم .

المدنية الزائفة :

السيد/عمر محمد سعيد ــ الجيزة :

لا تظن أن جميع الناس تبهرهم المدنية الزائفة فينساقون وراءها بدافع التقليد والمحاكاة .. فالمجتمع لا يخلو فى كل زمان ومكان من القيم الفاضلة والمبادىء السامية التى تجعل صاحبها يموت دونها .. ويقدم روحه رخيصة سهلة من أجلها .. وأما تلك الفئة التى تتحدث عنها فلا يصح أن نضعهم فى حسابنا .. بل ولا نقيم لهم وزنا .

من وحى الهجرة :

الأستاذ محمد طاهر أبو النجا ــ أسيوط :

قصيدتك من وحى الهجرة فيها لمسات فنية لا بأس بها .. وفيها أيضا بوادر شاعرية تحتاج الى مزيد من الصقل . فامض فى الطريق وعليك أن تغذى هذه الشاعرية بكثرة القراءة وتهتم بالوزن .. وبهذا يمكنك أن تقف على قدميك فى عالم الشعر

لم نهمل القصة :

السيد/محمود عبد الجواد ــ الشرقية :

نحن لم نهمل القصة فى مجلتنا كما تبادر الى ذهنك ولكننا نحرص دائما على نشر القصة الهادفة .. التى تعالج مشكلة اسلامية أو تاريخية أو اجتماعية تتمشى مع روح المجلة .. فاذا كنت تأنس فى نفسك الكفاءة فاكتب الينا ، **فنحن نرحب بانتاجك .**

بريد التعارف

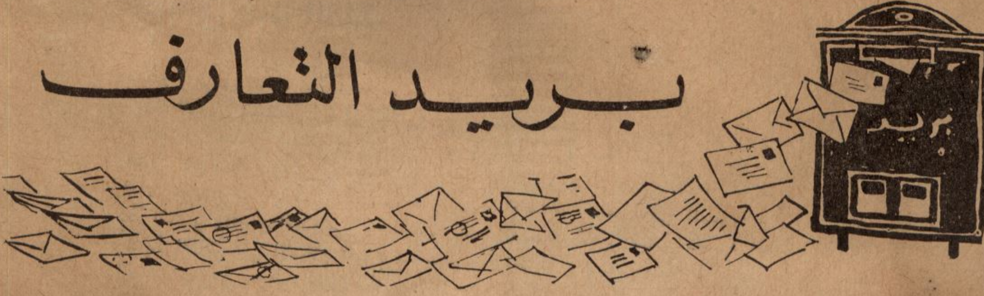

الاسم : فتحى ابراهيم محمد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالثانوية العامة
الهواية : الرسم ، الاطلاع العلمى . المراسلة والتصوير وقراءة القصص
العنوان : ١١ شارع النبراوى خلف ـ اجزاخانة الشفاء ـ بسوق الاحد الجيزة

الاسم : محمد كمال دسوقى حسن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بالمعهد العالى التجارى بطنطا
الهواية : دراسة كتب البلاغة والادب والتعرف على الشباب المسلم
العنوان : ٤٧ شارع الجمهورية بالمرج القاهرة

الاسم : حسنين عبدالحميد عبد المجيد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بمعهد المنصورة الدينى
الهواية : مراسلة الشباب المسلم والاطلاع
العنوان : المنصورة . معهد المنصورة الدينى

الاسم : منصور حسن عبد الرحمن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة الشباب المسلم والقراءة
العنوان : شارع المناشوة بيلقاس (دقهلية)

الاسم : عبد السلام عبد الغفار الشرقاوى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٣٠ سنة
المهنة : موظف بوزارة الحربية
الهواية : المراسلة . جمع طوابع البريد . القراءة . التعرف بالشباب المسلم
العنوان : شارع درب البهلوان رقم ٥ بالسيدة زينب . القاهرة

الاسم : محمد جبر سلومه
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الزراعة الثانوية بالاسكندرية
الهواية : القراءة والتصوير . جمع صور المباريات الرياضية . مراسلة الشباب المسلم
العنوان : المدرسة الثانوية الزراعية بالاسكندرية . سيدى بشر

اقرأ فى هذا العدد

العنوان	الكاتب	صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة		٥
خطاب من القاهرة		٧
حديث مع سفير تونس		١٠
اول العام	الأستاذ أحمد لطفى السيد	١٣
علم النفس والدين الاسلامى	الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد	١٤
حاجة العالم الى الاسلام اليوم	فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة	٢٢
العالم .. من يعرف للعلم حقه	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٧
دروس للشباب .. فى حياة الأستاذ الامام	دكتور عثمان أمين	٣١
نظام التسرى فى الاسلام	دكتور على عبد الواحد وافى	٣٥
مستقبل الاسلام فى أفريقيا الحديثة	دكتور بدوى عبد اللطيف	٣٨
الاسلام والتكافل الاجتماعى	الأستاذ البهى الخولى	٤١
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٤٨
القيم الاسلامية .. الحق تعالى	دكتور أحمد فؤاد الأهوانى	٥٠
من أدب الطبيعة فى القرآن الكريم	دكتورة نعمات فؤاد	٥٥
من طلائع التاريخ الصاعد	دكتور عبد السلام سرحان	٥٨
من قصص القرآن الكريم .. قصة آدم	دكتور مهدى علام	٦٢
التفكير البيانى فى الدراسات القرآنية	دكتور بدوى طبانة	٦٥
دروس من الهجرة	الأستاذ عبد الرزاق نوفل	٦٨
عقل المرأة من وحى الواقع	الأستاذ محمد زكريا البرديسى	٧٠
القرآن والبحث العلمى فى شأن الجنين	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٧٤
المعانى السامية فى هجرة الرسول	الأستاذ محمد سلام مدكور	٧٧
طرائف عن يوم عاشوراء	فضيلة الشيخ منصور رجب	٨٢
الاسلام وتطور الانسانية	دكتور محمد غلاب	٨٥
المعنى الانسانى فى رسالة الاسلام	دكتور أحمد كمال أبو المجد	٩٠
وأنزلنا من السماء ماء طهورا	دكتور محمد وصفى	٩٣
اعجاز آيات الخلق فى القرآن	دكتور حسين حلمى	٩٦
مسجد الخطبة (مسجد الحاكم)	دكتور محمود وصفى	٩٧
ملحمة الهجرة (قصيدة)	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٠٤
حقيقة الوحى والرد على المستشرقين	دكتور محمد سعاد جلال	١٠٧
ممالك اسلامية قديمة .. مالى	الأستاذ عبده بدوى	١١١
يا طويل العمر	الأستاذ عبد الرحمن الشربينى	١١٤
السخاء والأسخياء فى نظر الاسلام	فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل	١١٧
فى المحيط الصوفى .. الموسيقى والغناء والرقص	فضيلة الشيخ محمد أمين هلال	١٢٠
دراسات فى التاريخ الاسلامى .. بدر الآخرة	الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف	١٢٥
بطولات اسلامية .. حبسها حابس الفيل	مقدم محمد فرج	١٢٩
الأندلس الاسلامية فى شعر المهجريين	الأستاذ على الجمبلاطى	١٣٣
دور الشباب فى الدعوة الاسلامية ..	الأستاذ محمد فتحى محمود	١٣٨
أحداث المحرم	الأستاذ محمود متولى بيومى	١٤٢
جاهلية اسلامية	الأستاذ أحمد محمد بربرى	١٤٦
الاسلام عدو التعصب	الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	١٤٩
المرأة المسلمة .. مع مبعوثات الفيليبين		١٥٢
شاعر الحب الالهى أو سلطان العاشقين	الأستاذ عامر العقاد	١٥٦
خطر اسناد الأمر الى غير أهله	الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٥٩
لماذا أسلمت		١٦١
قضايا تهم المرأة	الأستاذة مفيدة عبد الرحمن	١٦٣
القرآن الكريم حلقة متماسكة	الأستاذ عبد العزيز العلى	١٦٦
الهجرة النبوية	الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى	١٧١
الاسلام وأثره فى تكوين المجتمع الانسانى	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	١٧٣
من أعلام الوطنية	الأستاذ عباس حمدى	١٧٦
هل زال خطر الاستعمار ؟	الأستاذ محمد عبد الهادى	١٧٩
أخبار سريعة		١٨٣
أزهار قرآنية	دكتور أحمد الحوفى	١٨٥
أنت تسأل والمفتى يجيب		١٨٩
المسابقة الصيفية لطلاب الجامعات والمعاهد العليا		١٩٠
مع القراء		١٩٤
بريد التعارف		١٩٥

ترقبوا

في منتصف
كل شهر عربي

سلسلتي

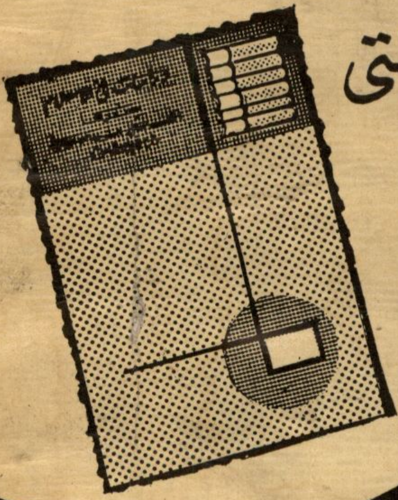

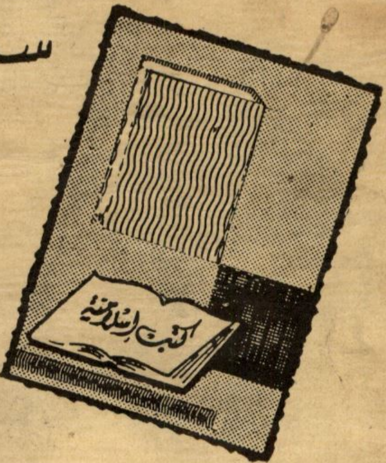

كتب إسلامية
٢

دراسات في الإسلام
٥

تضمن الحصول على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام أساتذة متخصصين

يصدرها:
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

شركة الاعلانات الشرقية